المملكة العربية السعودية

جامعة الملك سعود

كلية التربية

قسم الثقافة الاسلامية

الدراسات العليا

شعبة العقيدة

التوكل عند الصوفية

في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة

قدمت هذه الرسالة لنيل درجة الماجستير في قسم الثقافة الاسلامية

كلية التربية جامعة الملك سعود

إعداد الطالب

جمعة بن خليف العنزي

إشراف

الأستاذ الدكتور / محمد طلعت أبو صير

الرياض

١٤١٦ هـ

المملكة العربية السعودية
جامعة الملك سعود
كلية التربية
قسم الثقافة الاسلامية
الدراسات العليا
شعبة العقيدة

التوكل عند الصوفية
في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة

قدمت هذه الرسالة لنيل درجة الماجستير في قسم الثقافة الاسلامية
كلية التربية جامعة الملك سعود

اعداد الطالب
جمعة بن خليف العنزي

اشراف
الأستاذ الدكتور / محمد طلعت أبو صير

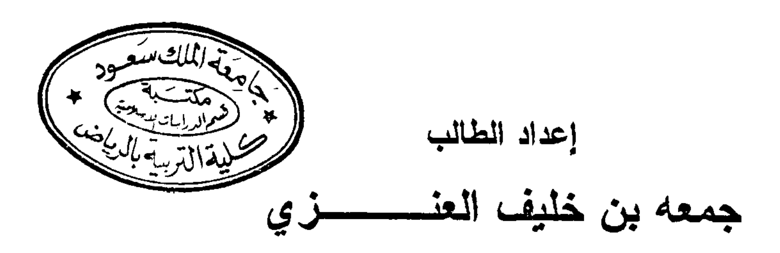
الرياض
١٤١٦ هـ

المملكة العربية السعودية
جامعـــة الملك سعود
كليـــــة التربية
قسم الثقافة الإسلامية
الدراسات العليـــا
شعبة العقيــدة

التوكل عند الصوفية

في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة

قدمت هذه الرسالة لنيل درجة الماجستير في قسم الثقافة الإسلامية كلية التربية جامعة الملك سعود



إعداد الطالب
جمعه بن خليف العنـــــــزي

إشراف الأستاذ الدكتور : محمـــــــد طلعت أبوصير

الرياض
١٤١٦هـ

المملكة العربية السعودية
جامعـــة الملك سعود
كليـــــــة التربية
قسم الثقافة الإسلامية
الدراسات العليـــا
شعبة العقيـدة

التوكل عنـــــــــد الصوفية

في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة

قدمت هذه الرسالة لنيل درجة الماجستير في قسم الثقافة الإسلامية كلية التربية جامعة الملك سعود

إعداد الطالب

جمعه بن خليف العنـــــــزي

نوقشت هذه الرسالة بتاريخ / / وتم إجازتها •

المشرف	أعضا ء اللجنـــــة
أ د : محمد طلعت أبوصير	أد: محمد أبو الغيط الفرت
	د: رزق الشـــــامي


بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــــــــــة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، الذي أمر عباده بالتمسك بالنهج القويم ، والاعتصام بحبله المتين قال تعالى : ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ...﴾ الآية (١)، وحذر من اتباع الهوى في أمر الدين قال تعالى ﴿ ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ...﴾ الآية(٢)، ونص على طاعة سيد الخلق أجمعين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ، الذي حمل أشرف رسالة ، وكُلف بأجل مهمة ، وحقق بذلك أسمى غاية ، وببعثته كمل الدين قال تعالى : ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً ...﴾ الآية (٣)
أخرج بدعوته - صلى الله عليه وسلم - الناس من الظلمات إلى النور ، ومن عبادة الأوثان إلى عبادة الواحد القهار، ولم يلقَ - صلى الله عليه وسلم - وجه ربه - تعالى - حتى أوضح لأمته الخير والشر ، وبين معالم الدين ورسوم الطريق قال - صلى الله عليه وسلم - (لقد تركتكم على مثل البيضاء ليلها كنهارها لايزيغ بعدي عنها إلا هالك) (٤) ، فمن تمسك بهديه أفلح وفاز ، ومن حاد عنه خاب وخسر ، ومأواة جهنم وسوء المصير، قال تعالى:﴿ ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين ﴾ (٥)

---

(١) سورة آل عمران جزء من الأية ١٠٣

(٢) سورة القصص جزء من الأية ٥٠

(٣) سورة المائدة جزء من الأية ٣

(٤) السنة لابن أبي عاصم الشيباني تحقيق محمد ناصر الدين الألباني طبعة المكتب الإسلامي حديث رقم ٤٨

(٥) سورة آل عمران أية ٨٥

أما بعـــد: فمن الحقائق الواضحة أن الخلق ليسوا أتقياء وخيرين جميعاً ؛ بل منهم الأشرار ، والحاسدون ، ومنهم المنحرفون والضالون والمنافقون وأصحاب الشبه والأهواء ، فهؤلاء مهمتهم محاربة كل خير ، ومقاومة كل إصلاح ، وعلى هذا فلم يكن الإسلام استثناءً في ذلك ، فمنذ بزغ فجره الأول تكالب هؤلاء ضده وحاكوا المؤامرات ودبروا الخطط لايقاف وهج هذا الضياء الساطع ، ولكنهم لم يفلحوا في تحقيق أهدافهم ، بل كل ما ازدادت محاولات هؤلاء ضراوة وشراسة ، ازداد الإسلام قوة وصلابة ، وشموخاً ورفعة ، مما أجج الحقد في قلوبهم ، ولما أعيتهم الحيل وسدت في وجوههم السبل ، لجأوا إلى المكر والخديعة وإيهام الناس أن كل أفعالهم منسجمة مع أسس الإسلام ومبادئه الخالدة ، ومن جملة الطوائف التي لم تلتزم بتعاليم الإسلام التزاماً يشفع لها بشرف حمل اسمه ، بعض ممن ينتسبون إلى التصوف ـ وهم كثير ـ الذين اختاروا لطريقتهم اسماً غريباً عن الدين الحنيف ، وزعموا أنه من وضع الرسول الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ وصحابته الكرام ـ رضي الله عنهم ـ تدليساً على الناس وغشاً لهم ، والتصوف الذي ارتضوه شعاراً ومنهجاً لطريقتهم ؛ إما أن يكون هو الزهد الإسلامي ، أو يكون مغايراً له ، فإن كان هو الزهد فالأولى استعمال هذا اللفظ الإسلامي والتقيد بأسسه التي وردت في الشرع بدلاً من التصوف ، أما إذا كان مغايراً له فلابد له من أسس وأُطر تخالف روح الزهد حتى يستحق أن يُطلق عليه اسم مختلف.

وحسب ماترسخ لدي من اعتقاد اكتسبته من خلال البحث والاطلاع ، أن التصوف ليس هو الزهد ، وإنهما مغايران لبعضهما ، وإنما

التصوف هو انحراف خطير في فهم الزهد ؛ لأن التصوف لم يأخذ من الزهد إلا الجانب السلبي وهو جانب الترك ، و الزهد المشروع المحمود هو : فعل وترك ؛ فعل كل مافيه خير الدنيا والآخرة ، وترك كل مافيه شر في الدنيا والآخرة ، وأما التصوف فإنه ترك جُل مافيه خير الدنيا ، وفعل ماليس فيه خير في الدنيا والآخرة (١) ، ويتمثل ذلك بوضوح في فهم الصوفية لعقيدة التوكل ، والتي أساء الصوفية فهمها على الرغم من شدة وضوحها ، ووضوح دلالات نصوصها الشرعية ، فحولوا بهذا الفهم السقيم التوكل من حافز شرعي ومعنوي للعمل والانتاج ورفعة الإسلام وتحقيق خيري الدنيا والآخرة إلى سلوك خاطئ يدعو للكسل والخمول والبطالة وترك كثير من الواجبات المطلوبة شرعاً مما ترتب عليه الحاق الضرر والأذى بالإسلام وأهله من خلال تحول قطاع عريض ممن يتّبعون طريق التصوف إلى عاطلين وسلبيين في شتى مجالات الحياة ، وتحولوا إلى عالة على المجتمع الإسلامي يضطر في النهاية إلى خدمتهم والتكفل بأرزاقهم ومعاشهم ؛ لأنهم لم يستطيعوا كسب عيشهم بمفردهم ، لزعمهم أن ذلك يُنافي التوكل الذي أُمروا به ، مماجعل التصوف يصبح طريقاً سهلاً لكل من يبحث عن الراحة والدعة ويريد أن يُلقي هموم معاشه ورزقة على الآخرين •

---

(١) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم طبعة دار عالم الكتب ١٤١٢هـ ج ١ص٥١١

وتبعاً لذلك فقد تباينت الآراء والمواقف حيال التصوف تبايناً كبيراً ، فمن الناس من يدينون التصوف ويهاجمونه بضراوة وعنف دون بيان مالدى بعض القوم من حق (١) ويقف البعض الآخر إلى جانبه ويدافعون عنه باستماتة وتعصب متجاهلين مافي التصوف من أمور لايقرها الشرع (٢) وهناك اتجاه ثالث يدرس التصوف بموضوعية واتزان مبيناً نواحي الانحراف والضلال ومبرزاً ماعليه بعض الصوفية من الحق (٣) وهذا المنهج هو ماسوف انتهجه في هذا البحث ، فأبين مالهم بتجرد تام واذكر ماعليهم كذلك ، ولكن مع ذلك فالمنهجية العلمية الدقيقة وتحليلاتها البعيدة عن العواطف والانفعالات لاتقدم لقضية التصوف شهادات في مصلحته (٤) على الأقل في بعض الجوانب.

ومما دفعني إلى البحث في هذا الموضوع أهميته الكبرى للأمة الإسلامية وتتمثل بعض جوانب تلك الأهمية فيما يلي :

---

(١) انظر التصوف في الإسلام عمر فروخ دار الكتاب العربي طبعة ١٩٨٠م ص٩

(٢) انظر التعرف لمذهب أهل التصوف للكلاباذي تحقيق الدكتور عبد الحليم محمود دار احياء الكتب العربية ص ٢و حقائق عن التصوف عبد القادر عيسى مكتبة الفارابي حلب الطبعة الخامسة ص٤٧٧ وغيرها

(٣) انظر العقلية الصوفية ونفسانية أهل التصوف علي زيعور بيروت دار الطليعة طبعة ١٩٧١م ص٥ وكذلك مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عن الصوفية والتصوف .

(٤) معجم المصطلحات الصوفية الدكتور أنو أبي خزام مكتبة لبنان ص ٢٨

١ـ الموضوع له أبعاد هامة تتعلق بالجانب الديني والجانب الاجتماعي والاقتصادي •

٢ـ قصور وعدم كفاية الدراسات السابقة ، من خلال ما وقع تحت يدي منها•

٣ـ محاولة كشف الأفكار الدخيلة التي تسربت إلى هذا الجانب من العقيدة الإسلامية من الديانات والثقافات الأخرى •

٤ـ دراسة هذا الموضوع والوقوف على كافة جوانبه وايضاح الأخطاء فيه ثم تصويبها وذلك أمر هام يحتاجه المسلمون لمواجهة مثل هذه الدعاوي الدخيلة على الإسلام ومن يقف خلفها أو يتبناها •

٥ـ وتتأكد أهمية الموضوع في كونه لايزال حياً أمامنا وموجوداً بقوة وله من يدعون إليه ويشيدون بمن تبناه في السابق (١) ويدعون غيرهم للسير فيه •

وقد استخدمت في هذه الدراسة المنهج التحليلي المنتهي إلى الاستنباط مع الاستعانة بالمنهج التاريخي في بعض القضايا ، وذلك حتى تخرج هذه الدراسة بصورة علمية موضوعية •

وتبعاً لذلك فقد كانت خطة البحث كمايلي:

يتكون البحث من : مقدمة ، وتمهيد ، وثلاثة أبواب ، وخاتمة •

١ـ المقدمة : تتضمن بياناً بأسباب اختيار الموضوع ومنهج الدراسة •

٢ـ التمهيد : ويتضمن بيان خطر الاحداث في الدين •

---

(١) انظر مثلاً كتاب حقيقة الصوفية تأليف أبي سعيد التونسي مكتبة الفارابي ص٥ ومابعدها

٣- الباب الأول : الصوفية تعريف وتاريخ وفكر ؛ ويتكون من فصلين :

الفصل الأول: التعريف بالصوفية ونشأتها .

الفصل الثاني: العوامل التي أسهمت في تكوين الفكر الصوفي .

٤- الباب الثاني : التوكل ، حقيقته ، ومصادره ، وعلاقته بالقضاء والقدر والأخذ بالأسباب ؛ ويتكون من ثلاثة فصول :

الفصل الأول: حقيقة التوكل.

الفصل الثاني: مصادر التوكل عند أهل السنة والجماعة .

الفصل الثالث: علاقة التوكل بالقضاء والقدر والأخذ بالأسباب .

٥- الباب الثالث: التوكل عند الصوفية وموقف العلماء منه ؛ ويتكون من ثلاثة فصول :

الفصل الأول: التوكل عند الصوفية .

الفصل الثاني مظاهر التوكل عند الصوفية .

الفصل الثالث: موقف العلماء من التوكل عند الصوفية .

وأخيراً الخاتمة والتي تتضمن : أهم النتائج التي توصلت إليها في هذه الدراسة ، والتوصيات ، والفهارس العامة للرسالة .

وفي الختام أود أن أشير إلى أنني اجتهدت في هذه الرسالة قدر استطاعتي ولكن الوقوع في الخطاء والتقصيرمن لوازم البشرية ، فإن وفقت في هذه الدراسة كان ذلك بفضل من الله سبحانه وإن أخطاءت فإن ذلك من نفسي ، واستغفر الله - تعالى - وأتوب إليه من كل هفوة أو

زلــه ﴿ ٠٠٠ربنا لاتؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ٠٠٠﴾ (١)

ثم أتقدم بالشكر الجزيل لكل من قدم لي النصح والإرشاد ، أو قدم لي العون والمشورة ،

والحمــــــــد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ٠

الباحـــــث

١٤١٦هـــ

(١) سورة البقرة جزء من الآية ٢٨٦

التمهيـــــــــــــد

خطر الإحداث في الدين

الإسلام دين الفطرة أنزله الله على نبيه محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأمره بتبليغه رحمة للعالمين قال تعالى : ﴿ هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً ﴾ (١) وقال تعالى :﴿ هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين ﴾ (٢) وقال تعالى : ﴿ هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ﴾ (٣) وأمر الله سبحانه وتعالى عباده باتباع الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وجعل هذا الاتباع سبيلاً إلى نيل حبه ووسيلة لتحقيق رضاه وحصول غفرانه قال تعالى : ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم ﴾ (٤) وربط سبحانه وتعالى بين طاعته وطاعة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وجعل الأمر بطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم مندرجاً في الأمر بطاعته ليبين أن طاعته سبحانه لا تتحقق إلا بطاعة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ إذ إن طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم دون طاعة الله أمر غير مقبول ؛ لأن طاعة الله وطاعة الرسل ـ صلى الله عليه وسلم ـ أمران متلازمان قال تعالى : ﴿ قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين ﴾(٥)

---

(١) سورة الفتح آية ٢٨

(٢) سورة الجمعة آية ٢

(٣) سورة الصف آية ٩

(٤) سورة آل عمران آية ٣١

(٥) سورة آل عمران آية ٣٢

وقال تعالى: ﴿ وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون ﴾ (١) وقال تعالى : ﴿ ٠٠٠ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ﴾ الأية (٢) وقال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ولاتولوا عنه وأنتم تسمعون ﴾ (٣) وقال تعالى :﴿ ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فألئك هم الفائزون ﴾ (٤) وقال تعالى : ﴿ ٠٠٠ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً ﴾ الأية (٥) وفي آيات كثيرة من القرآن كرر الله سبحانه فيها الأمر بطاعة الرسول بعد الأمر بطاعته ليشير بذلك إلى أن طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم هدف ينبغي قصده بذاته بجانب طاعة الله سبحانه وأن طاعته صلى الله عليه وسلم لا تقل في أهميتها عن طاعة الله ، يقول الله ـ تعالى ـ : ﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ٠٠٠﴾ الأية (٦) ويقول تعالى: ﴿ قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن تولوا فإنما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم وإن تطيعوه تهتدوا ٠٠٠﴾ (٧) والله سبحانه وتعالى قد اشترط لحصول رضاه وتفضله بالثواب والرحمة في الدنيا والآخرة اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم ومناصرته ولا يُكتفى – لحصول ذلك – بمجرد الإيمان دون أن يكون مصحوباً بهذا الاتباع والاحترام قال الله ـ تعالى ـ : ﴿ ٠٠٠ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآيتنا

---

(١) سورة ال عمران آية ١٣٢
(٢) سورة الفتح آية ١٧
(٣) سورة الأنفال آية ٢٠
(٤) سورة النور آية ٥٢
(٥) سورة الأحزاب آية ٧١ (٦) سورة النساءآية ٥٩ (٧) سورة النور آية ٥٤

يؤمنون الذين يتبعون الرسول النبـي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم فـي التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه ألئك هم المفلحون ﴾ (١) هذا هو التوجية القرآني الذي دعا المسلمين إلى إتباع الرسول - صلى الله عليه وسلم - وعدم مخالفته ، وهذه هي الدعوة القرآنية التي تحث المسلمين على وجوب أتباع المنهج الذي سار عليه النبي - صلى الله عليه وسلم - وربى أصحابه عليه فكانوا مثالاً حياً للإسلام وقدوة حسنة يقتدى بها .

أما السنة النبوية فقد أعطت توجيهات رائدة في وجوب الاتباع والالتزام بالمنهج الذي سنه النبي - علية السلام - ونوعت التعبير عن ذلك زيادة في التأكيد والتوضيح وألمح ذلك في قوله علية السلام : (كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى) قالوا : يا رسول الله ومن يأبى ؟ قال : (من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى) (٢)

وعن عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (من أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة) (٣)

وعن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قا ل: (اثنان خير من واحد وثلاثة خير من اثنين وأربعة خير من ثلاثة فعليكم بالجماعة فإن الله لن يجمع

---

(١) سورة الأعراف الأيات : ١٥٦ – ١٥٨

(٢) رواة البخاري في الصحيح كتاب الاعتصام بالسنة حديث رقم ٧٢٨٠ المطبعة السلفية الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ وورد في فيض القدير في شرح الجامع الصغير للمناوي دار الحديث القاهرة حديث رقم ٦٢٨٠

(٣) حديث صحيح ورد بكتاب السنة للحافظ أبي بكر بن عاصم الشيباني ط المكتب الإسلامي حديث رقم (٨٧)

أمتي إلا على هدى) (١) والأحاديث أكثر من أن تحصى في هذا الموضع كلها تدل على وجوب التمسك بالكتاب والسنة فالخير كله في الاتباع لمنهج القرآن والسنة النبوية المطهرة وإلى هذا المنهج أشار الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله : (ما أنا عليه وأصحابي) (٢) وقد سار على هذا المنهج المسلمون فأدوا العبادات العملية مراعين الإخلاص فيها متذوقين حلاوتها مدركين أسرارها مقتفين أثر الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم - عالمين أن العبد لا يصل إلى درجة الإحسان إلا بإخلاصه في العبادة ولقد تعرض الإسلام منذ انبثاق فجره إلى خصوم أشداء وأعداء ألداء حالوا تقويض بنيانه وتحطيم أركانه عن طريق تشوية معالمه ودس الأباطيل والخرافات في علومه والإحداث في الدين باختراعهم طريقة تضاهي الشرعية يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله سبحانه (٣) غير موجودة في كتاب الله وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - ولم يقتصر الأمر على ذلك بل إنهم عطلوا أحكام الشريعة وأسقطوا عن أنفسهم التكاليف وأباحوا المخالفات وارتكبوا المحرمات والمحظورات ولم يقفوا عند حدود الشرع فأصبحوا بذلك ضالين منحرفين لبثهم هذه الأفكار المسمومة الدخيلة على الإسلام والجرأة على حدود الله ونظراً لخطر هذه الفئة التي استحدثت طقوساً لها وأدخلتها في الإسلام مما جعلها واقعة تحت تحذير الرسول صلى الله عليه وسلم ومخالفة لنص القرآن لذا سأعرض لهذا الخطر في ضوء الكتاب والسنة :

---

(١) حديث صحيح رواة أحمد في مسنده (فيض القدير في شرح الجامع الصغير حديث رقم ١٦٣)

(٢) رواه الترمذي عن ابن عمرو رضي الله عنهما (فيض القدير حديث رقم ٧٥٣٢)

(٣) انظر الاعتصام تأليف ابراهيم بن موسى أبو اسحاق الشاطبي ط دار التحرير التجارية ج١ ص ٣٧

أولاً : في ضوء الكتاب الكريم .

لقد حذر الله سبحانه وتعالى من الإساءة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم في حياته أو الإساءة إلى سنته بعد وفاته بتقديم غيرها عليها أو بمخالفتها أو الخروج على توجيهاتها فيقول سبحانه وتعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله إن الله سميع عليم يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون ﴾ (١)

ويبين الله العواقب الوخيمة لهذه الإساءة في الدنيا والآخرة فيقول جل علاه ﴿ ...فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ﴾ الأية (٢) ويجعل الخروج ولو مرة عن حد الاتباع والتسليم للرسول صلى الله عليه وسلم ضلالاً واضحاً وانحرافاً لاشك فيه فيقول : ﴿ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبيناً ﴾ (٣) وإذا كانت هذه الآيات تنتظم في سلك واحد : هو الأمر باتباع الرسول والتحذير من مخالفته في شيء مما جاء به فإن آيات كثيرة تحدثت عن القرآن بصفة خاصة تبين هدايته وتوجه إلى اتباعه وتحذر من مخالفته أو الابتعاد عنه

---

(١) سورة الحجرات آية : ١، ٢

(٢) سورة النور آية : ٦٣

(٣) سورة الأحزاب آية : ٣٦

ومنها قوله تعالى: ﴿ وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون ﴾ (١) وقال تعالى : ﴿ اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلاً ماتذكرون ﴾ (٢) وقال تعالى : ﴿ كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب ﴾ (٣)

فهذه الآيات تدل على أن النجاح التام في الاتباع قال تعالى : ﴿ الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وألئك هم أولو الألباب ﴾ (٤) وأفضل ما يتبع ويسمع له هو المعصوم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال تعالى : ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ٠٠٠ ﴾الأية (٥) فالسعادة كل السعادة في اتباع المنهج الذي رسمه القرآن قال تعالى : ﴿ ٠٠٠فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ﴾ الأية (٦) كما أن الشقاء كل الشقاء لمن أعرض عن المنهج القرآني وخالفه فيكون بذلك ظالماً لنفسه مستحقاً اللعنة من الله قال تعالى : ﴿ ٠٠٠ألا لعنة الله على الظالمين الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجاً وهم بالآخرة هم كافرون ﴾الأية (٧) والقرآن الكريم وضح حال هؤلاء المنحرفين فقال جل علاه ﴿ وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون ﴾ (٨) وقال تعالى : ﴿ ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله ٠٠٠ ﴾ الأية (٩)

---

(١) سورة الأنعام آية : ١٥٥
(٢) سورة الأعراف آية : ٣
(٣) سورة ص آية : ٢٩
(٤) سورة الزمر آية : ١٨
(٥) سورة الحشر جزء من آية : ٧
(٦) سورة طه جزء من الآية ١٢٣
(٧) سورة هود الآيات : ١٨ - ١٩
(٨) سورة الزمر آية : ٤٥
(٩) سورة البقرة جزء من الآية : ١٦٥

ثانياً : السنـــــة : .

وإذا كـان القـرآن وضـح حــال هـؤلاء المنحرفيـن عـن المنهـج بأحداثهم فـي الديـن ، وحكـم عليهـم بـالضلال والشـقاء فـإن السـنة المطهـرة زادت الأمر وضوحاً وبينت خطر هؤلاء الضالين الذين خالفوا شريعة اللـه فيقول عليـه السـلام : (كـل أمتـى يدخلـون الجنـة إلا مـن أبـى) قـالوا : يـا رسول الله ومن يأبى ؟ قـــال : (من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقـد أبى) (١) ويوضح الرسول – صلى الله عليه وسلم – هذا النفـور مـن السـنة والابتعاد عنها رغم مافيها من النفع فـي الدنيـا والآخـرة بصـورة محسوسـة واضحـة فيقول عليه السلام (والذي نفسي بيـده لتدخلـن الجنـة كلكـم إلا مـن أبى وشرد على الله كشراد البعير ... قالوا يا رسول الله ! ٠٠٠ومـن يـأبى أن يدخل الجنة ؟ قال : من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبـى)(٢) و طاعة رسول الله هي الانقياد لسنته مع رفض قول كل من قـال شيئاً فـي ديـن اللـه عـز وجـل بخـلاف سنته أو الاحتيـال فـي دفـع السـنن بالتـأويلات المضمحلـة والمخترعـات الباطلـة ، فدعوتـه عليـه السـلام ضمـت الدعـوات ورسالته هي الوسيلة الوحيـدة للنجـاة واتباعهـا أسـاس القبـول عنـد اللـه وأن الابتعاد عنها – على أي حـــال – تعـرض للهـلاك وابتعـاد عمـا يجـب علـى الإنسان نحو نفسه من إصلاح يقول الرسول الكريم ـ صلـــــــى الله عليـه وسلم : (إنما مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل أتى قومـاً فقال : يـا قوم إني رأيت الجيـــــش بعيّني وإني أنا النذيرالعريان فالنجاء فأطاعة

---

(١) رواه البخاري في الصحيح كتاب الاعتصام بالسنة عن أبي هريرة رضي الله عنه حديث رقم ٧٢٨٠

(٢) حديث صحيح رواه ابن حبان عن أبي سعيد الخدري جـ١ص١٥٣ونكره الهيثمي في مجمع الزوائد نشر المقدس سنة ١٣٥٣هـ وقال رواة الطبراني ورجاله رجال الصحيح ٠

طائفة من قومه فأدلجوا فانطلقوا على مهلهم فنجوا وكذّبت طائفة منهم فأصبحوا مكانهم فصبّحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم فذلك مثل من أطاعني فاتّبع ما جئت به ومثل من عصاني وكذب بما جئت به من الحق) (١)

ويضرب الرسول عليه السلام أمثلة لموقف الناس من دعوته تصور في صورة محسوسة أهمية السنة وعاقبة الخروج عليها ومن ذلك ما روى عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم: (إنما مثلي ومثل الناس كمثل رجل استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله جعل الفراش وهذه الدواب التي تقع في النار يقعن فيها فجعل ينزعهن ويغلبنه فيقتحمن فيها فأنا آخذ بحجزكم عن النار وهم يقتحمون فيها) (٢) ومقصود الحديث أنه صلى الله عليه وسلم شبه تساقط الجاهلين والمخالفين بمعاصيهم وشهواهتم في نار الآخرة وحرصهم على الوقوع في ذلك مع منعه إياهم بتساقط الفراش في نار الدنيا لضعف تمييزه وكلاهما حريص على هلاك نفسه ، والحديث مع ذلك فيه تحذير لمن ينطلقون في الحياة دون استرشاد بالسنة وتصوير لحالهم بحال من يندفع نحو النار بلا تبصر ولا تمييز ويدفع اليد التي تريد أن تحجزه عن السقوط ويتسور الأسوار التي تحول بينه وبينها.

وإذا كان هذا هو حال من يترك الاسترشاد بالسنة فما بالك بمن يتجاهل السنة أو يستبدل بها البدعة ؟ .. إنه يصنع ناره بيده ويلقى بنفسه فيها بلا

---

(١) رواه البخاري في الصحيح كتاب الاعتصام بالسنة حديث رقم ٧٢٨٣

(٢) متفق عليه (اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان تأليف محمد فؤاد عبد الباقي دار الريان للتراث حديث رقم ١٤٧٢)

وعي ولا تبصر فما جاء به الرسول- صلى الله عليه وسلم - شريعة تامة كاملة والزيادة على ما تم وكمل لا حاجة إليها وإذا ما حاول أحد أن يزيد فيها شيئاً فإنه يخرج بها عن الكمال إلى النقص ويبعد بها عن التمام لأن كل زيادة عليها لغو لا حاجة إليه وإلى هذا كانت إشارة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم في قوله : (إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون: هلا وُضعت هذه اللبنة ؟ قال : فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين) (١) فاتباع السنة واجب والتوقف عن اتباع السنة لأي سبب وعلى أي حال لا يجوز فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (دعوني ما تركتكم فإنما أهلك من كان قبلكم سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه وإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم) (٢) وعن عائشة رضي الله عنها قالت : صنع النبي صلى الله عليه وسلم شيئاً ترخص فيه وتنزه عنه قوم فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: (ما بال أقوام يتنزهون عن الشيء أصنعه ؟ فو الله إني أعلمهم بالله وأشدهم له خشية) (٣) وهو بذلك يشير إلى أن كل تصرفاته وأعماله قائمة على أساس من العلم الصادق والعبادة الصحيحة فلا يمكن أن يكون من الأعمال ما يزيد في الثواب عليها أو يوصل إلى الله أسرع منها ؛ لإن التنزه عما رخص فيه النبي من أعظم الذنوب لأنه يرى نفسه أتقى لله من رسوله صلى الله

---

(١) رواه البخاري في الصحيح كتاب المناقب حديث رقم ٣٥٣٥

(٢) رواه البخاري في الصحيح كتاب الاعتصام بالسنة حديث رقم ٧٢٨٨

(٣) رواه البخاري في الصحيح كتاب الاعتصام بالسنة حديث رقم ٧٣٠١

عليه وسلم ـ وهذا إلحاد (١)

ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقطع الطريق على كل من تسول له نفسه الإحداث في الدين من تعذيب النفس بما لا تطيق من التشديد عليها في الطاعة أو تحريم الحلال على أنه طريق من طرق التقرب إلى الله فعن عائشة رضي الله عنها : (أن رجلاً جاء إلى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يستفتيه وهي تسمع من وراء الباب فقال : يارسول الله تدركني الصلاة وأنا جنباً أفأصوم ؟ فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (وأنا تدركني الصلاة وأنا جنب فأصوم) فقال : لست مثلنا يارسول الله قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، فقال : (والله إني لأرجو أن أكون أخشاكم لله وأعلمكم بما أَتّبع وأتقي) (٢) والأحاديث كثيرة في هذا الباب فالإيمان هو مصدر الحياة بالنسبة للناس و الاتباع هو أساس تحقق هذا الإيمان ، يقول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم(إن مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضاً فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير وكان منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا منها وسقوا ورعوا وأصاب طائفة منها أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعَلِمَ وعَلَّمَ ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم

---

(١) البدعة الدكتور عزت علي عطية دار الكتاب العربي الطبعة الثانية سنة ١٤٠٠ هـ ص٧٣

(٢) صحيح مسلم للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري طبعة المكتبة الإسلامية تركيا الطبعة الأولى ١٣٧٤هـ كتاب الصيام حديث رقم ٧٩

يقبل هدى الله الذي أرسلت به)(١) فالرسول عليه السلام يشبه من أعـرض عن السنة أو أهمل التعرف عليها والبحث عنها بالأرض السبخة التي لا نفع فيها ، لإنها لا تمسك ماءً ولا تنبت زرعاً ؛ بل قد يمتد ضررها إلى ما جاورها من الأرض الطيبة عن طريق العدوى وهذا يبين خطر هؤلاء الصوفية الذين انحرفوا عن المنهج الإسلامي فالروايات الصحيحة عرضت صوراً صادقة توضح شؤم الابتعاد عن السنة ومواجهتها بالاعتراض في الدنيا والآخرة أما في الدنيا فيبينه ما يلي : ـ

١ ـ عن سلمه بن الأكوع رضي الله عنه أن رجلاً أكل عند رسول الله بشماله فقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (كل بيمينك) قال : (لا استطيع)۰ قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (لا أستطعت ما منعه إلا الكبر) قال : (فما رفعها إلى فيه) (٢)

٢ ـ وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : أول سورة أنزلت فيها سجدة (والنجم) قال: فسجد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وسجد من خلفه إلا رجلاً رأيته أخذ كفاً من تراب فسجد عليه فرأيته بعد ذلك قتل كافراً ٠٠٠) (٣) فما أصاب المسلمين على مدى تاريخهم الطويل مرجعه إلى الابتعاد عن المنهج الإسلامي والاستهتار بالدين والجري وراء الخرافات والأضاليل . وأما في الآخرة فالأمر أشد والعاقبة أعظم :

فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ترد عليَّ أمتي الحوض وأنا أذود الناس عنه كما يذود الرجل إبل

---

(١) متفق عليه ورد برياض الصالحين للإمام أبي زكريا النووي طبعة دار الرشد الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ حديث رقم ١٦٢ ورواة أبو داود جـ١ ص٣٧٤

(٢) رواه مسلم في الصحيح (رياض الصالحين حديث رقم ١٥٩)

(٣) رواه البخاري في الصحيح كتاب التفسير حديث رقم ٤٨٦٣

الرجل عن إبله) قالوا : يا نبي الله أتعرفنا ؟ قال : (نعم لكم سيما ليست لأحد غيركم تردون عليّ غراً محجلين من آثار الوضوء وليصدن عني طائفة منكم فلا يصلون فأقول يارب هؤلاء من أصحابي فيجيبني ملك فيقول: وهل تدري ما أحدثوا بعدك ؟) (١) ويحذر الرسول صلى الله عليه وسلم من تغير الظروف وتبدل الأحوال إذا ما ظهرت الفتن واستحكم الخلاف واستحدثت الخرافات والأضاليل فعن العرباض بن سارية ـ رضي الله عنه ـ قال : وعظنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ موعظة بليغة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون فقلنا: يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا ؟ قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن تأمرعليكم عبد وإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً ! فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة) (٢) وعن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال : قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إنكم سترون بعدي أثرة وأموراً تتكرونها) قالوا : فما تأمرنا يا رسول الله ؟ قال : (أدّوا إليهم حقهم وسلوا الله حقكم) (٣) وفي هذين الحديثين أمر بملازمة السنة على كل حال وبيان لتوجيه هام من توجيهات السنة ويعبر الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن ملازمة السنة بهذا التعبير الذي لا تخفى دلالته الواضحة المعبرة "عضوعليها بالنواجذ ".

---

(١) رواه مسلم في الصحيح كتاب الطهارة حديث رقم ٣٧

(٢) رواة أبو داود والترمذي وقال حديث حسن صحيح (رياض الصالحين حديث رقم ١٥٧)

(٣) رواه البخاري في الصحيح كتاب الفتن حديث رقم ٧٠٥٢

ويؤكد الرسول صلى الله عليه وسلم هذا الأمر بملازمة السنة بما يؤيده من ناحية المفهوم وهو النهي عن البدعة أو محدثات الأمور المخالفة للدين وقد كرر الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ الأمر بالتمسك بالسنة والتحذير من الإحداث في الدين في كثير من خطبه فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : (كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه كأنه منذر جيش يقول صبحكم مساكم ويقول : أما : بعد فإن خير الأمور كتاب الله وخير الهدي هدي محمد وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة) (١) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص من آثامهم شيئاً) (٢) ويغضب الرسول صلى الله عليه وسلم ممن ظن من الصحابة أنه في تصرف من تصرفاته ـ صلى الله عليه وسلم ـ يخرج عن حدود التعاليم التي جاء بها تحت تأثير عوامل نفسية أو اجتماعية وينزل من القرآن مايرد مثل هذا الظن الخاطئ فقد أختصم رجل من الأنصار وعبد الله بن الزبير ـ رضي الله عنه ـ عند النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ في شريج (*) من الحرة التي يسقون بها النخل فقال النبي عليه السلام: (اسق يازبيرثم أرسل الماء إلى جارك) فقال الأنصاري يارسول الله

---

(١) رواه مسلم في الصحيح كتاب الجمعة وابن ماجة في سننه (فيض القدير حديث رقم ٦٦٥٦) واللفظ لمسلم

(٢) رواه مسلم في الصحيح (رياض الصالحين حديث رقم ١٧٤)

(*) الشريج : مسيل الماء ، والحرة : أرض بركانية في ظاهر المدينة فيها مسايل ماء للزرع .

ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن كان ابن عمتك ؟ فتلون وجهه ـ صلى الله عليه وسلم ثم قال : (اسق يازبير ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجدر ، ثم أرسل الماء إلى جارك) قال الزبير- رضي الله عنه ـ فما أحسب هذه الآية إلا نزلت في ذلك ﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ﴾ (١)

ويدعو الرسول صلى الله عليه وسلم إلى أن يكون المسلم مع السنة في كل حالاته وفي جميع شؤونه سواء في ذلك وقت النشاط والهمة أو وقت الفتور والاسترخاء فيقول ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (إن لكل عمل شره ولكل شره فترة فمن كانت فترته إلى سنتي فقد اهتدى ومن كانت إلى غير ذلك فقد هلك) (٢)

ويلعن صلى الله عليه وسلم تارك السنة فيمن يلعن من أصحاب الكبائر والمحدثين في الدين فيقول ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (ستة لعنتهم لعنهم الله وكل نبي مجاب : الزائد في كتاب الله والمكذب بقدر الله تعالى والمتسلط بالجبروت فيعز بذلك من أذل الله ويذل من أعز الله والمستحلّ لحرم الله والمستحل من عترتي ما حرم الله والتارك لسنتي) (٣)

ويجعل الرسول صلى الله عليه وسلم من يرجع بالإسلام إلى ما كانت عليه الجاهلية فيما كبر أو صغر من أبغض الناس إلى الله فيقول :

(أبغض الناس إلى الله ثلاثة : ملحد في الحرم ومبتغ في الإسلام سنة الجاهلية ومُطلب دم امرئ بغير حق ليهريق دمه) (٤)

---

(١) رواه البخاري في الصحيح كتاب التفسير حديث رقم ٤٥٨٥

(٢) رواه البيهقي في شعب الإيمان عن ابن عباس ورجاله رجال الصحيح (فيض القدير حديث رقم ٢٤٢٦)

(٣) رواه الحاكم والترمذي عن عائشه وابن عمر رضي الله عنهم (فيض القدير حديث رقم ٤٦٦٠)

(٤) رواه البخاري في الصحيح كتاب الديات عن ابن عباس رضي الله عنهما حديث رقم ٦٨٨٢

وقد رد رسول الله صلى الله عليه وسلم على المحدثين في الدين وأعطى الميزان الصحيح لتمييز ما هو من الدين مما ليس من الدين بقوله عليه السلام (من أحدث في أمـــرنا هذا ما ليس منه فهو ردّ) (١) وفي رواية : (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردّ) (٢) وفي هذا ما يبين أن من عمل بالبدعة كمن ابتدعها في الخروج عن الدين وإن تفاوتا في قيمة الوزر .

وبعد كان هذا العرض دافعي أن أقول: إن هؤلاء الصوفية الذي انحفروا عن المنهج الإسلامي متمسكين بالخرافات والأضاليل التي لا تنتسب إلى الإسلام هم خطر على المجتمع الإسلامي فإن تركوا بدون مواجهة فإنهم سينشرون أفكاراً هدامة تجعل المجتمع يبتعد نهائياً عن الدين لأنها أفكار مناقضة للتوحيد وهدي سيد المرسلين ـ عليه السلام ـ فقد ناصروا وساعدوا الأعداء على احتلال البلاد الإسلامية ، مثبطين العزائم بدعوى التوكل على الله ، مما أدى إلى سقوط بعض البلاد الإسلامية بيد الأعداء دون مقاومة معطلين الجهاد ذروة سنام الإسلام ، ولا يقتصر الأمر على ذلك بل الخطورة تتضح من نتائج ترسيخ بعض الاعتقادات المنحرفة مثل قولهم : إن العبادة تعني محبة الله فقط دون العمل بالشرائع وأن العبادات تسقط في مرحلة معينة والتنصل من التكليف فيصبح العاصي بمنزلة العابد فينتشر المنكر ويقل المعروف وتفتح أبواب من الشر غلقوها والوقوف دونها مما تنعقد عليه عزائم الرجال المحبين لمنهج رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم

---

(١) رواه الشيخان وأبو داود وابن ماجة(كشف الخفاء حديث رقم ٢٣٥٨)

(٢) رواه البخاري في الصحيح كتاب الاعتصام بالسنة باب إذا اجتهد العامل أو الحاكم .

وبقاؤها دون غلق يحقق مراد قوم ﴿ يريـدون ليطفئـوا نـور اللـه بـأفواههم والله متم نوره ولو كره الكـــــــافرون ﴾ (١) •

---

(١) سورة الصف أية : ٨

الباب الأول

الصوفية تعريف وتاريخ وفكر

ويتكون من فصلين : -

الأول : التـــعريف بالصـوفية ونشـــــــــــأتها .

الـثاني:العوامل التي أسهمت في تكوين الفكرالصوفي ٠

الفصل الأول

التعريف بالصوفية ونشأتها

ويتضمن مبحثين :

المبحث الأول : التعريف بالصوفيـــــة .

المبحث الثاني : نشـأة الصـــــــوفية .

المبحث الأول : التعريف بالصوفية :-

تعددت المواقف عند كتّاب التصوف الإسلامي في أصل المصدر الذي اشتقت منه كلمة :(صوفية) و(تصوف) ، وللوقوف على هذه الأقوال والآراء سأعرض فيما يلي أهم ما ذكر في هذا الخصوص

الرأي الأول : النسبة إلى الصفة : -

الصفة هي الموضع الذي بني لإيواء جماعة من المسلمين بالمسجد النبوي الشريف ، الذين هاجروا من مكة المكرمة تاركين أموالهم وأهليهم ،أو من الفقراء الذين لا يجدون ما يسدون به حاجتهم، (١) وقد عُرف هؤلاء الصحابة المهاجرون بأهل الصفة (٢)، ونظراً لما تميزبه أهل الصفة من زهد وعبادة فقد حاول بعض الصوفية وغيرهم رد أصل التسمية (صوفية) إلى (الصفة) بدعوى الشبه بينهما .

---

(١) انظر الرحيق المختوم تأليف صفي الرحمن المباركفوري دارالقلم بيروت لبنان ط١ سنة ١٤٠٦هـ ص١٨٠

(٢) التصوف منشوة ومصطلحاته تأليف د/ أسعد السحمراني دار النفائس بيروت لبنان ط١ سنة ١٤٠٧هـ ص١٥

فقد قال السهروردي (١) (قيل سُموا صوفية نسبة إلى الصفة التي كانت لفقراء المهاجرين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم) ؛(٢) وليؤكد الشبه بين الفريقين يقول: (لأن الصوفية يشاكل حالهم حال أولئك لكونهم متآلفين متحابين لله وفي الله كأصحاب الصفة) (٣)

وقال الهجويري (٤) في أصل هذه التسمية عند ما استعرض بعض الأقوال التي قيلت في ذلك :(قالت طائفة :"إنهم سموا كذلك لأنهم يتولون أهل الصفة ") (٥)، وقد قال آخرون :(إنما سموا صوفية لقرب أوصافهم من أوصاف أهل الصفة الذين كانوا على عهد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ) (٦) .

---

(١) هو عبد القاهر بن عبد الله بن محمد بن عموية بن سعد الصديقي البكري ضياء الدين أبو النجيب السهروردي من أئمة المتصوفين ولد سنة ٤٩٠هـ بسهرود وسكن بغداد ، فبنيت له فيها رباطات للصوفية ثم ولي المدرسة النظامية حيث كان يدرس ويملي الحديث وتوفي السهرودي في بغداد سنة ٥٦٣هـ(انظر الأعلام للزركلي دار العلم للملايين جـ٤ص١٧٤ ومعجم المصطلحات الصوفية للدكتور أنور أبي خزام مكتبة لبنان ص٢٣).

(٢) عوارف المعارف تأليف عبد القاهر بن عبد الله السهروردي دار الكتاب العربي ببيروت الطبعة الثانية سنة ١٤٠٣هـ ص٦١.

(٣) المرجع السابق ص٦١.

(٤) هو أبو الحسن علي بن عثمان بن علي الجلابي الحسيني الهجويري الغزنوي صوفي حنفي من علماء الصوفية في القرن الخامس الهجري عاصر الدولة الغزنوية ، يذكر أنه تتلمذ على يد أبي العباس الشقاني واتبع مسلك الصوفية مسترشدا بأبي الفضل محمد بن الحسن الختلي وتلقى بعض التعاليم الصوفية على يد أبي القاسم الجرجاني والتقى بأبي القاسم القشيري الذي يعد من أشهر معاصريه وقد سافر وتجول وقام برحلات واسعة النطاق في أرجاء العالم الإسلامي وقد أحصت له الدكتورة إسعاد قنديل في تحقيقها لكتابه كشف المحجوب ١٢ مؤلفاً توفي سنة ٤٦٥هـ على أرجح الأقوال . (انظر في ترجمته كشف المحجوب ص٧ ومعجم المصطلحات الصوفية ص٢٢) .

(٥) كشف المحجوب للهجويري دراسة وتعليق الدكتورة إسعاد عبد الهادي قنديل راجع الترجمة الدكتور أمين عبد المجيد بدوي دار النهضة العربية للطباعة والنشر ببيروت سنة ١٩٨٠ ص٢٢٧ .

(٦) التعرف لمذهب أهل التصوف تأليف أبو بكر محمدبن اسحاق الكلاباذي دار الكتب العلمية بيروت لبنان الطبعة الأولى ١٤١٣هـ ص١٠ .

المناقشـــــــــة :-

أستطيع أن أشير إلى أن هناك تشابهاً ظاهراً بين حال أهل الصفـة والصوفية من حيـث :الزهـد والفقـر واللبـاس والانقطـاع للعبـادة لا يسـتطيع التمييز بينهما إلا من كان له حظ من العلم والدراسة والبحث، ومع ذلك فـإن نسبة (الصوفية) إلى (أهل الصفة) ليست قوية عند المناقشــة؛ لأن كثـيراً من العلماء والباحثين وجماعة من أهل التصوف رد هذه النسبة ولم يؤيدهـا لعدم صحتها من حيث الاشتقاق اللغوي .

ولهذا فقد قال الهجويري : (... هذا الاسم ـ أي التصوف ـ علـى مقتضى اللغة بعيد عن هذه المعاني) (١) التي منها النسبة إلى الصفة ، فهـو إذنً لا يرى هذه التسمية صحيحة من حيث اللغة؛ (لأن اشتقاق هـذا الاسـم لا يصح على مقتضـى اللغـة مـن أي معنـى ؛لأن هـذا الاسـم أعظـم مـن أن يكون له جنس ليشتق منه) (٢) .

أمــا السهروردي فيرى أن هذا الاسم لا يصح نسبتة إلى أهل الصفــة من حيث اللغة، وذلك بقوله: (وإن كان لا يستقيم من حيث الاشتقاق اللغوي ولكنه صحيح من حيث المعنى) (٣)؛ لتشابه حالهما ظاهرياً .

---

(١) كشف المحجوب للهجويري مرجع سابق ص٢٢٧ .

(٢) نفس المرجع السابق ص٢٣٠ .

(٣) عوارف المعارف تأليف عبد القاهر بن عبد الله السهروردي مرجع سابق ص٦١ .

وينحو هذا المحنى أبوقاسم القشيري (١) الذي قال: (من قال إنهم - أي الصوفية - منسوبون إلى صفة مسجد رسول الله - صلى الله عليه وسلم — فالنسبـــة إلى الصفة لا تجيء على نحو الصوفي) (٢) فهو يرى كذلك أن نسبة الصوفية إلى الصفة غير صحيحة على مقتضى اللغة .

ويرى الإمام ابنَ تيمية (٣) يرحمه الله أن هذه النسبة غيرصحيحة، وذلك حين قال : (وأما من قال هم نسبة إلى الصفة فقد كان حقه أن يقال صفّية ") (٤) هذا عن القول بنسبتهم إلى الصفة فالواضح أنه لايستقيم من هذا الوجه؛لأنه غير مسنود بدليل يعول عليه، فهو إذن مردود.

---

(١) هو عبد الكريم بن هوزان بن عبد الملك بن طلحة بن محمد الاستواتي الإمام أبو قاسم القشيري النيسابوري الملقب زين الإسلام ولد سنة ٣٧٦هـ نشأ يتيماً وظهرت عليه النجابة منذ الصغر لزم عتبة باب أبي علي الدقاق ثم اشتغل بعلوم الشريعة ودرس عند الطوسي وابن فورك والأسفراييني كما نظر كتب الباقلاني وله من المولفات ٣٤ وتوفي سنة ٤٦٥هـ في نيسابور (انظر في ترجمته نحو القلوب الصغير للقشيري تحقيق أحمد علم الدين الجنيدي ليبيا الدار العربية للكتاب سنة ١٩٧٧ ص٢٣ والرسالة القشيرية ص٥) .

(٢) الرسالة القشيرية في علم التصوف تأليف عبد الكريم القشيري تحقيق معروف زريق وعلي عبد الحميد بلطه جي دار الجيل بيروت الطبعة الثانية سنة ١٤١٠هـ ص٢٧٩ .

(٣) هو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن الخضر بن علي بن عبد الله بن تيمية الحراني ثم الدمشقي الحنبلي شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس محدث حافظ مفسر فقيه مجتهد مشارك في أنواع العلوم ولد في ١٠ ربيع الأول بحران وتوفي ٢٠ ذي القعدة بقلعة دمشق من مصنفاته الكثيرة مجموع الفتاوي ومنهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية (انظر في ترجمته معجم المؤلفين عمر رضا كحالة طبعة مكتبة المتنبي بيروت ٢٦١/١).

(٤) مجموع فتاوي شيخ الإسلام ابن تيمية جمع عبد الرحمن بن محمد بن قاسم دارعالم الكتب الرياض جـ١٠ ص٣٦٨.

الرأي الثاني : النسبة إلى الصفاء :-

الصفاء :(ما خلص من ممازجة الطبع... ومزايلة المذمومات) (١) والصفاء: (نقيض الكدر) (٢) والمقصود بالصفاء هنا صفاء الروح وصفاء السريرة ، فالصوفية ينسبون أنفسهم إلى هذه الصفة ؛لما فيها من معان سامية ، وقيم رفيعة وقد ذهب غير واحد من علماء الصوفية إلى القول بإن الصوفية سموا بهذا الاسم؛ لكونهم أهل الصفاء في الأسرار ومقر النقاء في الآثار؛ ولمّا تميزوا بهذه الصفات الحميدة أصبح هذا الاسم من أسماء الأعلام الملازمة لهذه الطائفة .

ويورد الكلاباذي(٣) في التعرف ما يؤيد هذه النسبة، فيقول (قالت طائفة: إنما سميت الصوفية صوفية؛لصفاء أسرارها،ونقاءآثارها) (٤) ويذكر كذلك عن بشربن الحارث (٥) قوله: (الصوفي من صفا قلبه لله) (٦)

---

(١) معجم المصطلحات الصوفية تأليف الدكتور أنور فواد مكتبة لبنان الطبعة الأولى ١٩٩٣(باب الصاد) .

(٢) المعجم الصافي في اللغة العربية/صالح العلي وأمينة الأحمد مكتبة الناصرط١ ١٤٠٩ (باب الصاد).

(٣) هو أبو بكر محمد بن اسحاق بن ابراهيم البخاري الكلاباذي ، علم من أعلام الصوفية أشهر مؤلفاته (التعرف لمذهب أهل التصوف) كتبه في أوائل القرن الرابع الهجري توفي سنة ٣٨٠هـ على الأرجح (انظر في ترجمته في تاريخ التراث العربي فوادسيزكين جـ ٢ص٤٩٢ ومعجم المصطلحات الصوفية د أنور فؤاد ص٢١

(٤) التعرف لمذهب أهل التصوف للكلاباذي ص٩

(٥) هو بشر بن الحارث الحافي يكني أبا نصر ولد في بغداد سنة ١٥٠هـ وتوفي سنة ٢٢٧هـ (انظر صفوة الصفوة لأبي الفرج ابن الجوزي جـ٢ص٢١٤ دار الكتب العلمية بيروت ١٩٨٩ والطبقات الكبرى لابن سعد جـ٧ص٢٤٦ دار الكتب العلمية بيروت ١٩٩٠ .)

(٦) التعرف لمذهب أهل التصوف للكلاباذي ص٩ .

وأما أبـو نعيـم الأصفهـاني(١) فعندما استعرض ، بعض التعاريف للتصوف قال مرجحاً كونه مؤخوذاً من الصفاء ، فقـال : إن (اشتقاقه ـ أي التصوف ـ عـــند أهل الإشارات والمنبئين عنه بالعبارات من الصفاء والوفاء) (٢)

ويسير الهجويري على نفس الاتجاه فيقول : (... إن هذا الاســم ـ التصوف ـــ مشتق من الصفاء) (٣) ويقول : (والصفاء في الجملة محمود ، وضده الكدر ... واسم لطائف الأشياء صفوها ، واسم أوضارها كدرها ، فلما هذب أهل هذا الأمر أخلاقهم ومعاملاتهم ، وتبرأوا من آفات الطبيعة ، فإنهم سموا صوفية وهو اسم لهذه الطائفة من أسماء الأعلام)(٤)

المناقشـــــة:ـ

عند استعراض أقوال من نسبوا التصوف إلى الصفاء ، نجد أنهم لم يستندوا إلى أدلة قوية وواضحة ، تؤيد ما ذهبوا إليه ، وإنما استدلوا بأقوال تتعارض مع أصول الاشتقاق اللغوي للكلمات ؛ ولأن بعض الصوفية مدركون لذلك ، فقد حاولوا تجنب مسألة اللغة حتى يتحقق لهم ما يريدون؛

---

(١) هو أبي نعيم أحمد بن عبد اللـه الأصفهاني صاحب الحلية والطبقات وغيرهما ولد سنة ٣٣٦هـ وتوفي بأصبهان سنة ٤٣٠ هـ أنظر الطبقات الكبرى للشعراني طبعة دار الفكر ١٣٧٤هـ ج١ص٦٥

(٢)حلية الأولياء وطبقات الأصفياء أبو نعيم الأصفهاني جـ١ص١٧ دار الكتاب العربي بيروت الطبعة الثالثة .

(٣) كشف المحجوب ص٢٢٧ .

(٤) كشف المحجوب ص٢٢٧ .

ولهذا قال الهجويري: (فلما هذّب أهل هذا الأمر أخلاقهم ، وتبرأوا من آفات الطبيعة ، فإنهم سموا صوفية وهو اسم لهذه الطائفة من أسماء الأعلام ؛ لأن خطر أهله أجل من أن يمكن اخفاء معاملتهم حتى يلزم لاسمهم الاشتقاق) (١) ويستمر في هذا الاتجاه إلى أن يقول: (واشتقاق هذا الاسم لا يصح على مقتضى اللغة من أي معنى ؛ لأن هذا الاسم أعظم من أن يكون له جنس ليشتق منه) (٢) .

فحسب زعم هؤلاء تكون اللغة العربية التي حوت كلام الله لفظاً وأحكاماً واتسعت لأسماء الله الحسنى وأسماء الملائكة والرسل عليهم السلام - في نظرهم أقل من أن يشتق منها اسم لتصوفهم ؛لأن التصوف - حسب زعمهم - أعظم من كل ما استطاعت اللغة العربية احتواءه ، وهي التي شرفها الله سبحانه بإنزال أقدس كتبه بحروفها ومعانيها ، حيث قال سبحانه وتعالى: ﴿ إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون ﴾ (٣) وقال جل شأنه: ﴿ وكذلك أنزلناه قرآناً عربياً وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكراً ﴾(٤)
وقال تعالى: ﴿ بلسان عربي مبين ﴾ (٥) وقال سبحانه: ﴿ قرآناً عربياً غير ذي عوج لعلهم يتقون ﴾ (٦) .

---

(١) كشف المحجوب للهجويري ص٢٢٧
(٢) كشف المحجوب ص٢٣٠
(٣) سورة يوسف :الآية ٢
(٤) سورة طه :الآية ١١٣
(٥) سورة الشعراء :الآية ١٩٥
(٦) سورة الزمر :الآية ٢٨

فالله ـ سبحانه ـ أمتن على رسول هذه الأمة ـ علية أفضل الصلاة والسلام ـ بأن جعل القرآن بلغته ولغة قومه (وذلك لأن لغة العرب أفصح اللغات ، وأبينها وأوسعها ، و أكثرها تأدية للمعاني التي تقوم بالنفوس ؛ فلهذا أنزل أشرف الكتب بأشرف اللغات ، على أشرف الرسل ، بسفارة أشرف الملائكة وكان ذلك في أشرف بقاع الأرض) (١)

وخلاصة القول أن ادعاء عدم قدرة اللغة العربية على ايجاد جنس يشتق منه التصوف ، غير صحيح ، ونسبة التصوف للصفاء غير صحيحة أيضاً كما قال القشيري :(فاشتقاق الصوفي من الصفاء بعيد في مقتضي اللغة) (٢) ، ويؤيده قول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ(من قال: ـ إن التصوف ـ نسبة إلى الصفاء قيل له: كان حقه أن يقال صفائية،ولوكان مقصوراً لقيل صفوية) (٣) وبذلك يتضح أن هذا القول مردود لعدم صحته

الرأي الثالث : ـ النسبة إلى الصف : ـ

يقصد الصوفية بهذه النسبة أنهم في الصف الأول المقدم بين يدي الله تعالى في عباداتهم وسلوكهم وسائر أحوالهم ؛ ولهذا علق القشيري على قول من قال: (إن التصوف اسم مشتق من الصف) (٤) فقال:(فكأنهم في الصف الأول بقلوبهم من حيث المحاضرة مع الله)(٥) ثم أكد أن هذا (المعنى صحيح) (٦) أي كونهم في الصف الأول المقدم بين يدي الله.

---

(١) تفسير القرآن العظيم للإمام الجليل الحافظ عماد الدين أبو الفداء اسماعيل بن كثير مكتبة دار التراث العربي القاهرة جـ٢ص٤٦٦ (٢) الرسالة القشيرية ص٢٧٩ (٣) مجموع فتاوي شيخ الإسلام جـ١٠ص٣٦٨-٣٦٩

(٤) انظر الرسالة القشيرية ص٢٧٩ (٥) المرجع السابق ص٢٧٩ (٦) نفس المرجع السابق ونفس الصفحة

وكذلك ذكر الكلاباذي قول من قال:(إنماسموصوفيةلأنهم في الصف الأول بين يدي الله جل وعزبارتفاع هممهم إليه،ووقوفهم بسرائرهم بين يديه) (١) ثم قال:(ومن نسبهم إلىالصفة والصف الأول فإنه عبرعن أسرارهم وبواطنهم،وذلك أن من ترك الدنيا وزهد فيها وأعرض عنها ، صفى الله سره ، ونور قلبه) (٢)

المناقشـــــــة : ـ

إن قول الصوفية إنهم في الصف الأول المقدم بين يدي الله سبحانه وتعالى ، قول مردود عليهم ؛ لأنهم بذلك يتكلمون عن أمر غيبي لا يعلمه إلا الله ، وكذلك في قولهم هذا تزكية لأنفسهم بأنهم في الصف الأول المقدم بين يدي الله ، ولأنه لا يصل أحد إلى هذه المرتبة إلا في حالة قبول أعماله ، ثم يتبع ذلك حسن خاتمته ، وهذا الأمر لايعلمه الا الله جل جلاله ، لقوله تعالى: ﴿ ...إنما يتقبل الله من المتقين ﴾ الأية (٣) ولقوله تعالى : ﴿عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً﴾ (٤) وقوله سبحانه ﴿ قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً إلا ماشاء الله ولو كنت أعلم الغيب لا ستكثرت من الخير وما مسني السوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون﴾ (٥)؛ ولهذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم يكثر من الدعاء بأن يثبت الله قلبه وهو

---

(١) التعرف لمذهب أهل التصوف للكلاباذي ص١٠ (٢) المرجع السابق ص١٤

(٣) جزء من الآية ٢٧ من سورة المائدة وتمامها ﴿ واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق إذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنك قال إنما يتقبل الله من المتقين ﴾

(٤) سورة الجن :آية ٢٦ (٥) سورة الأعراف :آية ١٨١ .

الذي غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر (١) فعن أم المؤمنين عائشة ـ رضي الله عنهما ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان يكثر أن يقول: (يا مثبت القلوب ثبت قلبي على دينك) فقلت : يا رسول الله إنك تكثر أن تدعو بهذا الدعاء فهل تخاف ؟ قال : (نعم وما يؤمني أي عائشة وقلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن ؟) (٢) وقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ :(ما من امرىء إلا قلبه بين أصبعين من أصابع الرحمن ، إن شاء أن يزيغه أزاغه ، وإن شاء أن يقيمه أقامه) (٣) وقال ابن أبي مليكه (٤) (أدركت ثلاثين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كلهم يخاف النفاق على نفسه) (٥) وفي الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (إن الرجل ليعمل عمل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار ، وإن الرجل ليعمل بعمل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة، وإنما الأعمال بخواتيمها) (٦)

---

(١) قال تعالى: ﴿ليغفرلك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطاً مستقيماً﴾ الفتح :الآية ٢

(٢) كتاب السنة للحافظ أبي بكر عمر بن عاصم الشيباني المكتب الإسلامي ط١ ١٤٠٠جـ١ص١٠٤حديث صحيح أخرجة الإمام أحمد بمسنده٩١/٦

(٣) كتاب السنة لأبي عاصم الشيباني جـ١ ص٩٩ حديث رقم ٢٢١ وهو صحيح

(٤) هو عبد الله بن عبيد الله أبي مليكة أحد التابعين

(٥) فتح الباري في شرح صحيح البخاري للإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني دار البيان للتراث القاهرة ط١٤٠٧هـ جـ١ص١٣٥

(٦) رواه البخاري في الصحيح ورواه مسلم في الصحيح كذلك عن سهل بن سعد (انظر فيض القدير شرح الجامع الصغيرللمناوي حديث رقم ١٩٧١) واللفظ للبخاري

وكان ـ صلى الله عليه وسلم ـ كثيراً ما يحلف بـ (لا ومقلب القلوب) (١)
وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول صلى الله عليه وسلم (قاربوا وسددوا ، وأعلموا انه لن ينجو أحد منكم بعمله) قالوا : يا رسول الله ولا أنت ؟ قال:(ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل) (٢)

فإذا كانت هذه حال سيد الخلق ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو الذي غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وحال صحابته أفضل الأمة بعد رسولها عليه السلام من عدم تزكية للنفس واغترار بالأعمال ، وخوفهم من ردها ، فهم مع هذه المكانة يخافون من تقلب القلوب ورد الأعمال ، فكيف يدعي الصوفية تزكية أعمالهم وأنهم في الصف الأول المقدم بين يدي الله ، فهل اطلعوا على الغيب ؟! أم أمنوا مكر الله ؟!وهو القائل جل شأنه ﴿ أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون ﴾ (٣)

ومما يؤيد ما أشرت إليه قول السهروردي ـ وهو من أئمة القوم ـ إذ قال : (... وإذا قيل سمو صوفية للبسهم الصوف كان ذلك أبعد

---

(١) رواه البخاري في الصحيح ٢٥٩/٤ والنسائي ١٣٨/٢ (انظر كتاب السنة للحافظ الشيباني حديث رقم ٢٣٦)

(٢) رواه مسلم في الصحيح كتاب صفات المنافقين وأحكامهم حديث رقم ٧٦ وموجود في رياض الصالحين برقم ٨٦

(٣) سورة الأعراف : أية٩٩

من الدعوى ، وكل ماكان أبعد من الدعوى كان أليق بحالهم وأيضاً لأن لبس الصوف حكم ظاهر على الظاهر من أمرهم ، ونسبتهم إلى أمر آخر من حال أو مقام أمر باطن ،والحكم بالظاهر أوفق وأولى ...) (١) فالنسبة إلى الصف المقدم بين يدي الله سبحانه من الأمور الباطنة التي لا يعلمها إلا الله وحده ، ولهذا فدعوى الصوفية باطلة من هذا الوجه ولا تصح .

وكذلك فهذه النسبة غير صحيحة من حيث اللغة ؛لأن كثيراً ممن كتبوا وألفوا في التصوف قد ردوها فهذا القشيري يقول عندما ذكر هذا التعريف :(.... ولكن اللغة لا تقتضي هذه النسبة إلى الصف) (٢) على الرغم من صحة هذه النسبة لديه من حيث المعنى وقد أبطلتها كما تقدم ، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ يرحمه الله ـ عن ذلك :(ومن قال نسبة إلى الصف المقدم بين يدي الله قيل له : كان حقه أن يقال : صفية) (٣) .

---

(١) عوارف المعارف للسهروردي ص٦١

(٢) الرسالة القشيرية ص٢٧٩

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام جـ١٠ص٣٦٩

الرأي الرابع : النسبة إلى صوفة :

صوفة: قوم في الجاهلية كانوا يخدمون الكعبة ويجيزون الحاج ، وحكي أنهم أفناء القبائل تجمعوا مع بعضهم حتى أصبحوا متشابكين كالصوف (١) . (والصوفة كل من ولي شيئاً من عمل البيت ـ الحرام ـ وهم الصوفانة) (٢) ويقول ابن الجوزي (٣) في هذه النسبة : (كانت النسبة في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الإيمان والإسلام ، فيقال مسلم ومؤمن ، ثم حدث اسم زاهد وعابد ، ثم نشأ أقوام تعلقوا بالزهد والتعبد ،

فتخلوا عن الدنيا وانقطعوا إلى العبادة واتخذوا في ذلك طريقة تفردوا بها ، وأخلاقاً تخلقوا بها ، ورأوا أن أول من انفرد به بخدمة الله سبحانه وتعالى عند بيته الحرام رجل يقال له صوفة ... فانتسبوا إليه لمشابهتهم إياه في الانقطاع إلى الله سبحانه وتعالى فسموا بالصوفية) (٤) .

وقال ابن تيمية ـ رحمه الله ـ عندما تكلم عن نسبة التصوف : (وقيل نسبة إلى صوفه بن بشر بن أد بن طابخة من العرب كانوا يجاورون بمكة من الزمن القديم ، ينسب اليهم النساك ...) (٥) .

---

(١) انظر معجم مقاييس اللغة لأبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون دار الجيل بيروت الطبعة الأولى عام ١٤١١هـ باب " الصاد "

(٢) لسان العرب لأبي الفضل جمال الدين محمد بن منظور دار الصياد بيروت بدون تاريخ مادة (صوف)

(٣) شيخ الاسلام جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد القرشي التميمي البكري البغدادي يرجع نسبه لأبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ عرف بابن الجوزي حافظ مفسر فقيه وأديب ولد سنة ٥١٠هـ على أرجح الأقوال كانت ولادته ببغداد وتوفي فيها سنة ٥٩٧هـ له عدد كبير من المؤلفات . (انظر صيد الخاطر لإبن الجوزي تحقيق عبد الرحمن البر دار اليقين للتوزيع ط١ عام ١٤١٣هـ ص١٧ .)

(٤) تلبيس ابليس لابن الجوزي طبعة دار الجيل ص٢٢٣ .

(٥) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية جـ١١ ص٦

المناقشـــــــــة : .

إن احتمال نسبة التصوف إلى صوفة لايعدوا أن يكون كالأقوال السابقة ، من حيث ضعفه وعدم كفاية الأدلة على الأخذ به بل إن الأدلة تشير إلى رده وعدم صحته ؛لأن (... هؤلاء غير مشهورين ولا معروفين عند أكثر النساك ولأنه لو نسب النساك إلى هؤلاء لكان هذا النسب في زمن الصحابة والتابعين وتابعيهم أولى ...) (١) ؛ولأن هذه القبيلة غير معروفة عند غالب من تكلم باسم الصوفية فلا نتصور أن يرضى أهل التصوف بأن ينسبوا أنفسهم لقبيلة في الجاهلية لا وجود لها في الإسلام (٢)

ولهذ فإن (احتمال أخذ التسمية من هذا القبيل ضعيف ومردود فصوفة خدم الكعبة في الجاهلية لم يكونوا مشهورين ومعروفين) (٣) .

---

(١) مجموع فتاوي شيخ الاسلام ابن تيمية جـ١١ ص١٦

(٢) انظر نفس المرجع السابق ونفس الصفحة

(٣) التصوف منشوه ومصطلحاته د/ أسعد السحمراني ص١٧

الرأي الخامس النسبة إلى الصوف : -

(الصوف للغنم كالشعر للمعز، والوبر للإبل والجمع أصواف) (١) (ويقال كبش أصوف وصوف وصائف كل هذا أن يكون كثير الصوف) (٢) ولأجل إثبات هذه النسبة للصوفية وضع السراج الطوسي فصلاً في كتابه اللمع بعنوان " باب الكشف عن اسم الصوفية ، ولم سموا بهذا الاسم ، ولِمَ نسبوا إلى هذه اللبسه يبدأه بالسؤال عن السبب في تسمية الصوفية بهذا الاسم ، دون نسبتهم إلى حال ولا إلى علم معين كما ينسب الفقهاء إلى الفقه ، وأصحاب الحديث إلى الحديث ويجيب عن هذا قائلاً : (لأن الصوفية لم ينفردوا بنوع من العلم دون نوع ، ولم يترسموا برسم من الأحوال والمقامات دون رسم ، وذلك لأنهم معدن جميع العلوم(٣) ومحل جميع الأحوال المحمودة ، والأخلاق الشريفة، سالفاً ومستأنفاً، وهم مع الله تعالى في الانتقال من حال إلى حال، مستجلبين للزيادة ، فلما كانوا في الحقيقة كذلك لم يكونوا مستحقين اسماً دون اسم ، فلأجل ذلك ما أضفت إليهم حالاً دون حال ولا أضفتهم إلى علم دون علم).

وينتهي إلىالقول بأنه يسميهم بهذا الاسم نسبة إلى (ظاهر اللبسة لأن لبسة

---

(١) القاموس المحيط للفيروز آبادي مؤسسة الرسالة الطبعة الثانية ١٤٠٧ مادة (صوف)

(٢) معجم مقاييس اللغة لابي الحسن أحمد بن فارس تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون دار الجيل ببيروت الطبعة الأولى ١٤١١هـ "باب الصاد"

(٣) لا يسلم له هذا القول وهو محل نظر .

الصوف دأب الأنبياء عليهم السلام وشعار الأولياء والأصفياء) (١) ثم يقول: (ألا ترى أن الله تعالى ذكر طائفة من خواص أصحاب عيسى عليه السلام فنسبهم إلى ظاهر اللبسة فقال عز وجل :﴿إذ قال الحواريون﴾ (٢) وكانوا قوماً يلبسون البياض فنسبهم الله تعالى إلى ذلك ... فكذلك الصوفية عندي والله أعلم نسبوا إلى ظاهر اللباس (٣) .

ثم يذكر الكلاباذي قول من قال :(إنما سموا صوفية للبسهم الصوف) (٤) ثم يعقب على ذلك بقوله :(ومن لبسهم وزيهم سموا صوفية لأنهم لم يلبسوا لحظوظ النفس مالان مسه وحسن منظره ، وإنما لبسوا لستر العورة فتجزوا (٥) بالخشن من الشعر والغليظ من الصوف (٦)

---

(١) اللمع في التصوف تأليف أبي نصر عبد الله بن علي السراج الطوسي تحقيق عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سرور دار الكتب الحديثة بمصر طبعة ١٣٨٠هـ صـ٤٠ - ٤١

(٢) سورة المائدة آية (١١٢) وتمام الآية ﴿ إذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء قال اتقوا الله إن كنتم مؤمنين ﴾

والحواريون هم أعوان دينه وهم أصفياء عيسى وأول من آمن به وكانوا اثنى عشر رجلاً من الحور وهو البياض الخالص وقيل كانوا قصاريين يحورون الثياب أي يبيضونها .

وقيل إنما سموا حواريين لأنهم كانوا يطهرون نفوس الناس بإفادتهم بالدين والعلم وقيل سموا بذلك لبياض ثيابهم (انظر تفسير الجلالين لجلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي دار العلم تفسير الآية ٥٢ من سورة آل عمران والمفردات في غريب القرآن للراغب الاصفهاني تحقيق محمد سيد دار الباز للنشر والتوزيع كتاب الحاء وتفسير ابن كثير الآية ٥٢ من سورة آل عمران)

(٣) اللمع في التصوف للسراج ص٤١

(٤) التعرف لمذهب أهل التصوف للكلاباذي ص٩

(٥) قنعوا واكتفوا

(٦) التعرف لمذهب أهل التصوف للكلاباذي ص١٢

وأما القشيري فقد قال :(فأما قول من قال إنه من الصوف ، وتصوف إذا لبس الصوف كما يقال تقمص إذا لبس القميص فذلك وجه) ثم يعقب على هذا بقوله (ولكن القوم لم يختصوا بلبس الصوف) (١) أي أن كل الناس قد يلبسون الصوف في وقت ويتركونه في وقت آخر ومن هؤلاء الصوفية فما الداعي لتخصيص الصوفية بالصوف دون غيرهم حتى ينسبون إليه ؟.

وقال :الهجويري إن جماعة قالت :(إن الصوفي يسمى بالصوفي لأنه يلبس ثياب الصوف) (٢) ولم يعلق على هذا القول بالنفي أو التأييد .

وأما السهروردي فيؤيد هذه النسبة بقوله : (كان اختيارهم للبس الصوف لتركهم زينة الدنيا وراحتها ، لشدة شغلهم بخدمة مولاهم ، وانصراف همهم إلى أمر الآخرة) (٣) ثم يؤكد أن هذا الإختيار يلائم ويناسب من حيث الاشتقاق ؛لأنه يقال (تصوف) إذا لبس الصوف كما يقال (تقمص) إذا لبس القميص (٤)

---

(١) الرسالة القشرية للقشيري ص٢٧٩
(٢) كشف المحجوب للهجويري ص٢٢٧
(٣) عوارف المعارف للسهروردي ص٦٠
(٤) عوارف المعارف للسهروردي ص٦٠

وقال ابن تيمية :(والنسبة في الصوفية إلى الصوف ؛ لأنه غالب لباس الزهاد) (١)

والصوفي :(من يتبع طريقة التصوف والعارف بالتصوف ، وأشهر الآراء أنه سمي بذلك ؛لأنه يفضل لبس الصوف تقشفاً) (٢) ؛ولأن الصوفية (كانت تؤثر الملابس الخشنة وخاصة الصوف على الملابس الناعمة الأنيقة) (٣)

المناقشة : ـ

(الدلائل تشير إلى أن أقرب الفروض إلى الصحة هو فرض نسبة التصوف إلى الصوف بإعتباره شارة دالة في وقت معين على منهج خاص) (٤) وهذا ما أختاره وأؤيده ولكن يبقى لدينا عقبة وهي قول القشيري :(ولكن القوم لم يختصوا بلبس الصوف) (٥) وأجيب عن هذا الاعتراض بما ذكر ابن خلدون في مقدمته (٦)

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية جـ١٠ ص٣٦٨

(٢) المعجم الوسيط ابراهيم مصطفي وآخرون مجمع اللغة العربية الطبعة الثانية ١٣٩٢هـ مادة (صاف)

(٣) معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب مكتبة لبنان الطبعة ١٩٧٨م مادة (التصوف)

(٤) التصوف طريقاً وتجربة ومذهباً د / محمد كمال جعفر دار المعرفة الجامعية الاسكندرية طبعة ١٩٨٠م ص٤

(٥) الرساله القشرية للقشيري ـ ص٢٧٩

(٦) انظر مقدمة ابن خلدون للعلامة عبد الرحمن بن خلدون دار الكتب العلمية بيروت طبعة ١٤١٣هـ ص٣٨١ وانظر كذلك ترجمته ص ٥٢ من هذا البحث .

بقولــــــــــه : ـ

١ ـ لأنهم في الغالب مختصون بلبس الصوف فلو نظرنا لغيرهم من طوائف الناس كالزراع والصناع والعمال لا نجد طائفة منهم يغلب على أفرادها لبس الصوف كما غلب على الصوفية .

٢ ـ أن طائفة الصوفية اختصوا بمذهب الزهد ؛ولذلك كانت تلبس الصوف زهداً وتورعاً عن لبس فاخر الثياب أما سائر الناس من غير الصوفية فيلبسونه لا لهذا الغرض الذي ينشده الصوفي .

٣ ـ لذلك اختصوا بما أُخذ مدركة لهم وميزهم عن غيرهم .

وبهذه الإجابة يسقط اعتراض القشيري ويكون نسبة الصوفية إلى الصوف هو الصحيح والله أعلم .

واضافة لما سبق فقد حاولت تلمس بعض الأسباب التي جعلت الصوفية يختارون الصوف زياً مميزاً لهم عن غيرهم فقلت : ـ

١ ـ لأن الصوف مرتبط بالغنم التي يكسوها حيث ترسخت للغنم صورة تشير إلى عمل من أعمال الأنبياء عليهم السلام الذين قاموا برعي الغنم ففي الحديث الصحيح عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أنه قال :(ما بعث الله نبياً إلا رعى الغنم)، فقال أصحابة وأنت . قال :(نعم كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة) (١)

٢ ـ ولأن الصوفية غير متكلفين في الظاهر فقد اختاروا الصوف نظراً لوفرته .

٣ ـ الصوف متين وقوي مما يجعله يعمر طويلاً؛ ولهذا فهو لباس الفقراء والمساكين .

---

(١) رواه البخاري في الصحيح كتاب الإجارة باب رعي الغنم حديث رقم ٢٢٦٢.

المبحث الثاني نشأة الصوفية : ـ

إن الذين كتبوا في نشأة الصوفية قد اختلفوا في تحديد العصر الذي ظهر فيه هذا المصطلح ، هل كان موجوداً في الجاهلية ، وتجدد ظهوره مرة أخرى في الإسلام ؟ أم أن هذا الاسم لم يظهر إلا في عهد الإسلام ؟
ويمكن بيان ذلك : فيما يلي : ـ

المطلب الأول : موقف الفريق الأول :

يمثل هذا الفريق أبو الفرج بن الجوزي الذي يؤيد الرواية القائلة :

(بأن قوماً كانوا في الجاهلية يقال لهم صوفة ، انقطعوا إلى الله عز وجل وقطنوا الكعبة فمن تشبه بهم فهم الصوفية) (١) ويرى أن هؤلاء القوم ينسبون إلى رجل في الجاهلية كان يدعي (الغوث بن مر) وإنما سمي صوفة لأنه ماكان يعيش لأمه ولد فنذرت لئن عاش لتعلقن برأسه صوفة وتجعله ربيط الكعبة ، ففعلت فقيل له صوفه ولولدة من بعده .
ويورد ابن الجوزي رواية أُخرى لهذه الحادثة فيقول :إن أم هذا الرجل كانت لا تلد إلا إناثاً فقالت : (لله عليّ إن ولدت غلاماً لأعبدنه للبيت)

---

(١) تلبيس ابليس لابن الجوزي ص٢٢٣

فلما ولدت (الغوث بن مر) ربطته عند الكعبة فأصابه الحر ، فمرت عليه وقد سقط واسترخى ، فقالت : (ما صار ابني إلا صوفة) فسمي صوفة (١)

ويرى الإمام ابن الجوزي أن في هاتين الروايتين دليلاً على أن أصل هذه التسمية كان موجوداً قبل الإسلام ومعروفاً عند عرب الجاهلية ،وأن من تعلق بالزهد من المسلمين فيما بعد وانقطع للعبادة فقد انتسب إلى صوفة هذا .

المناقشة : -

ويمكن الرد على ماقاله الإمام ابن الجوزي من خلال النقاط التالية :

أولاً : إن هذه القبيلة من العرب غير مشهورة ولا معروفة عند أكثر النساك كما قرر ذلك الإمام ابن تيمية رحمه الله (٢)

ثانياً : أن غالب من تكلم باسم التصوف لا يرضى أن يكون منتسباً إلى قبيلة في الجاهلية لا وجود لها في الإسلام (٣)

ثالثاً : أن كلا الروايتين إنما تثبتان إن صحتا أن امرأة ما علقت في رقبة طفلها علامة وهي قطعة من الصوف ، أو أن امرأة شبهت ابنها بالصوف لما رأته منهوك القوى غير متماسك كما هو حال الصوف ، وأنه سمي بذلك (صوفة) (٤) .

---

(١) تلبيس إبليس لابن الجوزي ص٢٢٤

(٢) مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية جـ١١ ص١٦

(٣) نفس المرجع السابق ونفس الجزء و الصفحة .

(٤) موقف الإمام ابن تيمية من التصوف والصوفية د/ أحمد البناني جامعة أم القرى الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ ص٨٢

ولا شأن لهذا في ظهور فئة في الإسلام تسمى (بالصوفية) إذا لم تدل هاتين الروايتين على وجود كلمة (صوفية) ولا كلمة (صوفي) بهذه الصيغة ؛وهذا المفهوم قبل الإسلام . وإن صحت فلربما تكون هذه التسمية علماً على شخص بعينه وهو (الغوث بن مر) .

وما أورده ابن الجوزي من أنهم كانوا يقولون لهذه القبيلة (صوفة) و(صوفان) وإنهم كانوا يقولون عند دفع الناس من منى أو من عرفات (أجز صوفة) أي يطلبون من أحد أفراد هذه القبيلة أن يجيزهم في الدفع من تلك الأماكن تقديراً لهم باعتبار أنهم من سدنة البيت [١] فكل هذا لا يبرر تحول الكلمة من (صوفة) أو (صوفان) التي سميت بها القبيلة إلى كلمة (صوفي) و(صوفية) وهذا لا يدل على وجود هذه الكلمة بهذه الصفة قبل الإسلام [٢] ولو صح ذلك لكان الانتساب للقبائل التي كانت تقوم بسدانة البيت الحرام [٣] وسقاية الحاج [٤] أولى من الانتساب إلى رجل لا يعرف عنه إلا أن أمه قد ربطته عندما كان طفلاً بجوار الكعبة ولم يكن له من الشهرة والمكانة ما لهذه القبائل من شهرة ومكانة [٥] .

---

(١) تلبيس إبليس ابن الجوزي ص٢٢٤

(٢) انظر موقف الإمام ابن تيمية من التصوف والصوفة د/ أحمد البناني ص٨٢

(٣) كانت سدانة البيت الحرام لعثمان بن طلحة .

(٤) السقاية كانت عند فتح مكة للعباس بن عبد المطلب .

(٥) انظر السيرة النبوية لابن هشام تحقيق الدكتور محمد فهمي السرجاني دار الفكر العربي جـ٤ ص١٧، ١٩

رابعاً : قال ابن الجوزي نفسه :(وهذا الاسم ـ أي التصوف ـ ظهر للقوم قبل سنة مائتين) (١) وهذا يناقض قوله أن اسم الصوفية والصوفي قد عرف قبل الإسلام واقرار منه بأن هذا الاسم حادث ظهر قبل سنة مائتين هجرية .

المطلب الثاني : موقف الفريق الثاني :

لقد تبنى هذا الفريق الرأي القائل أن هذا الاسم حدث في عصر الإسلام ولكن اختلفوا في تحديد الفترة الزمنية لظهورة على قولين : -

القول الأول : يرى أصحاب هذا القول أن هذا الاسم عُرف في القرن الأول من هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي مقدمة هؤلاء السراج الطوسي الذي أورد في كتابه (اللمع في التصوف) روايتين حاول أن يثبت من خلالهما أن هذا الاسم وجد في عصر النبوة فقال في الرواية الأولى (وأما قول من قال :إنه ـ أي التصوف ـ اسم محدث أحدثه البغداديون ، فمحال ؛لأنه في وقت الحسن البصري (٢) كان يُعرف هذا الاسم وكان الحسن قد أدرك جماعة من أصحاب رسول الله عليه الصلاة السلام

---

(١) تلبيس إبليس ص٢٢٥

(٢) هو أبو سعيد الحسن البصري رضي الله عنه كان والده من ميسان فُسبي فهو ولي الأنصار ـ كان يغلب عليه الخوف حتى كأن النار لم تخلق إلا له وحده توفي عشية الخميس مستهل رجب سنة ١١٠هـ

(أنظر الترجمة في الطبقات الكبرى للشعراني جـ١ ص٢٩ وجامع كرمات الأولياء يوسف اسماعيل النبهاني المكتبة الثقافية جـ٢ ص٢١)

وقد روي عنه أنه قال :(رأيت صوفياً في الطواف فأعطيته شيئاً ـ من المال ـ فلم يأخذه وقال: معي أربعة دوانيق فيكفيني ما معي)(١) .

وبهذا فالسراج يريد أن يقول: إن ورود هذه الرواية عن الحسن البصري رحمه الله وهو من مواليد عام ٢٠ هجرية . يدل على أن التصوف كان معروفاً في زمن مبكر من الإسلام .

ويُرد على هذه الرواية بأن الحسن البصري رحمة الله وإن كان قد ولد عام ٢٠ هجرية إلا أنه عاش حتى عام (١١٠) هجري ،وبهذا يكون قد عاش عشرة أعوام في بداية القرن الثانى الهجري فيحتمل أنه رأى هذا الصوفي في آخر حياته أي في بداية القرن الثانى الهجري ، وليس في القرن الأول للهجرة كما يريد إثبات ذلك السراج وبهذا فلا مرجح لأحد الاحتمالين على الآخر؛ لأنهما متساويان (٢) .

الرواية الثانية : ـ

أن سفيان الثوري * قال : لو لا أبوهاشم**الصوفي ما عرفت دقيق الرياء (٣) ولم يبين أبو نصر السراج وجه الدلالة في هذه الرواية على أن التصوف وجد في عهد مبكر في الإسلام ؛بل هي على خلاف مراده (٤)

---

(١) اللمع في التصوف للسراج ص٤٢

(٢) انظر موقف ابن تيمية من التصوف والصوفية للدكتور / أحمد البناني ص٨٣

(٣) اللمع ص٤٢

(*) سفيان بن سعيد الثوري كانوا يسمونه أمير المؤمنين في الحديث ولد سنة ٩٧هـ وتوفي سنة ١٦١هـ في البصرة (انظر الطبقات الكبرى للشعراني جـ١ ص٤٧)

(**) من المحتمل أن يكون أبو هاشم محمد بن عبد الوهاب أبو علي الجبائي المتوفي سنة ١٦١هـ طبقات الصوفية للسلمي تحقيق نور الدين شريبه دار الكتاب النفيس الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ ص٣١١

(٤) موقف ابن تيمية من التصوف والصوفية ص٨٣ .

لأن سفيان الثوري رحمه الله ولد سنة (٩٧) هجرية (١) وهذا يدل على أن التقاءه بأبي هاشم الصوفي لا يمكن أن يكون في القرن الأول اطلاقاً علماً أن أبا هاشم الصوفي توفي سنة ١٦١هـ فلابد أن لقاءهما كان في أثناء المائة الثانية للهجرة إن صحت الرواية بذلك (٢)

القول الثاني :

يرى أصحاب هذا القول أن اسم التصوف ظهر في عهد الإسلام ، وخلاصة ما أثبتوه أن هذا الاسم ظهر في بداية القرن الثاني الهجري ،وقد ذكر هذا الإمام شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - وكثير من العلماء، ومنهم بعض علماء الصوفية .

فقد قال الشيخ ابن تيمية رحمه الله فيما يتعلق بظهور هذا الاسم أنه (في أثناء المائة الثانية صاروا يعبرون عن ذلك - أي عن الزهد - بلفظ (الصوفي) ؛لأن لبس الصوف يكثر في الزهاد (٣)

وقال القشيري : (... فانفرد خواص أهل السنة ، والمراعون أنفاسهم مع الله تعالى الحافظون قلوبهم عن طوراق الغفلة باسم التصوف) (٤) إلى أن يقول :(واشتهر هذا الاسم - أي التصوف - لهؤلاء الأكابر قبل المائتين الهجرية) (٥)

---

(١) انظر ترجمتة في الطبقات الكبرى للشعراني جـ١ ص٤٧

(٢) انظر موقف ابن تيمية من التصوف والصوفية د / أحمد البناني ص٨٣

(٣) مجموع فتاوي شيخ الاسلام جـ١١ ص٢٩

(٤) الرسالة القشيرية للقشيري ص٣٨٩

(٥) الرسالة القشيرية للقشيري ص٣٨٩

وقد علق الهجويري على كلام أبي الحسن البوشنجي(١) الذي قال فيه: (التصوف اليوم اسم بلا حقيقة ، وقد كان من قبل حقيقة بلاسم) فعلق الهجويري قائلاً: (يعني أن هذا الاسم لم يكن موجوداً وقت الصحابة والسلف وكان المعنى موجوداً في كل منهم والآن يوجد الاسم ولا يوجد المعنى) (٢) .

وقال العلامة ابن خلدون :(٣) إن (هذا العلم - أي علم التصوف - من العلوم الشرعية الحادثة في الملة) (٤) إلى أن يقول :(فلما فشا الإقبال على الدنيا في القرن الثاني وما بعده ، وجنح الناس إلى مخالطة الدنيا ، اختص المقبلون على العبادة باسم الصوفية - والمتصوفة) (٥) .

---

(١) هو أبو الحسن على بن أحمد بن سهل البوشنجي وذكر الشعراني أنه (البوسنجي) كان من فتيان خراسان كان معظّماً للفقراء حسن الخلق مات سنة ٣٤٨هـ (انظر ترجمته في الطبقات الكبرى للشعراني جـ١ ص١٢٠) وترجم له القشيري وقال هو أبو الحسن على بن أحمد بن سهل البوشنجي (انظر الرسالة القشيرية ص٣٩٩) وترجم له السلمي في طبقات الصوفية ص٤٥٨ ونظراً لإتفاق أكثر المصادر على أنه (البوشنجي) نسبة إلى بلده بوشنج فقد أثبتنا الاسم الصحيح والله أعلم .

(٢) كشف المحجوب ص٢٣٩ ولا يسلم له القول بأن معنى التصوف موجوداً في كل منهم لأن الصحابة والسلف كانوا زهاداً لا صوفية .

(٣) هو عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن خلدون أبو زيد ولي الدين الحضرمي الإشبيلي من ولد وائل بن حجر الفيلسوف المورخ العالم الاجتماعي البحاثة أصله من إشبيلية ومولده ومنشأه بتونس (ولد سنة ٧٣٢ — وتوفي سنة ٨٠٨هـ) (انظر ترجمته في الإعلام للزركلي باب العين)

(٤ - ٥) مقدمة ابن خلدون ص٣٨١

وقال نيكولس :(١) ترجع نشأة التصوف في الإسلام إلى حركة الزهد العظيمة التي ظهرت تحت تأثير المسيحية في القرن السابع الميلادي (٢) كما هو واضح من كتب وتراجم الصوفية التي تفيض بأخبارهم وأقوالهم ، ومنهم كثيرون من كبار زهاد العصر الأول . (٣)

ونظراً لكثرة أنصار هذا الرأي القائل :إن التصوف اصطلاح حادث ظهر في القرن الثاني الهجري ولقناعتي بذلك اخترت هذا الرأي والله أعلم .

---

(١) هو رينولد ألين نيكلس مولده (١٢٨٥هـ ـ ١٨٦٨م) ومماته (١٣٦٤هـ ـ ١٩٤٥م) مستشرق انجليزي عالم بالتصوف الإسلامي تعلم في كمبردج وغيرها ودرس العربية والفارسية ودرّسهما واشترك في نشر تذكرة الأولياء للعطار و(اللمع) للسراج وله كتب بالانجليزيه منها (تاريخ الآداب العربية ـ ومتصوفوا الإسلام ودراسات في التصوف الاسلامي ترجمة إلى العربية أبو العلا عفيفي ونشر بها)(انظر الاعلام لخير الدين الزركلي باب الراء).

(٢) القرن السابع الميلادي يوافق القرن الثاني الهجري

(٣) في التصوف الاسلامي ص٦٩

الفصل الثاني

العوامل التي أسهمت في تكوين الفكر الصوفي

ويتضمن مبحثين : -

الأول : العامـــــــــــــل الإسلامي •

الثاني : العامـــــــــــــل الأجنبي •

الفصل الثاني

العوامل التي أسهمت في تكوين الفكر الصوفي : ـ

قبل الحديث عن العوامل التي أسهمت في تكويـن الفكـر الصوفـي أتكلـم أولاً عن الفكر الإسلامي (١) بصورة موجزة : فأقول وبالله التـــــــوفيق :

الفكر الإسلامي هو عمل المسلمين العقلي ونتاجهم الفكـري فـي سـبيل خدمة الإسلام ورفعته بياناً ودفاعاً ، بياناً كتلـك التـي جاءت تشـرح أصـول الإسلام وتبين سائر جوانـب الهدايـة فيـه كعلـوم التفسـير والحديـث والعقـائد والفقه وأصوله والتاريخ والسيرة وغير ذلـك مما تظهـر فيـه حركـة العمـل الإنساني ونشاطه ، ودفاعـاً كتلـك الأعمـال التـي جاءت تدفـع تهمـاً وتبيـن دسائس أُلقيت في وجه الإسلام (٢).

وهو فكـر جـواب فـي أنحـاء الحيـاة المختلفـة وفـي شتـى شؤونها المختلفـة ومجالاتها السياسية والاقتصادية والعلمية والاجتماعية (٣)

---

(١) يعرف الفكر بشكل عام أنه إعمال الخاطر في الشيء ويقال: فكر ، فِكراً وفَكْراً في الأمـر أعمـل الخـاطر فيه وتأمله ، وهو مايخطر بالقلب من المعاني (انظر المعجم الصافي فـي اللغـة العربيـة بـاب الفـاء والمنجد فـي اللغة والأعلام دار المشرق بيروت باب الفاء)

(٢) انظر الاتجاهات الفكرية المعاصرة للدكتور جمعه الخولي ص١١ بدون تاريخ طبعة

(٣) انظر حوار هاديء مع الغزالي الشيخ سلمان العودة ص٥ بدون تاريخ طبعة .

هذه وتلك تمثل الفكر الإسلامي الأصيل ؛لأنها مأخوذة من المصادر الأصلية من كتاب وسنة وقائمة على قواعد الإسلام الصحيحة (١)

ولهذا فإن أي فكر لا يستند إلى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة لا يعتبر فكراً إسلامياً ، وإنما فكراً مغايراً للإسلام يقترب منه ويبتعد عنه بقدر ما يأخذ منه .

ولذلك فإنه لابد من التفرقة بين الإسلام كمبادىء ربانية ممثلة في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وبين عمل المسلمين في فهم أصول الإسلام وتوجيه أحكامه ومبادئه والذي قد يلتقي مع مبادئ الإسلام وقد يفترق عنها ، ولا ريب أن هناك نفراً ممن كتبوا في الإسلام وكان لهم فكراً ونتاج بعدوا من خلاله عن التصور الصحيح لصراط الله المستقيم فمن غير الحق أن يُصور فكر هؤلاء بأنه فكر إسلامي (٢) ،أو أن يحكم عليه بأنه من الإسلام إذ الإسلام كله صواب ومصادره الأصلية معصومة من الخطأ ،وهذا عمل بشري قابل للخطأ والصواب كسائر الأعمال البشرية ومن هذا المنطلق سأبحث في المصادر التي استقى الصوفية منها فكرهم والعوامل التي أثرت فيه ، ثم بعد ذلك أحدد السمات الرئيسة لهذا الفكر :-

---

(١) انظر الإتجاهات الفكرية المعاصرة د / جمعه الخولي ص١١

(٢) المرجع السابق ص١٣

المبحث الأول : العامل الإسلامي :

يرى بعض الباحثين أن التصوف الإسلامي مبني في أساسه على الإسلام ، ولا يمكن فهم التصوف فهماً صحيحاً إلا بدراسة الدين الإسلامي دراسة وافية في مختلف العصور والأحوال (١) ويؤكد آخرون أن التصوف (ظاهرة إسلامية نبت في جو الإسلام وبيئته وتأثرت أساساً بفعل النبيّ — صلى اله عليه وسلم - وصحابته - رضي الله عنهم - واعتمد على ماجاء في الكتاب والسنة من حكمة وموعظة ،ونتيجة) (٢) (للتأمل المتواصل للقرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة)(٣) ؛ولهذا فإن البحث سيبدأ بشخصية الرسول - صلى الله عليه وسلم - لنتبيّن مدى إلتزام الصوفية بما جاء به من منهج وسلوك .

---

(١) انظر التصوف في الإسلام د / عمر فروخ بيروت دار الكتاب العربي سنة ١٤٠١هـ ص٢٩

(٢) في الفلسفة الإسلامية د / ابراهيم مدكور مصر دار المعارف سنة ١٩٨٣ ص١٣٤

(٣) انظر تاريخ التصوف الإسلامي من البداية حتى نهاية القرن الثاني د / عبد الرحمن بدوي وكالة المطبوعات الكويت الطبعة الأولى ص٤٨

المطلب الأول : الرسول صلى الله عليه وسلم .

من المظاهر الأخلاقية التي يعتمدها الصوفية أساساً وسنداً لإثبات اتباعهم للرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم - الزهد الذي كان صفة ملازمة له صلى الله عليه وسلم ، والذي يظهر في كل شأن من شؤون حياته صلى الله عليه وسلم ، ولقد أورد السراج الطوسي (*) بعضاً من هذه المظاهر في كتابة اللمع (١) فيقول : -(إنه - صلى الله عليه وسلم لم يدخر شيئاً لغد (٢) وأنه - صلى الله عليه وسلم إنما ادخر مرة قوت سنة لعياله ولمن يَرِدُ عليه من الوفود) (٣) ثم يقول : (وكان من تواضعه صلى الله عليه وسلم : يلبس الصوف وينتعل المخصوف ، ويركب الحمار ، ويحلب الشاة ، ويخصف نعله ويرقع ثوبه ، وكان لا يأنف أن يركب الحمار ، ويردف خلفه) (٤) ثم بين أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يكره الغنى ولا يخشى من الفقر (٥) وكان يمر به صلى الله عليه وسلم وبأزواجه - رضي الله عنهن - الشهر والشهران فلايوقد في بيته للخبز- نار- وأنه كان طعامهم الأسودان : التمر والماء (٦)

(*) أبو نصر عبد الله بن علي بن محمد بن يحيى السراج يعرف بطاووس الفقراء أصلة من طوس ويعد أكبر المؤلفين الصوفيين (انظر ترجمته في تاريخ التراث العربي فؤاد سيزكين الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٨ج٢ص٤٨٧ وانظر كتاب اللمع ص٧)٠

(١) اللمع للسراج ص١٣٥

(٢) روى البخاري والترمذي عن أنس رضي الله عنه مايؤيد ذلك (حديث رقم ٦٨٨٣ فيض القدير) ٠

(٣) أخرج البخاري من حديث عمر - رضي الله عنه -(كان يبيع نخل بني النضير ويحبس لأهله قوت سنتهم) كتاب النفقات حديث رقم ٥٣٥٧ (٤) انظر حديث رقم ٥٧٩٩ من صحيح البخاري مثالاً على ذلك ٠

(٥) روى الترمذي عن أبي أمامه - رضي الله عنه - عن الرسول - صلى الله عليه وسلم - أنه قال :(عرض على ربي ليجعل لي بطحاء مكة ذهباً فقلت لا يارب ولكني أشبع يوماً وأجوع يوماً هذا فإذا جعت تضرعت إليك وذكرتك وإذا شبعت حمدتك وشكرتك) (فيض القدير حديث رقم ٥٤١٧ جـ٤ ص٣١١) وهو حديث حسن

(٦) روى البخاري في الصحيح عن عائشة كتاب الرقاق حديث رقم ٦٤٥٨(كان يأتي علينا الشهر مانوقد فيه ناراً إنما التمر والماء إلا ان نؤتى باللحيم) وانظر حديث رقم ٦٤٥٩ في صحيح البخاري كذلك ٠

وقد أورد الغزالي كذلك بعض المظاهر في حياة الرسول ـ عليه السلام ـ فقال :إن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان أسخى الناس لا يبيت عنده دينار ولا درهم وإن فضل شيء ولم يجد من يعطيه وفجأه الليل لم يأو إلى منزله حتى يتبرأ منه إلى من يحتاج إليه ولا يأخذ مما أتاه الله إلا قوت عامه فقط من أيسرِ ما يجد من التمر والشعير ويضع سائرذلك في سبيل الله لا يُسأل شيئاً إلا أعطاه ثم يعود على قوت عامه فيؤثرمنه حتى أنه ربما احتاج قبل انقضاء العام إن لم يأته شيء وكان يخصف نعله ويرقع الثوب (١) ثم قال: إن رسول الله عليه السلام (لم يشبع من خبز بر ثلاثة أيام متوالية (٢) ويلبس ما يجد فمرة شملة، ومرة برد حبرة يمانياً ومرة جبة صوف ما وجد من المباح لبس (٣) وخاتمة(٤) من فضة)(٥) أما السهروردي فيرى أن الصوفية أحق من غيرهم وأوفر الناس حظاً في الإقتداء برسول الله ـ عليه السلام ـ وإحياء سنته (٦) ،لأنه عليه السلام واضع ـ حسب زعمه ـ علم التصوف الذي علّمه الله له بالوحيّ والالهام ، وأول من تكلم فيه وأظهره بعد الرسول الكريم ـ صلىالله عليه وسلم ـ علي بن أبي طالب ـ رضيّ الله عنه ـ ثم يتصل سند القوم في هذا العلم إلى أن يصل السند إلى أحد أئمتهم (*) ثم انتشرمنه إلى خلق كثير (٧) ومما تقدم فالصوفية يرون أنهم أحق الناس بالإقتداء بالرسول الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ وإحياء سنته ؛ لأنه عليه السلام مؤسس علم التصوف ٠

---

(١) إحياء علوم الدين للغزالي جـ٢ ص ٣٨٩

(٢) رواى البخاري في الصحيح عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ كتاب الأطعمة حديث رقم ٥٤١٦ (ماشبع آل محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ منذ قدم المدينة من طعام البر ثلاث ليال تباعاً حتى قبض) ٠

(٣) انظر صحيح البخاري كتاب اللباس حديث رقم ٥٨١٠(٤) انظر حديث رقم ٦٨٢٩ فيض القدير

(٥) إحياء علوم الدين للغزالي جـ٢ ص٣٩١ – ٣٩٢(٦) انظر عوارف المعارف للسهروردي ص٢٢٩

(*) الذي أدعى أن السند وصل إليه هو الصوفي أحمد بن محمد بن عجيبة الحسني

(٧) انظر ايقاظ الهمم في شرح الحكم ابن عجيبة الحسني المكتبة الثقافية بيروت ص ٦و٧

المناقشة :

أستطيع أن أحدد بعض النقاط التي أوردها الصوفية ـ كمثال ـ على ما يعتقدون إنه يؤد قولهم أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان واضعاً علم التصوف وأن علمهم وعملهم هذا له سند متصل من الرسول صلى الله عليه وسلم حتى وصل إليهم ، وأن كل ما يعملونه قد سبقهم إليه الرسول عليه السلام وبذلك فقد اكتسب فعلهم هذا الصفة الشرعية ـ حسب زعمهم ـ ولهذا سأفند كل قول من أقوالهم فأُثبت ما يؤيده الدليل ويقوم عليه البرهان وأبين ما كان مخالفاً للشرع أو فُهم على غير مراد رسول الله عليه السلام فأقومه وأبدأ بقول الصوفية : إن الرسول عليه السلام لم يدخر شيئاً من قوت أو مال له أو لمن يعول من زوجات وأولاد ويمر الشهروالشهران لا يوقد في بيته نارولم يشبع من خبزثلاثة أيام متوالية:

أقول وبالله التوفيق : إن نفقة الأهل من أفضل القربات إلى الله وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يحث على ، ذلك فقد قال صلى الله عليه وسلم:(إذا أنفق المسلم نفقه على أهله ـ وهو يحتسبها ـ كانت له صدقة) (١) وقال صلى الله عليه وسلم فيما رواه عنه سعد ابن أبي وقاص رضيّ الله عنه قال: (كان النبي صلى الله عليه وسلم يعودني وأنا مريض بمكة فقلت : لي مال أوصي بمالي كله ؟ قال : لا. قلت : فالشطر : قال : لا. قلت فالثلث ؟ قال : الثلث ، والثلث كثير أن تدع ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس في أيديهم ومهما أنفقت فهو لك صدقة حتى اللقمة ترفعها في في امرأتك ، ولعل الله يرفعك لينتفع بك ناس ويضر بك

---

(١) متفق عليه وأحمد والنسائي حديث رقم ٤٩٨ فيض القدير

آخرون) (١) وهذا بخلاف مايدعيه الصوفية ٠

وقد أخرج الإمام مسلم حديث (دينار أنفقته في سبيل الله ودينار أنفقته في رقبة ودينار تصدقت به على مسكين ودينار أنفقته على أهلك أعظمها أجراً الذي أنفقته على أهلك) (٢) فالإنفاق على الوالدين والزوجة والأبناء من أعظم القربات بنص الحديث الشريف وقال صلى الله عليه وسلم:(خير الصدقة ما كان عن ظهر غني ، وابدأ بمن تعول) (٣) فإذا كانت هذه توجيهات الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم فهل يعقل أن يحرم أهله أبسط حق لهم وهو القوت ؟ لاشك أن ذلك لا يحدث من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد كان يحبس قوت سنة على أهله وذلك كما جاء بقول عمر رضيّ الله عنه: (أن النبيّ صلى الله عليه وسلم كان يبيع نخل بني النضير ويحبس لأهله قوت سنتهم) (٤) ويمكن الجمع بين هذا الحديث وحديث (كان لا يدخر شيئاً لغد) (٥) فيحمل على الادخار لنفسه وحديث الادخار لغيره لأهله ومن يفد عليه ولو كان في ذلك مشاركة لكن المعنى أنهم المقصد بالإدخار دونه حتى لو لم يوجدوا لم يدخر (٦) وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يمنع الادخار في أوقات الجوع ؛ليطعم الأغنياء الفقراء فقد روى الإمام البخاري عن عبد الرحمن بن عباس عن أبيه قال :(قلت لعائشة ـ رضيّ الله عنها ـ أنهى النبيّ ـ عليه السلام ـ أن تؤكل لحوم الأضاحي فوق ثلاث ؟ قالت: ما فعله إلا في عام جاع الناس فيه فأراد أن يطعم الغني الفقير وإن كنا لنرفع الكراع فنأكله بعد

---

(١) رواه البخاري في الصحيح كتاب النفقات حديث رقم ٥٣٥٤ (٢) رواه مسلم في الصحيح كتاب الزكاة حديث رقم ٣٩

(٣) و(٤) رواهما البخاري في الصحيح كتاب النفقات حديث رقم ٥٣٥٦ و٥٣٥٧

(٥) رواه الترمذي والبخاري عن أنس رضي الله عنه فيض القدير حديث رقم ٦٨٨٣

(٦) انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري جـ٩ ص٤١٤

خمس عشرة قيل: ما اضطركم إليه ؟ فضحكت ، قالت : ما شبع آل محمد صلى الله عليه وسلم من خبزبر مأدوم ثلاثة أيام حتى لحق بالله)(١)

وأما فيما يتعلق في أنه يمر الشهر والشهران لا يوقد في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم نار ولم يشبع من خبز ثلاثة أيام •

يؤخذ من ذلك أن المراد بالشبع المنفي هنا هو الشبع المقيد بالتوالي لا مطلقاً والذي يظهر أن سبب عدم شبعهم غالباً كان بسبب قلة الشيء عندهم ، وإن وجدوا كانوا يؤثرون على أنفسهم (٢) ومما يؤكد أن سبب ذلك القلة ما قاله أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، عندما ذكر ما أصاب الناس من الدنيا فقال : (لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يظل اليوم يلتوي ما يجد دقلاً يملأ به بطنه) (٣) والدقل هو ردئ التمر . وكان صلى الله عليه وسلم يدخل على أهله (٤) فيقول(هل عندكم شيء ؟) فإن قالوا :لا• قال : (فإني إذن صائم) (٥) فهذا وغيره (*) يؤكد أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان في أكثر الأحوال لا يجد ما يأكله هو وأهله وذلك نتيجة للقلة أو لعدم وجود الطعام والشراب لا كما يفعل الصوفية من ترك الطعام مدة طويلة وهو في متناول أيديهم فهذا البسطامي يمتنع عن شرب الماء سنة كاملة يقول: (دعوت نفسي إلى شيء من الطاعات فلم تجيبني فمنعتها عن الماء سنة) (٦) فأين هذا من ذاك ؟.

---

(١) رواه البخاري في الصحيح كتاب الطعام حديث رقم ٥٤٢٣

(٢) انظر فتح الباري جـ٩ ص٤٢٩

(٣) رواه مسلم في الصحيح كتاب الزهد والرقائق حديث رقم ٣٦ وأبو يعلى بمسنده ج١ص١٦٥

(٤) انظر زاد المعاد في هدي خير العباد لابن قيم الجوزية مؤسسة سالم ١٤١٠ط١٤ جـ٢ ص٨٣

(٥) رواه مسلم في الصحيح كتاب الصيام حديث رقم ١٧٠

(*) انظر مختصرصحيح مسلم كتاب الأشربة حديث رقم ١١٤١ دار الهلال بيروت الطبعة الأولى ١٩٨٧م

(٦) جامع كرامات الأولياء تأليف يوسف ا سماعيل النبهاني ط دار صاد بيروت جـ٢ ص١١٥

وهذا ابراهيم ابن أدهم يقول إنه (أول دخوله الطريق سنه لا أكل ولا شرب ولا نام) (١) فهل هذا من فعل الرسول صلى الله عليه وسلم أو من هديه؟وهو الذي كان يأكل من طيبات الطعام إذا وجد فقد كان صلى الله عليه وسلم (يحب الحلواء والعسل) (٢) وعن عبد الله بن جعفر أنه قال:(رأيت النبيّ صلى الله عليه وسلم يأكل الرطب وبالقثاء) (٣) وعن عائشة - رضي الله عنها - (أن النبيّ صلى الله عليه وسلم كان يأكل البطيخ بالرطب) (٤)

وأما فيما يتعلق بلبسه صلى الله عليه وسلم الصوف وانتعال المخصوف فلم يختص بذلك وحده ، فقد لبس الصوف وغيره ، فعن أنس بن مالك - رضيّ الله عنه - قال: (كان أحب الثياب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يلبسها الحبرة)(٥) والحبرة هي من برد اليمن تصنع من قطن وكانت أشرف الثياب عنده وسميت حبرة لأنها تحبر أي تزين (٦)

---

(١) الطبقات في خصوص الصالحين والأولياء محمد ضيف الله الجعلي المكتبة الثقافية بيروت ج١ ص٦١

(٢) متفق عليه من حديث عائشة رضي الله عنها حديث رقم ٦٩٩٩ فيض القدير

(٣) متفق عليه ورواة أحمد في مسنده حديث رقم ٦٩٣٩ فيض القدير واللؤلؤوالمرجان فيما اتفق عليه الشيخان وضعه محمد فؤاد عبد الباقي دار الريان للتراث الطبعة الأولى جديث رقم ١٣٢٥

(٤) رواة الترمذي عن عائشة رضي الله عنها وأبو داوود عن سهل بن سعد رضي الله عنه والطبراني في الكبير . حديث رقم ٦٩٣٤فيض القدير

(٥) متفق عليه ورواه أبو داوود والنسائي عن أنس رضي الله عنه حديث رقم ٦٥٠٤ فيض القدير

(٦) فتح الباري في شرح صحيح البخاري لابن حجر جـ١٠ ص ٢٨٨

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما ـ قال : (قال النبيّ صلى الله عليه وسلم من لم يكن له إزار فليلبس السراويل ، ومن لم يكن له نعلان فليلبس خفين) (١) وقد لبس رسول الله صلى الله عليه وسلم النعال السبتية وهي النعال المصنوعة من الجلد المدبوغ بعد حلق شعرها (٢) ولم يكن مختصاً فقط بلبس النعال المخصوفة .

وأما ركوبه صلى الله عليه وسلم للحمار فهو كسابقة فالرسول صلى الله عليه وسلم لم يقتصر على ركوب الحمار، وإنما كان يركب ما يتيسر له من الخيل (٣) والبغال (٤) والإبل (٥) وقد قال صلى الله عليه وسلم في الخيل :(الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامه) (٦) وروي عن أنس - رضيّ الله عنه - قوله:(استقبلهم النبيّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ على فرس عُري ما عليه سرج وفي عنقه سيف) (٧) وقال ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ (أردف النبيّ صلى الله عليه وسلم أسامه على القصواء) (٨) وهي ناقة الرسول صلى الله عليه وسلم .

---

(١) رواه البخاري في الصحيح كتاب اللباس حديث رقم ٥٨٥٣
(٢) انظر فتح الباري جـ١٠ ص٣٢١
(٣) انظر الحديث رقم ٢٨٥٥ في صحيح البخاري
(٤) انظر حديث رقم ٢٨٧٣ في صحيح البخاري
(٥) انظر سيرة ابن هشام جـ٢ ص٥٤
(٦) رواه البخاري في الصحيح كتاب الجهاد والسير حديث رقم ٢٨٥٠
(٧) رواه البخاري في الصحيح كتاب الجهاد والسير حديث رقم ٢٨٦٦
(٨) رواه البخاري في الصحيح كتاب الجهاد والسير باب ناقة النبي - صلى الله عليه وسلم -

وأما فيما يتعلق بقيام الرسول صلى الله عليه وسلم ببعض الأعمال بنفسه كحلب الشاة وخصف نعله ورقع ثوبه فهذا دليل على التواضع النبويّ ، ودليل على مشروعية الأعمال مهما تكون إذا كانت موافقة للشرع فالرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ليس بحاجة إلى فعل ذلك وكان يكفيه إشارة فقط لمن حوله ؛ ليقوم الجميع بخدمته صلى الله عليه وسلم ولكنه لم يفعل ذلك بل قام بهذه الأعمال بنفسه؛ ليُعلّم أمته درساً عملياً وتربوياً رفيعاً بخلاف أهل التصوف وما يفعلونه بمريدهم وأتباعهم من إذلال لهم وتكليفهم بما لا يطيقونه أحياناً (١)

وأما فيما يتعلق بعدم خشيته صلى الله عليه وسلم الفقر وكرهه للغنى. فإن هذا القول فيه إجمال يحتاج إلى إيضاح وبيان فإن كان قصد الصوفية أن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ لا يخشى الفقر؛ لأنه من الله ـ سبحانه ـ ومقدر على الإنسان إذا عمل الأسباب فهذا نوافقهم عليه ؛ لأنه لا يجوز للمسلم أن يخشى شيئاً غير الله مهما كان هذا الشيء والرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ أولى من كل الناس بذلك ، وأما إذا كانوا يقصدون

---

(١) انظر حقائق عن التصوف عبد القادر عيسى مكتبة الوفاء حلب ط ٥ ١٤١٤هـ ص٩٤ وما بعدها

أن الرسول صلى الله عليه وسلم يحب الفقر ويخاف الغنى فهذا قول باطل لا نوافقهم عليه وذلك ؛ لأن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد تعوذ من الفقر فقال صلى الله عليه وسلم :(اللهم إني أعوذ بك ...من الفقر...) (١)؛ ولأن المال لا يذم لذاته بل يقع الذم لمعنى من الآدمي ، وذلك المعنى إما شدة حرصه أو تناوله من غير حله أو حبسه عن حقه أو إخراجه في غير وجهه أو المفاخره به (٢) ولهذا قال تعالى ﴿ واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنه ...﴾الأية (٣) ولو كان جمع المال بالطرق المشروعة مكروهاً لما جعل الله أحد أركان الإسلام مبنياً على ذلك وهو ركن الزكاة فلا تجب الزكاة إلا على من عنده مال وكذلك جعل الله الصدقات من أعظم القربات فكيف يزكي من لا مال عنده ؟ وكيف يتصدق من هو فقير ؟. ولهذا قال أحد السلف الصالح :(٤) (لا خير فيمن لا يريد جمع المال من حله ، يكف به وجهه عن الناس ، ويصل به رحمه ويعطى منه حقه) (٥)

فهذا هو الموقف الصحيح ؛لأن جمع المال من حله فيه قوة وعز للإسلام والمسلمين ، وفيه صلة الرحم ، وأداء حق الله ـ سبحانه ـ في المال من صدقات وغيرها من وجوه البر والإحسان .

---

(١) حديث صحيح رواة النسائي والحاكم في المستدرك والبيهقي في الدعاء عن أنس ـ رضي الله عنه ـ حديث رقم ١٤٨٩ فيض القدير .

(٢) الطيبا ت من الرزق جمع وترتيب أبي ذر القلموني البشر للنشر والتوزيع القاهرة ص٨٩

(٣) سورة الأنفال آية ٢٨

(٤) هو سعيد بن المسيب

(٥) الطيبات من الرزق ص٨٩

وقول الصوفية إن الرسول صلى الله عليه وسلم هو الذي وضع علم التصوف وأن حياته الباطنه صوفية .

فأقول : إذا كان الصوفية يقصدون بذلك الزهد فنقول لهم إن هذا قول صحيح فالقرآن والرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وضعا أُسس الزهد وهذا لا يخالف فيه . وأما إذا كنتم تقصدون بذلك التصوف المعروف اليوم بهذا الاسم فهذا قول لا يجب نسبته إلى الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ؛لأن التصوف فيه ما يخالف أسس الإسلام في بعض جوانبه مثل وحدة الوجود والحلول والإتحاد وغيرها من الأقوال الباطلة وكذلك ما ينفي هذا القول أن نشأة الزهد كانت منذ فجر الإسلام وأما التصوف فلم يظهر إلا في القرن الثاني الهجري وكذلك فإن الزهد لم يذمه أحد مطلقاً ، وأما التصوف فقد ذمه بعض العلماء ؛ لأن التصوف أمر زائد وطارئ عن الزهد له كيانه ونظامه وأصوله وقواعده وأسسه وطرقه وفي التصوف تحريم لبعض الحلال وترك للطيبات والتهرب من الزواج ومعاشرة الأهل والإخوان وتعذيب النفس بالجوع والتعري والسهر (١) مما يخالف ظاهر قول الله عز وجل ﴿ قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون ﴾ (٢) وقوله تعالى في وصف النبيّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ ﴿ الذين يتبعون الرسول النبيّ الأميّ الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه ألئك هم المفلحون﴾ (٣)

---

(١) انظر التصوف المنشأ والمصادر ص١٠ (٢) سورة الأعراف آية ٣٢ (٣) سورة الأعراف آية ١٥٧

المطلب الثاني الخلفاء الراشدين :

أ : أبو بكر الصديق رضيّ الله عنه :

أبو بكر الصديق - رضيّ الله عنه - صاحب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأول خليفة للمسلمين تخلق بأخلاق الإسلام وتأدب بآدابة وهب كل ما يملك لله ولرسوله - صلى الله عليه وسلم - دون أدنى تردد أو تأخر، ومن الطبيعي والحالة هذه أن تتأثر الأمة المسلمة بخليفة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وإيثار الآخرة على الدنيا ؛ ولذلك فإن الصوفية - كطائفة تنتسب للإسلام - يعدون أبا بكر - رضي الله عنه - من أئمتهم قال أبو بكر الواسطي: (١) أول لسان الصوفية ظهرت في هذه الأمة على لسان أبي بكر رضي الله عنه (٢) إشارة ثم استخرج منها أهل الفهم لطائف توسوس فيها العقلاء وقد علق السراج الطوسي على هذا الكلام بقوله : وهذا الذي أشار إليه الواسطي في قوله : أول لسان الصوفية ظهرت على لسان أبي بكر - رضي الله عنه - فذلك قول أبي بكر - رضي الله عنه - ؛ لأنه حين خرج من جميع ملكه قال له النبيّ - عليه السلام : (أيش خلفت لعيالك) (٣) قال: الله ورسوله ، فقال الله ورسوله ؛ ولعمري إنها اشارة جليلة لأهل التوحيد (٤) ويرد عنه أيضاً أنه - رضي الله عنه - قال في مناجاته " اللهم أبسط لي الدنيا وزهدني فيها "وهذا رمز يعني أعطني

---

(١) هو أبو بكر محمد بن موسى الواسطي أصله من فرعانه ويعرف بابن الفرعاني كان من قدماء أصحاب الجنيد والثوري وكان من علماء مشايخ القوم لم يتكلم أحد في أصول التصوف مثل كلامه ، دخل خرسان واستوطن كورة مرو ومات بها بعد العشرين والثلاثمائة (انظر طبقات الشعراني جـ١ ص ٩٩ وحلية الأولياء جـ ١٠ ص ٣٤٩)

(٢) هذا يخالف قولهم إن أول من وضع علم التصوف هو الرسول صلى الله عليه وسلم انظر ص ٥٩

(٣) هذا كلام ركيك وغير فصيح فلا يمكن أن يكون الرسول صلى الله عليه وسلم قد قاله بهذه الصفة والصحيح ما ذكره أبو نعيم بحليته (فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أبقيت لأهلك) جـ١ ص٣٢

(٤) انظر اللمع ص ١٦٨

الدنيا أولاً؛لأشكر،ثم وفقني لكي أكف عنها وأعرض عنها من أجلك ؛لأكون قد أدركت درجة الشكروالإنفاق ، وكذلك مقام الصبر حتى لا أكون مضطراً في الفقرفيكون الفقرلي باختياري(١)

المناقشـــــــــة :

يرى الصوفيه أن أبا بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ قد تخلى عن جميع ما يملك في سبيل الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ولذلك فهو أمام الصوفية في التخلي عن الأموال والتجرد من الدنيا ويدّعون كذلك أنه طلب من الله أن يبسط له الدنيا، ثم يزهده فيها؛ ليكون الفقر اختياراً له لا اضطراراً .

أقول :إن هذا الكلام منافٍ للواقع وبعيد عن الحقيقة . فأبوبكر رضي الله عنه لم يترك التكسب والعمل، ولم يخرج من ماله كله إلا إذا كان ذلك في خدمة الإسلام وفي عمل نافع ،وهذا ليس فيه بأس ؛لأن التاجر الماهر هو الذي يحسن عقد الصفقات فأبو بكر ـ رضي الله عنه ـ من أمهر التجار وعندما تكون التجارة رابحة فإنه يندفع إليها بشدة وأي تجارة أكثر ربحاً من التجارة مع الله ورسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولهذا فقد غضب الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ من إيذاء أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ فقال صلى الله عليه وسلم :(إن الله بعثني إليكم فقلتم : كذبت ، وقال أبو بكر : صدق وواساني بنفسه وماله ...) (٢) فأبو بكر ـ رضي الله عنه ـ لم يتخل عن ماله إلا في الطريق الصحيح ثم إن هذا البذل والإنفاق لم يجعل أبا بكر ـ رضي الله عنه ـ يترك الدنيا بالكليه ويُحرّم الكسب

---

(١) كشف المحجوب ص٢٦٩(٢) جزء من الحديث الذي رواه البخاري في الصحيح كتاب المناقب برقم ٣٦٦١

على نفسه فقد وصل أبو بكر - رضي الله عنه - إلى أعلى منصب في الإسلام وهو خلافة الرسول - صلى الله عليه وسلم - ومع ذلك لم يترك التجارة والكسب ولم تشغله الخلافة عن طلب العيش عن طريق التجارة فبعد استلامه للخلافة نزل إلى السوق يحمل الثياب للتجارة فيلقاه عمر بن الخطاب رضي الله عنه قائلاً ما هذا ؟ وإلي أين ؟ فيقول له أبو بكر- رضي الله عنه - : إلى السوق ، فيقول: عمر- رضي الله عنه - ألست قد وليت أمر المسلمين ؟، فيفرض لك في أموالهم ما يكفيك وبيتك ، عد إلى المسجد . ثم جمع عمر- رضي الله عنه - الناس فاجتمعوا فقام أبو بكر- رضي الله عنه - فقال :(أيها الناس إني قد كنت أحترف لعيالي فأكتسب قوتهم ، وأنا الآن أحترف لكم فافرضوا لي من بيت المال ، فقالوا يا خليفة - رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لقد ترك رسول الله - صلى الله عليه وسلم : - أمين هذه الأمة أبا عبيدة فيحكم لك وعلينا فقال أبو عبيدة : أفرض لك قوت رجل من المسلمين ليس بأعلاهم ولا بأدناهم وكسوة الصيف والشتاء وركوبة تركبها ففرضوا له مائتي درهم ، فقال أبو بكر رضي الله عنه : أكسب أكثر ، ففرضوا له خمسمائة درهم (١) فعلى الرغم من تولية الخلافة لم يقعد عن الكسب ثم لم يرض بما أُعطي من بيت المال أول مرة لقلته ؛لأنه لا يوفر الحياة الكريمة له ولأسرته فلذلك زاده المسلمون بما يكفيه فأين الصوفية من هذه السيرة وهذا المنهج ؟

---

(١) انظر تاريخ الطبري ج٣ص٥٤ وطبقات ابن سعد ج٣ص١٨٤ وتلبيس ابليس ص٣٦٠ والخلفاء الراشدون أعمال وأحداث الدكتور أمين القضاة مكتبة المنار الأردن ص٢٦

ثم إن أبا بكر ـ رضي الله عنه ـ عندما يرى أن الإسلام بحاجة إلى قوة فإنه لا يقف عن ذلك فحين أمر الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ الصحابه ـ رضي الله عنهم ـ بالتصدق بأموالهم تصدق أبو بكر رضي الله عنه بكل ماله (١) ؛لأن الموقف يتطلب ذلك وليس كما يفعل الصوفية من الدعوة إلى الخروج عن المال مطلقاً فلو لم يكن عند أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ مال لم يستطع أن يتصدق ومما يؤكد أن أبا بكر ـ رضي الله عنه ـ يحسن إستغلال المال حسب مصارفه الشرعية أنه عندما اشترى بلالاً ـ رضي الله عنه ـ وهو مدفون بالحجارة بخمس أواق ذهباً فقالوا: لأبي بكر ـ رضي الله عنه ـ لو أبيت إلا أوقية لبعناه لك قال :أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ لو أبيتم إلا مائة أوقيه لأخذته (٢) ، فهكذا يستخدم المال لا كما يقول أصحاب التصوف من دعوة لعدم العمل والكسب المباح حتى لا يكون لديهم ما يفكون به محنة أو ضائقة تصيب الإسلام أو المسلمين ، فبدلاً من أن يكونوا عوناً للمجتمع على البر والقوة أصبح الصوفية بمفاهيمهم الخاطئة عالة على المجتمع الإسلامي ينتظرون الصدقات وما تجود به أيدي الناس .

---

(١) انظر حلية الأولياء للأصفهاني جـ١ ص٣٢

(٢) المرجع السابق ص٣٨

ب : عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ :

وأما أمير المؤمنين والخليفة الثاني للمسلمين عمربن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ فإنه قد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (قد كان في ما مضى قبلكم من الأمم أُناس محدَّثون ومكلَّمون فإن يك في أمتي أحد منهم فهو عمر بن الخطاب) (١) ودلائل صدق القول النبوي الشريف ظهرت وهو ماذكر عن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ أنه كان يخطب فصاح فقال في وسط خطبته : يا سارية (٢) الجبل ، وسارية في عسكر على باب نهاوند فسمع صوت عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ وأخذ نحو الجبل وظفر بالعدو وقيل لسارية: كيف عملت ذلك فقال سمعت صوت عمر ـ رضي الله عنه ـ يقول يا سارية الجبل(٣) .

وكذلك فإن أهل الحقائق ـ أي أهل التصوف ـ يرون أن لهم أسوة وتعلقاً بعمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ ؛لأنه رضي الله عنه قد خُص بمعاني تفرد بها عن غيره ويتمثل جانب من ذلك من اختياره لبس المرقعة(٤) ويرد عنه ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: " العزلة راحة من خلطاء السوء " (٥)

فهذه الصفات التي أُثرت عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ هي التي تعلق بها أهل التصوف ويرونها سنداً لبعض ما يفعلونه

---

(١) حديث صحيح رواه أحمد في مسندة عن أبي هريرة (فيض القدير في شرح الجامع الصغير للمناوي حديث رقم ٦٠٩٧)

(٢) هو سارية بن زنيم بن عبد الله بن جابر الكناني الدئلي صحابي جليل من الشعراء القادة الفاتحين جعله عمر رضي الله عنه أمير جيش وسيره إلى بلاد فارس سنة ٢٣ هـ ففتح بلاداً منها أصبهان (الأعلام ج٣ص٦٩)

(٣) اللمع ص١٧٣ (٤) اللمع ص١١٧٣ وانظر كشف المحجوب ص٢٧١ (٥) كشف المحجوب ص٢٧٠

المناقشـــــــة :

يرى الصوفية أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ إماماً لهم في بعض الأمور أقتصر على ذكر ثلاثة منها خشية الإطالة وهي:-

أولاً : الكشف وذلك من خلال قصة سارية .

ثانياً : لبس المرقعة .

ثالثاً : دعوة عمر ـ رضي الله عنه ـ للعزلة .

وسأناقش كل نقطة بالتفصيل والبيان :

فأقول وبالله التوفيق **أولاً**: إن ما حدث من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه في قصة سارية هو كرامة من الله لعبد من عباده الصالحين ويوضح شيخ الإسلام ابن تيمية ذلك بقوله :إن الخوارق ثلاثة أنواع : فإما أن تعين صاحبها على البر والتقوى فهذه أحوال نبينا ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومن اتبعه ،خوارقهم لحجة في الدين أو حاجة للمسلمين . والثاني : تعينهم على مباحات كمن تعينه الجن على قضاء حوائجه المباحه كتسخير الجن لسليمان عليه السلام .

والثالث : أن تعينه على محرمات مثل الفواحش والظلم والشرك والقول الباطل فهذا من جنس خوارق السحرة والكهان والكفار والفجار مثل أهل البدع من الرفاعية (١) وغيـــرهم فإنهم يستعينون بـــــها على الشرك

---

(١) طائفة صوفية تنسب إلي أحمد الرفاعي (ت ٥٨٠هـ) من بني رفاعة قبيلة من العرب وجماعته يستخدمون السيوف والحراب في إثبات الكرامات ، كان زاهداً كثير الرياضة النفسية ، انتشرت طريقته في غرب آسيا (انظر الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة الندوة العالمية للشباب الإسلامي الرياض الطبعة الأولى ص٣٤٨) .

وقتل النفس بغير حق والفواحش (١) ثم يقول :وعمر بن الخطاب لما نادى : يا سارية الجبل ، قال : إن لله جنداً يبلغونهم صوتي ، فعلم أن صوته إنما يبلغ بما يسره الله من تبليغ بعض الملائكة أو صالحي الجن فيهتفون بمثل صوته ؛لأن صوت البشر ليس من القوة والوضوح ما يجعله يبلغ هذه المسافات الطويلة (٢) وبناءً على ذلك فالمسلمون لاينكرون الكرامة متى ظهرت على يد عبد مؤمن متبع لكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ويستخدم كرامته في نصرة الإسلام ؛ لأن المسلمين يؤمنون بما ورد في القرآن وقد قال تبارك وتعالى في سورة يونس عليه السلام ﴿ ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولاهم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم ﴾ (٣) فبهذا تكون البشارة من الله سبحانه للمؤمنين الصالحين وليس لسواهم ؛ فكل من كان مؤمناً تقياً كان الله تعالى ولياً له فيهبه سبحانه إن شاء وأراد الرؤية الصالحة (٤) وكل ما يؤدي به إلى الفلاح والنجاح ، ولهذا فإنه يجب النظر لحال مدعي الكرامة فإن كانت حاله صالحة وجاء ماظهر على يده وفق ما أشرنا إليه فهي كرامة

(١) انظر كتاب النبوات لشيخ الإسلام ابن تيمية دار القلم بيروت لبنان بدون تاريخ ص١٦-١٧

(٢) انظر المرجع السابق ص٤١٥

(٣) سورة يونس الأيات ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤

(٤) انظر تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي طبع الرئاسة العامة لإدارات االبحوث لعلمية والافتاء والدعوة والإرشاد . جـ ٣ ص٣٦٧

وإن كانت حاله غير ذلك فهي ليست كرامة وإنما صنف من صنفوف الشعوذة والكهانة والكذب وعلى من يدعي الكرامة من الصوفية أن يثبت أن سيرته مثل سيرة عمر- رضي الله عنه ـ وهو الذي قال فيه الرسول الكريم ـ عليه السلام ـ:(بينا أنا نائم رأيت الناس عرضوا عليّ وعليهم قمص فمنها مايبلغ الثدي ومنها مايبلغ دون ذلك وعرض عليّ عمر وعليه قميص اجتره ، قالوا : فما أولته يارسول الله؟ قال: الدين)(١) وهو المشهود له بالجنة (٢) فهل هذه الشهادة تنطبق على الصوفية ؟ومن الذي يزكيهم كما زكي عمر رضي الله عنه ؟ فهو الذي قال عنه الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ (إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه) (٣) فكل من كان من أهل الالهام والخطاب والمكاشفة لم يكن أفضل من عمر فعليه أن يسلك سبيله في الاعتصام بالكتاب والسنة تبعاً لما جاء به الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ (٤) •

---

(١) صحيح البخاري كتاب الفضائل حديث رقم ٣٦٩١

(٢) انظر صحيح البخاري كتاب الفضائل حديث رقم ٣٦٩٣

(٣) رواه أحمد وأبو يعلى وأبو داود عن أبي ذر وأحمد والترمذي عن ابن عمر (انظر كشف الخفاء حديث رقم ٦٨١)

(٤) الفرقان بين الحق والباطل تأليف شيخ الإسلام تحقيق الشيخ حسين غزال دار إحياء العلوم بيروت ص ٩٧

ثانياً : لبس عمر رضي الله عنه للمرقعة:

تتفق أكثر الروايات على أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ كان يلبس ثياباً مرقعة ، ولكن هل لبس عمر ـ رضي الله عنه ـ هذه المرقعات لنفس الغرض الذي تدعيه وتنشده الصوفية ،أو لغير ذلك ؟، وللإجابة على ذلك ينبغي أن نقول : إن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ كان يلبس الثياب المرقعة ولكن لم يكن دائم الحال على ذلك ؛ بل كان يلبس الثياب الجديدة التي ليس بها رقاع وكذلك الثياب المغسولة النظيفة، ودليله ما روي عن أبي أمامة رضي الله عنه قال : (لبس عمر ابن الخطاب ثوباً جديداً فقال الحمد لله الذي كساني مأواري به عورتي وأتجمل به في حياتي ٠٠٠) (١) وعن ابن عمر رضي الله عنهما : أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ رأى على عمر قميصاً أبيض ، فقال : (ثوبك هذا غسيل أم جديد ؟) قال : (لا٠ بل غسيل) قال: (ألبس جديداً وعش حميداً ومت شهيداً) (٢) وكذلك كان من مخصصات الخليفة في

---

(١) رواه ابن ماجة في سننه كتاب اللباس تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي المكتبة العلمية بيرت لبنان حديث رقم ٣٥٥٧

(٢) حديث صحيح رواه ابن ماجة في سننه كتاب اللباس حديث رقم ٣٥٥٨

صدر الإسلام كسوة الصيف وكسوة الشتاء (١) وكان عمربن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ يلبس هذه الكسوة الجديدة كما قال أبو نعيم في الحلية: (لبس قميصاً جديداً)(٢) يعني عمر بن الخطاب ولعل الذي دفع عمربن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ للبس الثياب المرقعة أحياناً هو القلة والفقر فلقد مرت على المسلمين سنون عجاف في خلافته ، وأراد أن يتساوى بفعله هذا مع أفقر المسلمين حتى لاتكون عليه حجة عند الله في التفريط بحقوق الرعية وإيثار نفسه بالملبس والمأكل دون رعيته ومن هذا المنطلق منع نفسه السمن عام الرمادة ، وكان يأكل الزيت فقط ويلبس الثياب الخشنة ،(٣) ثم إن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ لا يرقع ثوبه حتى يبلى وهذا بخلاف ما يفعله منحرفوا الصوفية إذ يعمدون إلى ثوبين جديدين أو ثلاثة كل واحد منها على لون فيجعلوها خرقاً ويلفقونها فيجمع ذلك الثوب وصفين:الشهرة والشهوة فإن لبس مثل هذه المرقعات أشهى عند خلق كثير من الديباج وبها يشتهر صاحبها

---

(١) انظر تاريخ الطبري ج٣ص ٥٤ ونظرات في السيرة البنا ص٤٩ واتمام الوفاء في سيرة الخلفاء محمد الخضري ص١٨

(٢) حلية الأولياء جـ١ ص٤٥

(٣) انظر حلية الأولياء جـ١ ص٤٨

أنه من الزهاد (١) ثم إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه حمد الله على أن جمله باللباس الجديد وهذا يدل على أنه يفضل اللباس الجديد دون القديم.

ثالثاً : دعوة عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ للعزلة : وذلك بقوله :(العزلة راحة من خلطاء السوء) ينسب الصوفية هذا القول لعمر ـ رضي الله عنه ـ ويتخذون ذلك سنداً يبررون به ما يقومون به من عزلة وعدم اختلاط بالناس ؛(لأنهم قوم قد تركوا الدنيا فخرجوا عن الأوطان وهجروا الخلان وساحوا في البلاد وأجاعوا الأكباد وأعروا الأجساد) (٢) ويذكر الهجويري عن أحد المتصوفة (٣) :(أنه في بداية حاله اعتزل عشرين سنة في البوادي بحيث لايسمع آدمياً حتى ذابت بنيته من المشقة ، وصارت عيناه كسم الخياط وتحول عن صورة الآدميين وجاءه الأمر (٤) بالصحب بعد عشرين عاماً) (٥) وقد أمضى بعضهم في الخلوة أحد عشر يوماً بدون طعام ولا شراب (٦) هذه الخلوة التي يريدها الصوفية ، وأما قول عمر ـ رضي الله عنه ـ : فهو قول بليغ وسديد ؛لأنه قال : العزلة خير من خلطاء السوء ولم يدعوا إلى العزلة واجتناب الاختلاط مطلقاً؛ لأن

---

(١) تلبيس ابليس ص٢٥٢

(٢) التعرف لمذهب أهل التصوف للكلاباذي ص٢٩

(٣) اسمه أبي عثمان المغربي

(٤) يبدو أنه يعني بذلك نزول الوحي عليه ؛لأن هذا من غايات العزلة الصوفية وهو التلقي عن الله مباشرة وبدون واسطة !!

(٥) كشف المحجوب ص٤١٦

(٦) انظر قوت القلوب ج٢ص٢٠٧

مجالسة أصحاب السوء فيها ضرر كبير على الإنسان ؛ ولهذا حذر الله ـ سبحانه ـ من مجالسة أهل السوء فقال تعالى ﴿ وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين﴾ (١) فإن لم يجد الإنسان غير هؤلاء القوم الذين يخوضون بآيات الله فالعزلة أولى من مجالستهم ومخالطتهم ، ولكن ليس كل الناس أهل سوء فمنهم الصالحون والدعاة الذين يأنس المرء بقربهم ويستفيد منهم في طلبه للعلم وغيره من أمور الدين والدنيا ثم إن سيرة عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ تخالف هذا القول المنسوب إليه فقد كان يخالط الناس وينزل للأسواق ويدير شؤون الأمة فلماذا لم يعتزل وقد مر عليه بعض خلطاء السوء من المنافقين والمرتدين ؟ فلم يتركهم وشأنهم وإنما جالدهم بالسيف ووقف ضدهم بالحجة والبرهان ، فالعزلة تكون مطلوبة إذا خاف الإنسان على انحراف عقيدته أو تسرب شيء من الشركيات إليه ، وأما إذا كان الإنسان عالماً بأمور دينه وتمكن من دفع الشبه التي تلقى عليه وأمن الفتنة والضرر فعليه عدم الاعتزال عن أهل الضلال وإنما دعوتهم وبيان الصواب لهم بالحجة والبرهان والرفق واللين لعل الله يهديهم إلى الصراط المستقيم فيحصل له الأجر الكبير والثواب العظيم قال تعالى :﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين ﴾ (٢) إن الفرق واضح بين مايريده الصوفية من العزلة وبين ما يريده الإسلام ولامجال للمقارنه بين الاثنين .

---

(١) سورة الأنعام الآية ٦٨

(٢) سورة النحل آية ١٢٥

جـ : عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ :

يدعي الصوفية أن قدوتهم في الإنفاق والبذل عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ ؛ لأن الإنفاق من ماله كان أحب إليه من الإمساك والخرج عنده آثر من الدخل ولذلك فقد جهز جيش العسرة وشرى بئر رومة من ماله (١) ولهذا يرى الصوفية أن عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ هو قدوتهم في بذله للمال (٢) وعدم إمساكه .

المناقشة :

نجيب الصوفية في ذلك فتقول : إن الخليفة عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ ليس إماماً لكم إطلاقاً في هذه القضية فلقد كان تاجراً ثرياً يجمع الكثير من المال ثم ينفقه في وجوه البر ، ونصرة الإسلام مثل تجهيز جيش العسرة من ماله الخاص وكذلك شراء بئر رومة فلو لم يعمل ويتاجر لم يكسب هذا الأجر والثواب ، ولم يستطع جمع هذا المال الوفير الذي كسب به رضا الله ـ سبحانه ـ ورسوله الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ حتى قال فيه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم :(ما يضر عثمان ما فعل بعد هذا اليوم) (٣) فهل بعد هذه المنزلة والمكانة

---

(١) انظر اللمع ص١٢٧

(٢) انظر كشف المحجوب ص٢٧٣

(٣) حلية الأولياء جـ ١ ص٥٩

من منزله ؟ وأما أنتم أيـها الـمتصوفة فعلى النقيض من ذلك فأنتم تحرمون جميع المال وتقولون :(لا يكن معك شيء تعطي منه أحداً) (١) (وكان بعضهم - أي المتصوفة - إذ أصبح وعنده شيء أصبح حزيناً وإذا لم يصبح عنده شيء أصبح فرحاً مسروراً) (٢) وتقولون أيضاً: إن(الفقر أساس التصوف وبه قوامه) (٣) فهل هذه سيرة عثمان - رضيّ الله عنه -؟وهل يستطيع تجهيز جيش بأكمله وشراء بئر رومة ؟ لو كان فقيراً؟ ولو كان يكره أن يبيت عند شيء من المال ؟

إن من يجعل عثمان بن عفان - رضي الله عنه - قدوة وإماماً له فعليه أن يسلك نفس طريقه ويقتدي به ، فلا قيمة للدعوى إذا لم يتبعها تطبيق ، فعثمان بن عفان - رضي الله عنه - كان يجمع المال من حله ومن الطريق الحلال فيتعب ويجتهد ويتخذ الأسباب المعينة له على الربح ثم ينفقه في نصرة الإسلام ووجوه البر والإحسان المختلفة ، وهذا بخلاف حال أهل التصوف الذين يدعون إلى عدم العمل وإلى البطالة والتسول وعدم الإنتاج فكانوا عالة على المجتمع الإسلامي بدلاً من أن يكونوا أعضاء عاملين نافعين .

---

(١) عوارف المعارف للسهروردي ص٩٢

(٢) إيقاظ الهمم لابن عجيبة الحسني مطبعة البابي الحلبي ط٣ سنة١٤٠٢ هـ ص٢١٣

(٣) نفس المرجع السابق ونفس الصفحة

د . علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ :

نظراً لتشابه موقف الصوفية من الإمام علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ مع موقف الشيعة وتجنباً للتكرار فإنني سأبحث ذلك في مبحث التشيع . (١)

هـ . أهـــــل الصفة ـ رضي الله عنهم ـ :

يدعي الصوفية أن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد رأى حال أهل الصفة وعلم ما هم عليه من ترك الاكتساب والجلوس انتظاراً للصدقات فأقرهم على هذا العمل ولم يأمرهم بالعمل أو بطلب المعاش (٢) وهم الذين وهبوا أنفسهم للعبادة ، وكفوا أيديهم عن الدنيا ، وأعرضوا عن الكسب ، (٣) وكانوا لا يرجعون إلى زرع ولا إلى ضرع (٤)

---

(١) انظر ص ٨٥ من هذا البحث

(٢) انظر اللمع ص١٣٣

(٣) كشف المحجوب ص٢٨٥

(٤) عوارف المعارف ص١٠٢

المناقشـــــــة:

يرى الصوفية أن أصحاب الصفة قد تركوا الكسب والعمل اختياراً وأن انقطاعهم إلى العبادة في مسجد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ليس اضطراراً فأقول وبالله التوفيق :

إن بناء الصفة بمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ضرورياً لمواجهة ظرف طارئ على المسلمين ، وذلك نظراً لأنهم قد هاجروا من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة فراراً بدينهم من أذى قريش وجبروتها ونتيجة لذلك فقد هاجر بعض المسلمين وترك خلفه كل ما يملك . قـــال تعالـــــى :﴿ للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون ﴾ (١) ومع ذلك فقد كان هؤلاء الفقراء من أهل الصفة وغيرهم يكتسبون عند إمكان الاكتساب الذي لا يصدهم عما هو أوجب أو أحب إلى الله ورسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من الكسب وأما إذا أحصروا في سبيل الله عن الكسب ، فكانوا يقدمون ما هو أقرب إلى الله ورسوله ، وكان أهل الصفة ضيوف الإسلام يبعث إليهم النبيّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ بما يكون عنده ، لأن الغالب عليهم الحاجة ؛ لأن ما يكسبونه لا يكفي بما يحتاجون إليه من الرزق (٢)

---

(١) سورة الحشر آية ٨

(٢) انظر فتاوي شيخ الإسلام جـ١١ ص٤٤

ولم يكن جميع أهل الصفة يجتمعون في وقت واحد ، بل منهم من يتأهل ، أو ينتقل إلى مكان آخر يتيسر له ، ويجيء ناس بعد ناس ، فكانوا تارة يقلون وتارة يكثرون (١) ولم يكن من أهل الصفة من يتخذ مسألة الناس ولا الإلحاف في المسألة صناعة وحرفة (٢) ومع ذلك فلم تمنعهم هذه الحالة التي هم عليها من الفقر والجوع عن الخروج في سبيل الله مجاهدين يقاتلون أعداء الله ورسوله وينشرون الإسلام (٣) ولم يكن أهل الصفة مثل فقراء التكايا ـ الصوفية ـ بل كانوا أول من يسارع إلى القتال إذا دعا داعية فكانوا بمثابة الجيش الواقف على قدم الاستعداد لأي نازله تصيب الأمة أو تهدد كيانها .

ولما كثر عدد المسلمين ، ولم يبق لبقائهم حاجة أخرجهم عمر بن الخطاب ـ رضيّ الله عنه ـ من المسجد ؛ ليكلفوا أرزاقهم بأنفسهم (٤) لتغير الأحوال والظروف التي دعتهم للسكن في صفة مسجد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ والتي انتهى دورها بالنسبة لهؤلاء بإخراج عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ لكل من كان فيها من الفقراء لكي يعتمدوا على أنفسهم في كسب أرزاقهم وأقواتهم بدلاً من انتظار الصدقات وما تجود به أيدي الناس عليهم ، فكان في عمل أمير المؤمنين ـ رضي الله عنه ـ أبلغ إشارة لكل متهاون كسول في طلب رزقه ؛لأن السماء لا تمطر ذهباً فكل إنسان مسؤول عن نفسه .

---

(١) الفتاوي لشيخ الإسلام جـ١١ ص٤١

(٢) انظر الفتاوى لشيخ الإسلام جـ١١ ص٤١

(٣) انظر التصوف منشوه ومصطلحاته للدكتور أسعد السحمراني ص١٥ـ ١٧

(٤) التصوف في الإسلام وأهم الاعتراضات الوارده عليه د/ عبد اللطيف محمد العبد ص٢٠

المطلب الثاني : التشيع •

تعريف الشيـــــعة :

الشيعة في اللغة :هم الأتباع والأنصار " وشيعة الرجل " بالكسر " أتباعه وأنصاره ، والفرقة على حده ، ويقع على الواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث وجمعه أشياع وشيع" (١) (وكل قوم اجتمعوا على أمر فهم شيعة ... ، وكل من عاون إنساناً وتحزب له فهو لـــــه شيعة) (٢)

وأما في الاصطلاح: فالشيعة :(هم الذين شايعوا علياً ـ رضي الله عنه ـ على الخصوص وقالوا بإمامته وخلافته نصاً ووصية، إما جلياً وإما خفياً واعتقدوا أن الأمامة لا تخرج من أولاده ، وإن خرجت فبظلم يكون من غيره ، أو بتقية من عنده) (٣) وهكذا فالتشيع اصطلاحاً أساسه الاعتقاد بأن عليًا ـ رضي الله عنه ـ وذريته أحق الناس بالخلافة بعد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ،وأن عليًا،أحق بها من أبي بكروعمر وعثمان ـ رضي الله عنهم ـ وأن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ عهد بها من بعده إليه وكل إمام يعهد بها لمن بعده (٤) وهـــــي منصب إلهي كالنبوة (٥) عند الشيعة .

---

(١) القاموس المحيط (باب العين فصل الشين)

(٢) تاج العروس من جواهرالقاموس محب الدين أبي الفيض الواسطي طبعة دارمكتبة الحياة لبنان مادة شاع

(٣) الملل والنحل للشهرستاني تحقيق عبد العزيز الوكيل طبعة دار الفكر ص١٤٦ وانظر الصلة بين التصوف والتشيع طبعة دار الأندلس بيروت الطبعة الثالثة ١٤٠٤هـ للشيبي جـ١ ص١٩

(٤) انظر دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية الدكتور عرفان عبد الحميد ص ٢٢

(٥) انظر أصل الشيعة وأصولها محمد حسين آل كاشف الغطاء بدون تاريخ طبعة ص٥٨

وتبدو الصلة بين التشيع والتصوف واضحة في عدة جوانب وهم يتفقون فيها اتفاقاً يكاد يكون متطابقاً حتى ولو حاولوا تجنب استخدام نفس العبارات والمصطلحات التي يستخدمها الطرف الأخر، وكون التشيع كان متقدماً على التصوف في النشأة فلا مجال للشك ، في أن الصوفية قد تأثروا في بعض الجوانب بالتشيع والتي من أهمها ما يلي :

أ - الإمامه الشيعية والولاية الصوفية (١) .

١ - الإمامة عند الشيعة:-

الإمامة لغة : أم القوم تقدمهم وهي :الإمامة ، رأس القوم : أمهم . والإمام : ما أؤتم به من رئيس وغيره والجمع أئمة (٢)

واصطلاحاً : هي خلافة النبوة في حراسة الدين وسياسية الدنيا (٣)

وللإمامة عند الشيعة مفهوم خاص ولذلك فقد بنوا مذهبهم على أن الأئمة أناس مختارون من قبل الله - سبحانه وتعالى - لقيادة الأمه وتدبير شؤونها بعد الرسول - صلى الله عليه وسلم - ، ولذلك فهم يملكون علوماً خاصة لدنية ولايخطئون ولا ينسون ، ولهم منزلتهم من الله التي استحقوها استحقاقاً ووهباً واختصاصاً واجتباءً ثم غلوا في هؤلاء الأئمة فجعلوهم آلهة وأرباباً بكل ما تحمله الكلمة من معان فالأئمة عند الشيعة متصرفون في كل ذرات الكون وهم الذين يدخلون الجنة من شاءوا ويدخلون النار

---

(١) انظر قطر الولي على حديث الولي للإمام الشوكاني تحقيق الدكتور ابراهيم هلال توزيع دار الباز ص٧٨

(٢) انظر المعجم الصافي في اللغة صالح العلي وأمينة الأحمد باب (الألف)وانظر القاموس المحيط باب(الميم)

(٣) الأحكام السلطانية تأليف ابن الحسن علي بن محمد الماوردي الطبعة الأولى سنة ١٣٢٧هـ ص٥

من أرادوا ومنهم من جعل منزلة هؤلاء الأئمة فوق منازل الرسل والملائكة جميعاً (١) ؛لأن لأئمتهم مقاماً لا يبلغه ملك مقرب ولانبي مرسل ، وإنهم يتحكمون في قرارات هذا الكون (٢) ولهذا فإن للإمام عند الشيعة (مقاماً محموداً ودرجة سامية وخلافة تكوينية تخضع لولايتها وسيطرتها جميع ذرات الكون وإن من ضروريات ـ المذهب الشيعي ـ أن للأئمة مقاماً لا يبلغه ملك مقرب ونبي مرسل بموجب ما لديهم من روايات وأحاديث تثبت أن الأئمة كانوا قبل هذا العالم أنواراً فجعلهم الله بعرشه محدقين وجعل لهم من المنزلة الزلفى ما لا يعلمه إلا الله ... وقد ورد عن أئمتهم أن لهم مع الله حالات لايسعها ملك مقرب ونبي مرسل) (٣) ثم يستمر الغلو الشيعي في الأئمة حتى نزلوا أئمتهم منزلة تساوي منزلة الله ـ تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً ـ ومن ذلك ماينسبونه لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: (أنا الذي علوت فقهرت ، وأنا الذي أحيي وأميت وأنا الأول والآخر والظاهر والباطن) (٤) ولهذا فإن إمام الشيعة (يعلم ما في السماوات والأرض وما في الجنة وما في النار ويعلم ما كان وما يكون) (٥) ؛ لأن (الأئمة لم يفعلوا شيئاً ولا يفعلون إلا بعهد من الله عز وجل وأمرمنه لا يتجاوزونه) (٦)

---

(١) بحار الأنوار محمد باقر المجلسي دار الكتب الإسلامية جـ ٢٦ ص ١٩٤ـ ٢٠٠وانظر الفكر الصوفي عبد الرحمن عبد الخالق ص٤١٧

(٢) الحكومة الإسلامية آية الله الخميني طبعة دار الطليعة بيروت ط٢ سنة ١٩٧٩م ص٥٢

(٣) الحكومة الإسلامية آية الله الخميني ص٥٢ (بتصرف يسير)

(٤) انظر الاختصاص للشيخ المفيد تحقيق محمد باقر مكتبة بصيرتي بقم بدون تاريخ ص١٥٧ وانظر الإحتجاج لأحمد علي الطبرسي موسسة النعمان بيروت بدون تاريخ جـ٢ ص٢٨٥

(٥،٦) الأصول من الكافي / محمد يعقوب الكليني تحقيق علي الغفاري ط٤ ١٣٩٢ جـ٢ ص١١،٥٧

ولأن الإمامة عند الشيعة ذات مكانة رفيعة ،ودور عظيم فإنه لا بد من إمـام في كل زمان ومكان ولو لم يكن في الأرض إلا اثنـان لكـان الإمـام أحدهمـا ولهذا فإن (الأرض لا تخلوا من حجة) (١) أبداً (ولو بقيـت الأرض بغير إمام لساخت) (٢) ـ كما يزعمون ـ ولهذا فإن الأئمة معصومون عن الخطـأ والنسيان وعن اقتراف الكبائر والصغـائر (٣) . وتبعـاً لذلـك فـإن الديـن كلـه يكون بطاعة رجل (٤) ولمكانة الإمام وجسامة الدور الذي يقوم به فلابد من مساعدين له يساعدونه ويسمون الحجج يبثون الدعوة في غيبة الإمام أو فـي حضرته وهم مقدسون وعددهم ثابت لايتغير وهـو اثنـا عشـر رجـلاً وهكـذا يشارك الحجة الإمام في العلم والدعوة والسند الإلهي (٥) •

٢ ـ الولاية عند الصوفية : ـ

الولاية لفظ يدور حول الولي ، والولي لغة هـو : (المحـب والصديـق والنصـــيـر وولي الشيء ويليه وَلاية ووِلاية وتولاة : اتخـــذ ولياً) (٦)

---

(١) الأصول من الكافي للكليني ط دار الكتب الإسلامية طهران ط٢ ١٩٨٨م جـ ١ ص١٨٠

(٢) نفس المرجع السابق جـ١ ص١٧٩

(٣) انظر الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ص٣٠١وانظر تاريخ الإمامية عبد الله فياض مؤسسة الأعلمي بيروت ط٢ سنة ١٣٩٥هـ ص١٥٧ وانظر حياة الإمام الحسين بن علي تأليف باقر شريف القرشي مطبعة الآداب ط٢ سنة ١٣٩٠هـ جـ ١ ص ١١١

(٤) انظر الملل والنحل للشهرستاني ص١٤٧

(٥) الصلة بين التصوف والتشيع للشيبي جـ١ ص٢٢٥ وانظر خطط المقريزي جـ٢ ص٢٣١

(٦) القاموس المحيط (باب الياء فصل الواو) ومختار الصحاح محمد بن أبي بكر الرازي مكتبة لبنان (باب الواو)

وكما أن للإمامه عند الشيعة مفهوم خاص فللولاية عند الصوفية مفهوم يشابه إلى حد كبير ما عند الشيعة فهذا القشيري يذكرمعنى الولي بقوله:(١) إذا قيل ما معنى الولي ؟ قيل : يحتمل أمران : ـ

الأول : أن يكون فعيل مبالغة من الفاعل ، كالعليم والقدير وغيره ويكون معناه : من توالت طاعته من غير تخلل معصية .

والثاني : يجوز أن يكون فعيل بمعنى مفعول ، كقتيل بمعنى مقتول وجريح بمعنى مجروح ، وهو الذي يتولى الحق سبحانه وتعالى حفظه وحراسته على الإدامة والتوالي فلا يخلق له الخذلان الذي هو قدرة العصيان وإنما يديم توفيقه الذي هو قدرة الطاعة قال تعالى :﴿ وهو يتولى الصالحين ﴾(٢) فلا يكله إلى نفسه لحظة بل يتولى الحق سبحانه رعايته (٣) ثم قال :(وكلا الوصفين واجب حتى يكون الولي ولياً يجب قيامه بحقوق الله تعالى على الاستقصاء والاستيفاء ودوام حفظ الله ـ تعالى ـ إياه في السراء والضراء ومن شروط الولي أن يكون محفوظاً ...) (٤)

---

(١) الرسالة القشيرية للقشيري ص٣٥٩

(٢) سورة الأعراف آية ١٩٦

(٣) الرسالة القشيرية للقشيري ص٢٦٠

(٤) الرسالة القشيرية للقشيري ص٢٦٠

لأن (نهايات الأولياء بدايات الأنبياء) (١) ،ويفهم من هذه الأوصاف أن الولي يكون معصوماً فلا يقع منه الخطأ أو النسيان ؛ولهذا (لا تخلوا الأرض من قائم لله تعالى بحجة إما ظاهراً مكشوفاً وإما خائفاً مقهوراً لئلا تبطل حجج الله تعالى وبيناته) (٢) وقد ادعى الصوفية أن علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ قد أفادهم من علم التصوف ؛(لأنه أعطي علم اللدني وله خصوصية من بين جميع أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بمعاني جليلة وإشارات لطيفة وألفاظ مفردة ... ؛ولهذا تعلق وتخلق به أهل الحقائق من الصوفية) (٣) ويرون أن لأمير المؤمنين ـ رضي اللله عنه ـ شأناً عظيماً ودرجة عالية في طريقة التصوف حتى قال الجنيد: (شيخنا في الأصول والبلاء علي المرتضى) (٤) ثم يذهب الصوفية أبعد من ذلك حين قالوا : (يجوز أن يكون من جملة كرامات الولي أن يعلم أنه مأمون العاقبة وأن عاقبته لا تتغير) (٥) وأيضاً فإن الولي الصوفي (يأخذ علمه من ربه بأي وقت شاء بلا تحفظ ولا درس) (٦) ويقول أحد أئمة التصوف :(٧) (إن الرجل لا يكمل عندنا في مقام العلم حتى يكون علمه من الله عز وجل بلا وساطة ... فيأخذ عنه العلم بالأمور من طريق الإلهام الصحيح من غير تعب ولا نصب ولا سهر)(٨) ويقول أبو يزيد البسطامي (٩) لعلماء عصره :(أخذتم علمكم من

---

(١) الرسالة القشيرية ٢٦٢ (٢) قوت القلوب في معاملة المحبوب أبو طالب الملكي ط دارالفكرجـ١ ص١٣٤

(٣) اللمع للسراج ص١٢٩ (٤) انظر كشف المحبوب للهجويري ص٢٧٤ (٥) الرسالة القشيرية ص٣٦٠

(٦) ا لكواكب الدرية ١/٢٤٦ (٧) ابن عربي

(٨) رسائل ابن عربي ـ رسالته إلى الإمام فخر الرازي ـ دار احياء التراث العربي بيروت ط ١٣٦١هـ

(٩) أبويزيد طيفور ـ بن عيسى البسطامي (١٨٨ ـ٢٦١هـ) كان جده مجوسياً وقد أسلم (الرسالة القشيرية ص٣٩٥)

علـماء الرسـوم ميتاً عن ميت وأخذنا علمنا عن الحي الذى لا يموت) (١) وإذا كان الولي قد وصل إلى هذه المرتبة من العلم والقدرة فإنه تجب له الطاعة المطلقة لأنه (ليس مريداً البتة من لم يكن أطوع لشيخه من ربه) (٢) ويقول أحد أولياء الصوفية لأحد تلاميذه (إذا كانت لك حاجة إلى الله فأقسم عليه بي) (٣) ويستمر الغلو الصوفي في النسق ذاته الذي سار فيه الغلو الشيعي إلى أن يصل إلى مرحلة ادعاء الألوهية .

فهذا ولي (٤) صوفي يدعي أنه وصل إلى مرحلة الألوهية يقول :(إني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدوني) (٥) ويقول :(سبحاني ما أعظم شأني) (٦) فهل وراء هذا من شيء – تعالى لله عما يقولون علواً كبيراً –؟ ثم ينهج المتصوفة نهج الشيعة في تقسيمات الولاية إذ يجعلون الولاية مراتب ويقع على رأس هذا التقسيم الغوث الأكبر وهو أكبر الأولياء جميعاً وهو واحد فقط في كل زمان وتحت الغوث أربعة أوتاد كل وتد في ركن من أركان العالم يقوم به ويحفظه ثم الأقطاب السبعة ثم الأبدال وهم أربعون فالنجباء وهم ثلاثمائة (٧)

---

(١) الطبقات الكبرى للشعراني جـ١ص٥

(٢) تذكرة الأولياء فريد الدين العطار جـ١ ص١١١

(٣) قائل هذا الكلام ذو النون المصري

(٤) هو أبويزيد البسطامي

(٥) تذكرة الأولياء ١/١١٦

(٦) تذكرة الأولياء ١ /١١٩

(٧) انظر في ذلك كتاب اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر عبد الوهاب الشعراني دار المعرفة بيروت لبنان جـ٢

أوجه الشبه بين الإمامه عند الشيعة والولاية عند الصوفية :ـ

١ ـ يتفقون على وجوب الإمامة والولاية (١).

٢ ـ يتفقون على أن لعلي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ مكانه خاصة تختلف عن باقي الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ جميعاً .

٣ ـ يدّعون العصمة للإمام والولي .

٤ ـ يدّعون أن الإمام والولي يعلمان الغيب ويتصرفان في الكون .

٥ ـ يذهب الغلاة منهم إلى وصف الإمام والولي بصفات الإلوهية .

٦ ـ يتفقون في أن الدين طاعة رجل .

٧ ـ لهم تقسيمات تشبه بعضها فيما يتعلق بالإمامة والولاية مثل إمام وحجة وولي وغوث ووتد .

ولهذا فقد ثبت لديّ وبما لا يدع مجالاً للشك أن الإمامه والولاية هما وجهان ، لعمله واحدة ،فهذه حال أهل الضلال وإن اختلففت مسمياتهم فإنهم في الحقيقة ينطلقون من قاعدة واحدة ويسعون لهدف واحد وغاية مشتركة.

---

(١) وجوب الإمامة أصل من أصول أهل السنة والجماعة ، ولكنهم يختلفون عن الشيعة والصوفية في التفصيلات (انظر الأحكام السلطانية للماوردي ص ٥)

ب ـ القــــول بالظاهر والباطن :

وأما الفكرة الأخرى التي تسربت إلى التصوف من التشييع واعتنقها الصوفية بتمامها،فهي فكرة تقسيم الشريعة إلى الظاهر والباطن (١) ولما كانت العقائد الباطنية ، تقوم على التأويل الباطني فلابد أن يكون لها ظاهر وباطن . والأصل في استعمال الباطن أنه خلاف الظاهر . وقد ورد أيضاً في القرآن الكريم بمايحدد دلالته على أنه استعمال مخالف للظاهر (٢) يقول تعالى : ﴿ فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ﴾ (٣) وقد يتبادر إلى الذهن أن الأخذ بالظاهر هو من قبيل الالتزام بدلالة النصوص اللغوية المباشرة ومايفهم من ظاهرها إلا أن الأمر يختلف اختلافاً كلياً عند الباطنيين لأن الظاهر لديهم بمثابة رسوم الدخول في الباطنية حتى يتحقق لهم إسقاط التكاليف الشرعية ؛لأنه في نظرهم من عرف المعنى الحقيقي لعبادة من العبادات سقطت عنه هذه العبادة متأولين بغير ما يقتضي على الإطلاق (٤) قوله تعالى ﴿ واعبد ربك حتى يأتيك اليقين ﴾ (٥) معتقدين أن اليقين هو معرفة التأويل .

ولهذا سأعرض لموقف كلا الفريقين من القول بالظاهر والباطن مختصراً

---

(١) التصوف المنشأ والمصادر احسان إلهي ظهير ادارة ترجمان السنة باكستان الطبعة الأولى ص٢٤٣

(٢) العقائد الباطنية وحكم الإسلام فيها د . صابر طعيمه المكتبة الثقافية بيروت ط٢ ١٤١١ هـ ص١١

(٣) سورة الحديد الآية ١٣

(٤) انظر العقائد الباطنة وحكم الإسلام فيها (بتصرف) ص١٥

(٥) سورة الحجر آية ٩٩

١ ـ الظاهر والباطن عند الشيعة :

الشيعة بوجه عام وخاصة الاسماعيلية (١) يعتقدون أن لكل ظاهر باطناً . وقد اختص بمعرفة الباطن علي ـ رضي الله عنه ـ وأولاده ولهذا قالوا :(لابد لكل محسوس من ظاهر وباطن ، فظاهره ما تقع الحواس عليه ، وباطنه ما يحويه ويحيط به بأنه منه ، وظاهره مشتمل عليه) (٢) ثم ينسبون كلاماً مكذوباً على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأنه قال: (ما نزلت عليّ آية إلا ولها ظهر وبطن ، ولكل حرف حد ، ولكل حد مطلع) (٣) ثم قسموا الظاهر والباطن بين الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وبين وصية علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ فقالوا : (كانت الدعوة الظاهر: قسط الرسول ـ عليه السلام ـ ، والدعوة الباطنة:قسط وصية الذي فاض منه جزيل الإنعام) (٤) ويستمرون على هذا المنوال فيقولون :(إن الظاهر :هو الشريعة ، والباطن :هو الحقيقة ، وصاحب الشريعة :هو الرسول ـ عليه السلام ـ ، وصاحب الحقيقة :هو الوصي

---

(١) الإسماعيلية : فرقة باطنية ، انتسبت إلى الإمام اسماعيل بن جعفر الصادق ، ظاهرها التشيع لآل البيت وحقيقتها هدم عقائد الإسلام تشعبت فرقها وامتدت عبر الزمان حتى وقتنا الحاضر (انظر الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ص٤٥) وانظر فضائح الباطنية للغزالي ص ١١ ، ١٢

(٢) كتاب أساس التأويل للنعمان القاضي ط١ دار الثقافة بيروت ص٢٨

(٣) انظر أعلام النبوة لأبي حاتم الرازي تحقيق صلاح الصادي طبعة انجمن ١٣٩٧هـ نقلاً من كتاب التصوف المنشأ والمصادر ص٢٤٣

(٤) كتاب الذخيرة في الحقيقة علي بن الوليد ط دار الثقافة بيروت ص١١٣

على بن أبي طالب) (١) وبهذا فهم يرون أن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ما هو إلا صاحب قشور ؛ لأن الظاهر هو القشر وأما اللب والحقيقة فهي عند الوصي علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ.
ويفهم من هذا القول أن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان يأتي بظاهر هذا الدين فقط ولايعرف لبه و أسراره وإنما أنيط ذلك بوصية ، ولهذا يقولون : (إن القرآن له ظهر وبطن) (٢) حتى يبيحوا لأنفسهم التصرف بنصوص القرآن كيفما يشاءون ؛ لأنهم هم المختصون بفهم باطن القرآن وما تقتضيه آياته وتشريعاته بخلاف الذين لا يستطيعون فعل ذلك ؛ لأنهم لا يستطيعون إدراك هذا العلم الباطني ،وإنما يقتصر علمهم على ظاهر الآيات فقط ، وبذلك فإنه من وجهة نظر الشيعة يكون سائر المسلمين - بخلافهم - محرومين من علم عظيم محجوبين عن فهم الدين الصحيح ؛ لأنهم مقيدون بعلم الظاهر وحده دون علم الباطن الذي هو في نظرهم العلم الحقيقي وهو المقصود .

---

(١) انظر الافتخار لأبي يعقوب السجستاني ط لبنان ص٧١

(٢) انظر كتاب الحجة من أصول الكافي للكليني ط طهران جـ١ ص٣٧٤

٢ ـ الظاهر والباطن عند الصوفية :

لقد أخذ الصوفية بدورهم أفكار الشيعة ومعتقداتها في القول بالظاهر والباطن فآمنوا بها واعتقدوها وجعلوها من الأصول والقواعد عندهم وهذا حال الصوفية بوجه عام فهم يرقعون مذهبهم من المذاهب الأخرى كما يرقعون ثيابهم ، ومما يؤيد ما أشرنا إليه أنهم قالوا بمثل ما قالت الشيعة من أن (العلوم ثلاثة : ظاهر ، وباطن ، وباطن الباطن ، كما أن الإنسان له ظاهر ، وباطن ، وباطن الباطن . فعلم الشريعة ظاهر ، وعلم الطريقة باطن ، وعلم الحقيقة باطن الباطن) (١) ويقولون أيضاً : (إن العلم ظاهر وباطن ... ولا يستغنى الظاهر عن الباطن ، ولا الباطن عن الظاهر) ويستشهدون بقول الله تعالى :

﴿ ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ﴾ (٢)

فالمستنبط هو العلم الباطن ، وهو علم أهل التصوف ، لأن لهم مستنبطات من القرآن والحديث ، وغير ذلك ... فالعلم ظاهر وباطن ،

---

(١) الفتوحات الالهية لابن عجيبة ط عالم الفكر القاهرة ص٣٣٣

(٢) الآية ٨٣ من سورة النساء وتمامها ﴿ وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذا عوابه ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتهم الشيطان إلا قليلاً ﴾

والقرآن ظاهر وباطن ، وحديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ظاهر وباطن ، والإسلام ظاهر وباطن (١) وذكر الصوفية نفس الرواية التي نقلتها الشيعة الإسماعيلية وهي أن " لكل أية ظاهر وباطن ، وحد ومطلع "(٢)

ولم يقف التوافق مع الشيعة إلى هذا الحد ؛ بل تابعوا الشيعة بالقول باختصاص علي - رضي الله عنه - دون الآخرين بعلم الباطن فأوردوا في كتبهم نفس الرواية الشيعية وهي ما ينسبونه إلى علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - أنه قال :(علمني رسول الله – صلى الله عليه وسلم – سبعين باباً من العلم لم يعلم ذلك أحد غيري) (٣) ؛ لأن علي بن أبي طالب هو ابن عم المصطفى ، وغريق بحر البلاء ، وحريق نار الولاء...وله في هذه الطريقة شأن عظيم ، ودرجة رفيعة . وكان له حظ تام في دقة التعبير عن أصول الحقائق إلى حد أن قال الجنيد شيخنا في الأصول والبلاء

---

(١) اللمع للسراج الطوسي ط دار الكتب الحديثة مصر ص٤٣-٤٤

(٢) لطائف المنن لابن عطاء الله الأسكندري تحقيق الدكتور : عبد الحليم محمود ط مطبعة حسان القاهرة ١٩٤٧ ص٢٤٨

(٣) انظر درر الغواص على فتاوي سيدي علي الخواص ص٧٣ بهامش الإبريز للدباغ ط مصر وانظر كتاب الخصال لابن بابوية القمي أبواب السبعين وما فوقه ط مكتبة الصدوق .ص٥٧٢

علي المرتضي - رضي الله عنه - ؛ أي أن علياً - رضي الله عنه - هو إمام هذه الطريقة في العلم والمعاملة فأهل الطريقة يطلقون على علم الطريقة اسم الأصول ، ويسمون تحمل البلاء فيها بالمعاملات (١) ثم يدّعون أن علياً - رضي الله عنه - كان يملك علماً لدنياً أسوة بالخضر عليه السلام (٢) ومن الصوفية من يرى أن(علم الباطن:هو علم يقين المقربين ، وثمرته الفوز برضا الله تعالى ونيل سعادة الأبد ، وبه تزكية النفس وتطهيرها،وتنوير القلب وصفاؤه بحيث يتكشف بذلك النورأمورجليلة ويشهدأحوالاً عجيبة) (٣) ؛ ولهذا فلا يكون (لأحد من أهل الظاهر حجة على أهل الباطن) (٤)؛لأن (علم الباطن سر من أسرار الله) (٥) (يقذفه في قلب من يشاء من عباده) (٦) ويستمر الصوفية في هذا الهذيان فيقولون : (أهل الظاهر هم أهل الخبر واللسان وعلماء الباطن هم أرباب القلوب والعيان ... وعلم الظاهر محكوم ، وعلم الباطن حاكم والحكم موقوف حتى يأتي الحاكم بحكمٍ فيه) (٧) إذن فكل ما جاء به الرسول - صلى الله عليه وسلم -

---

(١) كشف المحجوب ص٢٧٣-٢٧٤

(٢) كتاب اللمع ط دار الكتب الحديثة مصر ص١٧٩

(٣) حياة القلوب في كيفية الوصول إلى المحبوب لعماد الدين الأموي جـ١ ص٢٥٩-٢٦١ بهامش قوت القلوب لأبي طالب المكي ط دار صادر بيروت .

(٤) انظر قواعد التصوف لأحمد بن زروق طبعة مكتبة الكليات الأزهرية القاهرة ١٩٧٦

(٥) جامع الأصولُ في الأولياء أحمد الكشمخاوي طبعة المطبعة الوهبية طرابلس ١٢٩٨هـ ص٢٥٨

(٦) جمهرة الأولياء لأبي الفيض المنوفي الحسني طبعة مؤسسة الحلبي القاهرة جـ١ ص٨٨

(٧) قوت القلوب لأبي طالب المكي جـ١ ص١٥٨

موقوف ـ حسب زعم الصوفية ـ حتى يحكموا فيه بحكمهم ؛ لأن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ صاحب العلم الظاهر ، وهم وأوليائهم أصحاب العلم الباطن فهل بعد ذلك من غلو ؟ وهل يمكن للمرء أن يقف أمام ذلك وقوف المتساهل الذي يبحث عن الأعذار لهؤلاء ؟، إنه طعن واضح وقدح صارخ بكل ما جاء به المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ من قرآن وسنة وهدم لكل الإسلام وتعاليمه وتشريعاته .

وقد يتساءل المرء ما الذي دفع الصوفية إلى الالتجاء إلى علم الباطن ومنه إلى التأويل فأقول : إن أسباب ذلك كثيرة ولعل أهمها : ـ

أنهم لم يجدوا في القرآن والسنة ما يمكن أن يكون سنداً لهم على منهجهم ومسلكهم ودليلاً على طرقهم التي اختاروها والمناهج التي اخترعوها للوصول إلى الله والحصول على معرفته ورضائه فالتجأوا إلى العلم الباطن والتأويل الباطني (١) ومع ذلك استطاع الصوفية ـ متبعين في ذلك الشيعة ـ أن يبرهنوا بطريقة تأويل نصوص الكتاب والسنة تأويلاً يلائم أغراضهم ، على أن كل آية ؛ بل كل كلمة في القرآن تخفي وراءها معنى باطناً لا يكشفه الله إلا للخاصة من عباده ... ومن هنا نستطيع أن نتصور كيف سهل على الصوفية بعد أن سلّموا بهذا المبدأ أن يجدوا دليلاً من القرآن لكل قول من أقوالهم ونظرية من نظرياتهم (٢) . وهناك سبب آخر

---

(١) التصوف المنشأ والمصادر إحسان إلهي ظهير ص٢٥١

(٢) في التصوف الإسلامي وتاريخه نيكولسن ترجمه أبو العلاء عفيفي ص٧٦

موقوف ـ حسب زعم الصوفية ـ حتى يحكموا فيه بحكمهم ؛ لأن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ صاحب العلم الظاهر ، وهم وأوليائهم أصحاب العلم الباطن فهل بعد ذلك من غلو ؟ وهل يمكن للمرء أن يقف أمام ذلك وقوف المتساهل الذي يبحث عن الأعذار لهؤلاء ؟، إنه طعن واضح وقدح صارخ بكل ما جاء به المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ من قرآن وسنة وهدم لكل الإسلام وتعاليمه وتشريعاته .

وقد يتساءل المرء ما الذي دفع الصوفية إلى الالتجاء إلى علم الباطن ومنه إلى التأويل فأقول : إن أسباب ذلك كثيرة ولعل أهمها : ـ

أنهم لم يجدوا في القرآن والسنة ما يمكن أن يكون سنداً لهم على منهجهم ومسلكهم ودليلاً على طرقهم التي اختاروها والمناهج التي اخترعوها للوصول إلى الله والحصول على معرفته ورضائه فالتجأوا إلى العلم الباطن والتأويل الباطني (١) ومع ذلك استطاع الصوفية ـ متبعين في ذلك الشيعة ـ أن يبرهنوا بطريقة تأويل نصوص الكتاب والسنة تأويلاً يلائم أغراضهم ، على أن كل آية ؛ بل كل كلمة في القرآن تخفي وراءها معنى باطناً لا يكشفه الله إلا للخاصة من عباده ... ومن هنا نستطيع أن نتصور كيف سهل على الصوفية بعد أن سلّموا بهذا المبدأ أن يجدوا دليلاً من القرآن لكل قول من أقوالهم ونظرية من نظرياتهم (٢) . وهناك سبب آخر

---

(١) التصوف المنشأ والمصادر إحسان إلهي ظهير ص٢٥١

(٢) في التصوف الإسلامي وتاريخه نيكولسن ترجمه أبو العلاء عفيفي ص٧٦

وهو (أنهم تقوّلوا بكلمات كلها كفر وإلحاد ونقل عن الباطنية والتشيع والفرق الباطنة الأخرى ، فلما سمع العلماء هذه المقولات كفروهم بها ورموهم بالإلحاد والزندقة فلم يسعهم آنذاك إلا القول بالظاهر والباطن والهروب إلى التأويل)(١) وقد أورد المتصوفة في كتبهم أمثلة كثيرة تبين ذلك (٢) ثم إن الصوفية يستخدمون هذا العلم للتحرر من العبادات وإسقاط التكاليف .

وفي هذا الإطار قالوا إذا وصلت إلى مقام اليقين سقطت عنك العبادات (٣) ، مؤولين قوله عز وجل :﴿واعبد ربك حتى يأتيك اليقين﴾ (٤) وقد رفع الله عن بعضهم فريضة الصلاه (٥) كما يزعمون .

---

(١) التصوف المنشأ والمصادر لإحسان إلهي ظهير ص٢٥٢

(٢) انظر مثلاً اللمع للسراج الطوسي ص٤٩٧ ومابعدها

(٣) اتحاف السادة للزبيدي جـ٨ ص٢٧٨ نقلا عن كتاب نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها للدكتور عرفان عبد الحميد طبعة المكتب الإسلامي بيروت ١٩٧٤ ص٧٤

(٤) سورة الحجر آية ٩٩

(٥) انظر تذكرة الأولياء لفريد الدين العطار(أردو) طبعة باكستان ص٧٣ نقلاً من كتاب التصوف المنشأ و المصادر .

جـ . تقديس القبـــــــــور : ـ

نهى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن زيارة القبور في البداية مخافة تسرب الشرك للمسلمين لكونهم قريبي عهد بجاهلية ، وعندما وضحت تعاليم الدين واستقرت في القلوب أذن صلى الله عليه وسلم للمسلمين بزيارة القبور فقال صلى الله عليه وسلم (كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروا القبور فإنها تزهد في الدنيا وتذكر الآخرة) (١) ولم يكن الهدف من ذلك مجرد زيارة وإنما للعبرة والعظة ، ولِيُعلم أن هذا مصير كل حيّ ومن خلال هذا التشريع أصبحت زيارة القبور سنة للرجال ، ولكن يحرم إسراجها أو اتخاذها مساجد (٢) لقوله صلى الله عليه وسلم (لعن الله اليهود والنصارى ، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) (٣) ويكره البناء على القبر وتجصيصه (٤) لما رواه الإمام مسلم (نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجصص القبر وأن يقعـــــد عليه وأن يبنى عليه) (٥) وأما من

---

(١) رواه ابن ماجة في سننه كتاب الجنائز حديث رقم ١٥٧١ وقال الشارح حديث اسناده حسن وورد في(فيض القدير حديث رقم ٦٤٣٠) وقال اسناده صحيح ٠

(٢) انظر الروض المربع بشرح زاد المستقنع للعلامة الشيخ / منصور بن يونس البهوتي تحقيق / محمـــــد عبد الرحمن عوض دار الكتاب العربي ص١٦٠

(٣) رواه البخاري في الصحيح باب مايكره من اتخاذ المساجد على القبور حديث رقم ١٣٢٠

(٤) المغني لأبي محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامه مكتبة الرياض الحديثة جـ٢ ص٥٠٧

(٥) رواه مسلم في الصحيح كتاب الجنائز حديث رقم ٩٤

يزور القبور لطلب الشفاعه أو قضاء حاجة من الحوائج (أو يقصد الدعاء عند قبر لظن القاصد أن ذلك أجوب للدعاء فالزيارة على هذا الوجه كلها مبتدعه لم يشرعها النبي – صلى الله عليه وسلم – ولا فعلها الصحابة – رضي الله عنهم – لا عند قبر النبي – صلى الله عليه وسلم – ولا عند غيره وهي من جنس الشرك وأسباب الشرك) (١) فذلك كله حرام لا يقره الشرع الإسلامي ، ولم يكن ذلك من مقاصد الدين الإسلامي الذي جاء بالتوحيد وإخلاص العبادة لله وحده سواءً كانت عبادة قولية أو فعلية ؛ ولذلك (لا يجوز لأحد أن يستغيث بأحد من المشائخ الغائبين ولا الميتين ، مثل أن يقول يا سيدي فلان أغثني وانصرني وادفع عني ، أو أنا في حسبك ونحو ذلك ، كل ذلك من الشرك الذي حرم الله ورسوله – صلى الله عليه وسلم – وتحريمه مما يعلم بالاضطرار من دين الإسلام ، وهؤلاء المستغيثون بالغائبين والميتين عند قبورهم – لما كانوا من جنس عباد الأوثان – صار الشيطان يضلهم ويغويهم كما يضل عباد الأصنام ويغويهم) (٢) ومع ذلك فإن هناك ممن ينتسبون للإسلام ابتلوا بتقديس القبور وعبادتها .

---

(١) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة لشيخ الإسلام ابن تيمية المكتب الإسلامي ص٢٤

(٢) نفس المرجع السابق ص١٥٤وانظر كتاب الرد على الأخنائي تأليف شيخ الإسلام ابن تيمية تحقيق الشيخ عبد الرحمن المعلمي طبع الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد الرياض سنة ١٤٠٤هـ ص١٩٩ وانظر الوصية الكبرى في عقيدة أهل السنة والفرقة الناجية لشيخ الإسلام ابن تيمية ط٣ سنة ١٤٠١هـ المطبعة السلفية ص ٢٦

١ = الشيعة وتقديس القبـــــــور : -

يعتقد الشيعة أن زيارة قبور أئمتهم من الأمور العظيمـة ؛ بـل يـرون أن زيارة قبر أي إمام أفضل من زيارة مكة المكرمة ؛ بل وأفضل من أداء فريضة الحج ذاتــها؛لأن (الله يتجلى لزوار الحسين قبل أهل عرفـات)(١) ويرون أن (من زار أرض كربلاء ليلة عرفة وأقام بها العيد وقاه الله شـر سنته) (٢) ؛ لأنها مكان لأضرحة ومقابر أئمتهم ومـن أراد زيـارة اللـه فـي عرشه - تعالى الله عما يقولون - فعليه زيارة قبر الحسين فـي النصـف مـن شعبان (٣) ولمكانة أئمتهم - حسب زعمهم - جعل الله زيارة قبورهم فريضة فيقولون : (الزيارة فريضة من الله واجبة على كل مسلم) (٤) ومـن تـرك هذه الزيـــــــارة فهو من أهل النار (٥) ،

وهذا زعم لا تقوم عليه حجة ولا يسـتند إلـى برهـان ؛ بـل تشـم فيـه رائحـة الصد عن الحج لبيت اللــــه الحـرام وهـدم ركـن مـن أركـان الإســــلام وتفريق جمـــع المسلمـين إلى طـــوائف وأحزاب .

---

(١) انظر وسائل الشيعة إلى تحقيق مسائل الشريعة / محمد بن الحسن الحر العاملي دار إحياء التراث العربـي الطبعة الثانية بيروت جـ٥ ص٣٤٧-٣٧٦ وانظر من لايحضـره الفقيـة أبـو جعفـر محمـد بـن بابويـة القمـي دار الكتب الإسلامية طهران ط٥ سنة ١٣٩٠هـ جـ ٢ ص٣٣٨

(٢) وسائل الشيعة جـ٥ ص٣٤٧-٣٧٦ وانظر المزار لمحمد بن علي الفضل والمزار لمحمد بن علي المشـهدي والمزار لمحمد بن همام والمزار لمحمد بن أحمد بن داود وانظر بحار الأنوار جـ ١٠١ص١٠٧

(٣) وسائل الشيعة جـ ٥ ص٣٤٧-٣٧٦

(٤) المرجع السابق جـ٥ ص٣٣٣

(٥) وسائل الشيعة جـ٥ ص ٣٣٣وانظرالوافي للفيض الكاشاني المكتبة الإسلامية طهران المجلد الثاني جـ٨ ص٢١٩

ولم يكتف الشيعة بذلك بل أضفوا على الأموات صفات الألوهية والربوبية حيث قال أحد شعرائهم (١) في الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه ما نصه :

يا صاحب القبة البيضاء على النجف   من زار قبرك استشفى لديك شفى
زوروا أبا الحسين الهادي فإنكم   تحظون بالأجر والإقبال والزلف
زوروا لمن يسمع النجوى لديه فمن   يزر قبره ملهوفاً لديه كفي
إذا وصلت فأحرم قبل أن تدخله   ملبياً واسع سبعاً حوله وطف
وإن أسماءك الحسنى إذا تليت   على مريض شوفي من سقمه الدنف
والموت طوعك والأرواح تملكها   وقد حكمت ولم تظلم ولم تخف (٢)

إن صاحب القبر يشفي من الأمراض ويسمع النجوى ويجب على من يزوره أن يحرم أسوة بالحج ثم يطوف سبعاً ملبياً كما يفعل الحاج عند قدومه للكعبة ، وله أسماء حسنى أسوة بالله والموت طوع يديه والأرواح ملكه ! فهل بعد هذا من غلو في القبور ؟ وللمرء أن يتساءل إن كان الموت طوعاً للإمام علي ـ رضي الله عنه ـ والأرواح ملكه فلما مات ؟ ولماذا لم يدفع الموت عن نفسه ؟.

---

(١) هو ابو عبد الله الحسين بن أحمد الحجاج شاعر شيعي

(٢) دار السلام فيما يتعلق بالرؤيا والمنام ميرزا حسين النوري الطبرسي جـ١ ص٢٢١

٢ = الصوفيـــــة وتقديس القبور : -

سار الصوفية في نفس الاتجاه الذي سلكه الشيعة في القبور ؛ بل إن الصوفية اتبعوا الشيعة في ذلك اتباعاً متطابقاً فاتخذوا المزارات وبناء المساجد على الأضرحة ويعتقدون بمشائخهم مثل اعتقاد الشيعة بأئمتهم ولذلك يورد الشعراني (١) في طبقاته حكايات وأقوالاً تتشابه مع أقوال الشيعة ومنها ما قاله عن أحد أئمة التصوف : (٢) (هو من جملة المشـــائخ المشهورين بالزهد والورع والفتوة مجاب الدعوة يستشفى بقبره) (٣) وإذن فليس على المريض أو من يصاب بعلة إلا أن يزور قبر ولي صوفي فيشفى من مرضه وعلته ، ولــم يكتف الشعراني بذلك بل ذهب أبعد من ذلك وادعى أن الأموات من مشائخه يجيبون الدعوة ويخرجون من قبورهم تلبية لنداء من يستغيث بهم فيـــورد حكاية هو طرف فيها فيقول : (وقبره (٤) بها - أي بثغر دمياط - ظاهر يزار - رضـــي اللـه عنه - ولقد قصدته في حاجـــة وأنا فـــوق سطـــوح مدرسة أم خوند بمصر

---

(١) هو أبو المواهب عبد الوهاب بن أحمد بن علي الأنصار الشافعي المصري المعروف بالشعراني من علماء القرن العاشر الهجري

(٢) يعني بذلك معروف الكرخي

(٣) الطبقات الكبرى للشعراني جـ١ ص٧٢

(٤) يقصد بذلك شيخه أبو العباس الحريني

فرأيته خرج من قبره يمشي من دمياط وأنا أنظر إلى أن صار بيني وبينه خمسة أذرع فقال:(عليك بالصبر ، ثم اختفى) (١) إنه منتهى الاستخفاف بالعقول ولكن طالما أن الميت هو ولي فكل شئ جائز في حقه كما يدّعي الصوفية ، وأولياؤهم لايخضعون لسنن الله ، فهم يخرجون من قبورهم متى شاءوا وكيف شاءوا ولكون هؤلاء الأولياء كثيراً مايستغاث بهم ولأنهم حريصون على قضاء حوائج الناس فهم بحاجة لمن يساعدهم أو يخدمهم ولذلك فقد قالوا : (إن الله يوكل بقبر الولي ملكاً يقضي الحوائج وتارة يخرج الولي من قبره ويقضيها بنفسه) (٢) ولم يكتفوا بهذا الهذيان والسخف فقالوا عن أحد مشائخهم الأموات : (ولم يزل كذلك إلى يومنا هذا يستغاث بجنابه ويكتحل بتراب أعتابه ويلتجأ إلى أبوابه) (٣)

وكل هذه الأقوال والأفعال مخالفة للشرع ومؤدية إلى الشرك وهذا العمل من قبيل عبادة الأوثان والأصنام ولوكان عند هؤلاء الأموات قدرة أو نفع لنفعوا أنفسهم من باب أولى .

---

(١) الطبقات الكبرى للشعراني جـ٢ ص١٧١

(٢) تنوير القلوب / محمد أمين كردي ص٤١٠

(٣) الأنوار القدسية في مناقب النقشبندية / محمد أمين كردي ص١٤٢

المبحث الثاني : العامل الأجنبـــــي :

إذا كان الزهد الإسلامي من العوامل الرئيسة التي ساعدت على ظهور التصوف كما يقول الصوفية والمتحمسون لهم فإن ذلك لا يبدوا قولاً مسلماً به ؛لأن التصوف قد تأثر عبر الزمن بمؤثرات فلسفية ودينية أخرى لا تمت إلى الإسلام بصلة فأصبح خليطاً من مذاهب مختلفة وعقائد متابينة وعناصر غريبة عن الإسلام على الرغم من (أن تلك العناصر لم تدع إليها حاجة العرب إلى ما عند غيرهم بل اقتضى وجودها في التصوف الإسلامي أن كثيراً من المتصوفة كانوا غير عرب فحملوا معهم إلى الإسلام تخيلات غريبة ورياضات شاذة واعتقادات متفرقة دخل أكثرها فيما بعد في التصوف الإسلامي)(١) ومع وضوح هذه الحقيقة إلا أننا نجد بعض الباحثين من يحاول نفي تأثر الصوفية بغيرهم تأثراً جوهرياً ؛لأنه يرى (أن التصوف الإسلامي نشأ من التأمل المتواصل للقرآن والأحاديث النبوية وهكذا تكون نشأته إسلامية خالصة من داخل الإسلام نفسه) (٢) ثم أنه يقر وعلى استحياء أن التصوف تأثر بمؤثرات أجنبية فيقول :(إنه مع تطور التصوف والاتصال بالأفكار الأجنبية انضافت إلى

---

(١) التصوف الإسلامي د / عمر فروخ بيروت دار الكتاب العربي سنة ١٤٠١هـ ص٢٩ وانظر في الفلسفة الإسلامية د / ابراهيم مدكور مصر دار المعارف سنة ١٩٨٣ جـ٢ ص١٣٤

(٢) تاريخ التصوف الإسلامي من البداية حتى نهاية القرن الثاني تأليف د / عبد الرحمن بدوي وكالة المطبوعات الكويت طبعة /١ عام ١٩٧٥ ص٤٨

التصـــوف الأول قسمات مـــن أصـــول أجنبيـــة كـانت بمثابـة زخـارف وتنويعات) (١)

ثم بين هذه القسمات بقوله :(إن أبرز هذه السمات الأجنبية الأصل هي تلك المستمدة من التراث الفلسفي اليوناني ومعظمها مصطلحات ثم الرهبانية المسيحية وهي مجرد عادات في التقوى) (٢)

أقول :إن هذا الدفاع غير موفق ؛ لأن العوامل الدخيلة على التصوف لم تقف عند حدود الزخارف بل تعدتها إلى طرح مفاهيم تتعلق بالعقائد وقادت أصحابها إلى التحلل من ضوابط الإسلام وفرائضه ؛ بل وصلت بهم إلى عقائد الحلول والإتحاد وادعاء الألوهية وما إلى ذلك من الانحرافات الخطيرة وهو ما سأبينه فيما يلي :

---

(١) المرجع السابق ص٤٨-٤٩

(٢) المرجع السابق ص٤٨-٤٩

١ = تأثير الفكر اليوناني على الصوفية : .

تعد بلاد اليونان مهداً من مهود الحضارات القديمة الخصبة بأنواع العلوم والفنون والآداب وجميع فروع المعارف الأخرى التي بلغت فيها مكانة راقية . إلا أن هذه البلاد لم تحظ برقي مماثل في العقيدة ، لاعتمادهم في هذا الشأن على العقل الإنساني وحده والفكر المستقل عن الوحي ، وإنسان هذا شأنه لا يمكن أن يصل إلا إلى المستوى البشري العاجز الذي يحاول أن يرضي فطرته المنطلقة إلى الإيمان بمدبر لهذا الكون (١) ، ولذلك فقد حاول حكماء اليونان وضع تصورات عن الله وعن الكون والإنسان ولكنهم لم يصلوا إلى الحقيقة وإنما قالوا بأفكار ثبت فيما بعد أنها أفكار ساذجة بدائية تصور الآلهة أنهم (حكومة ملكية ... كلهم في صورة بشرية ، إلا أن سائلاً عجيباً يجري في عروقهم فيكفل لهم الخلود ، وهم أقوى من الأبطال وأسرع حركة ، يظهرون للناس أو يختفون كما يشاءون ، يسكنون قصوراً في السماء فخمة ، ... يأكلون ويشربون ويتزاوجون ، تجرحهم السهام والرماح فيألمون وينتحبون وهم حادثون وجدوا في الزمان ... لهم شهواتهم وعصبياتهم يتفرقون أحزاباً ويتدخلون في منازعات البشر ... يخونون ويغدرون، لا يرعون من البشر إلامن يتقرب إليهم كيفما كانت أخلاقهم) (٢) وأهم مايعنينا في هذا الموضوع : القول بالحلول ووحدة الوجود :

---

(١) الإنسان في ظل الأديان د / عمارة نجيب مكتبة المعارف الرياض طبعة ١٤٠٠هـ ص٢٦٧

(٢) تاريخ الفلسفة اليونانية يوسف كرم دار القلم بيروت لبنان ص٣

أولاً : الحلـــول :

لقد اختلف الباحثون في تعريفه فمنهم من قال :هو اتحاد جسـمين بحيث تكون الإشارة إلى أحدهما إشارة إلـى الآخـر كحلـول مـاء الـورد فـي الورد (١) ومنهم من قال : هو اختصاص شيء بشيء بحيث تكون الإشـارة إلى أحدهما عيـن الإشـارة إلـى الآخـر (٢) ، ومنـه مذهـب الحلوليـة إذ يعتقـد أصحابه أن الله حال في كل شيء وفي كل جزء من كل شـيء متحـداً بـه حتى صار يصـح أن يطلـق علـى كـل شـيء أنـه الله تغليبـاً للاهـوت علـى الناسوت (٣) وقال بعض الباحثين معنى حلول الشيء في الشيء : أن يكـون حاصلاً فيه بحيث تتحد الإشارة إليهما تحقيقاً كما في حلـول الأعـراض فـي الأجسام أو تقديراً كحلول العلوم في المجردات (٤)

وقد انحـدرت فكـرة الحلـول مـن مصـادر دخيلـة علـى الإسـلام كالهندوسية والبوذيـة والمسـيحية واليونانية وغيرهـا مـن الديانـات المختلفـة يقول نيكلسون : إن الحلول وليد لاتحـاد الفكـر اليونـاني والديانـات الشـرقية وبعبارة أدق وليد لاتحاد الفلسفة الأفلاطونية الحديثـة والديانـة المسـيحية (٥)

---

(١) دائرة المعارف بطرس البستاني ١٥٧/٧، المعجم الوسيط ابراهيم مصطفى وأحمد الزيات ١٩٣/١ ، محيط المحيط بطرس البستاني ٤٤١/١، دائرة المعارف الإسلامية أحمد الشناوي وابراهيم زكي ٥٥/٨

(٢) الصوفية معتقداً ومسلكاً ص ٢٤٦ / ٢٤٧

(٣) قاموس المنجد في اللغة والأعلام دار الشرق الطبعة ٣٣ عام ١٩٩٢م مادة (حل)

(٤) فاكهة البستان عبد الله البستـاني اللبنـاني ٢٢١/١ جـامع العلـوم الملقب بدستور العلمـاء فـي اصطلاحـات العلوم والفنون القاضي عبد النبي عبد الرسول أحمد شكري ٥٤/٢

(٥) الموسوعة الميسرة ص ٣٥٢

وقد تأثرت بعض الطوائف ـ وخاصة بعض غلاة الشيعة (١) ـ قبل الصوفية بهذه الأفكار الضالة نتيجة الفهم السقيم لآيات القرآن الكريم واتباع الهوى والمؤثرات الأجنبية فخالف هؤلاء النقل والعقل مما كانوا سبباً لنشر الفساد بين أقوامهم فتعرضوا للقتل على أيدي أوليائهم مثل بيان بن سمعان (٢) الذي وضع جذور الحلول الأولى وهو من الغلاة القائلين بإلهية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ وأنه حل فيه جزء إلهي واتحد بجسده (٣) وأبو الخطاب الأسدي (٤) الذي قال إن الأئمة أنبياء ثم آلهة (٥) ، فهؤلاء وغيرهم هم البذور الأولى لنظرية الحلول والاتحاد وكان غرضهم جميعاً إفساد القول بتوحيد الصانع (٦) وقد واجه هذا الفكر

---

(١) انظر الفرق بين الفرق للبغدادي ص٢٥٤

(٢) بيان بن سمعان التميمي النهدي ، ادعى النبوة وكان يعتقد بالتناسخ والرجعة ظهر بالعراق أوائل القرن الثاني الهجري وقد أحرقه خالد القسري بمسجد الكوفة سنة ١١٩هـ (موسوعة الفرق الإسلامية الدكتور محمد جواد مشكور مجمع البحوث الإسلامية بيروت لبنان ص ١٦٦ وتيارات الفكر الإسلامي محمد عمارة دار الشروق ص ٣٦٠)

(٣) الملل والنحل ص ١٥٢

(٤)أبو الخطاب محمد بن أبي زينب الأسدي الأجدع مولى بني أسد ، خرج على أبي جعفر المنصور فقبض عليه عيسى بن موسى والي الكوفة وصلبه في سبخة الكوفة سنة ١٤٣ هـ وقيل ١٣٨هـ (موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية الدكتور عبد المنعم الحفني دار الرشاد الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ ص٢١٢)

(٥) الملل والنحل ص ١٧٩

(٦) الفرق بين الفرق ص ٢٥٤

الوافد والغريب مقاومة شديدة من الأولياء الذين حاربوا هذه الآراء الباطلة وعقدوا العزم على قلعها من جذورها ولا ننسى الحزم والشدة ضد هؤلاء الملحدين من قبل الولاة فقد أحرق بيان بن سمعان في مسجد الكوفة عام ١١٩هـ بعد أن قال بالحلول ، وصلبُ والي الكوفة لأبي الخطاب الأسدي سنة ١٤٣هـ وقيل ١٣٨هـ (١) لشناعة جرمة •

إذن الحلول لم ينبع مرة واحـــــــدة من عند الحلاج (٢) إنما كانت له بذور لدى فرق من الشيعة الباطنيـــــــة(٣)

---

(١) موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية د: عبد المنعم الحفني ص٢١٢

(٢) أبو مغيث الحسين بن منصور الحلاج من أهل بيضاء فارس ونشأ بواسط العراق صحب الجنيد والنوري وغيرهم والصوفية في أمره مختلفون ، رده أكثرهم ونفوه وأبوا أن يكون له قدم في التصوف ، وقبله بعضهم ، وقد قتل لزندقته وكفره سنة ٣٠٩ هـ بعد ضربه ألف سوط ثم قطعت أطرافه (انظرالطبقات الكبرى للشعراني ج١ص١٠٧ ووفيات الأعيان الترجمة رقم ١٨١)

(٣) انظر الفرق بين الفرق ص ٢٥٤

والقرامطة (١) وغيرهم مستقين مادتهم من الفكر الأجنبي ليقضوا على الإسلام وشريعته؛ إلا أن الصوفية هم أوضح من قال بذلك ولو نظرنا إلى شخصية الحلاج كأبرز شخصية صرحت بالحلول لوجدنا كلامه واضح الدلالة على أنه من الفلسفات القديمة والدليل على ذلك ما قاله الحلاج : (من هذب نفسه على الطاعة وصبر على اللذات والشهوات ارتقى إلى مقام المقربين ثم لايزال يصفو ويرتقي درجات حتى يصفو عن البشرية فإذا لم يبقَ فيه من البشرية حظ حلَّ فيه روح الإله الذي حل في عيسى بن مريم - عليه السلام - ولم يرد حينئذٍ شيئاً إلا كان كما أراد وكان جميع فعله فعل الله تعالى)(٢) وهو بذلك متأثر بفلسفات أجنبية وفكرة اتحاد اللاهوت بالناسوت ،فقال مبيناً هذه العقيدة الفاسدة :

أنا من أهوى ومن أهوى أنا   نحن روحان حللنا بدنا

فإذا أبصرتني أبصرته   وإذا أبصرته أبصرتنا (٣)

ومذهب الحلول قد سرى منه - أي من الحلاج - إلى كثير من المتصوفة

---

(١) القرامطة : حركة باطنية هدامة اعتمدت التنظيم السري العسكري ، ظاهرها التشيع لآل البيت والانتساب إلى محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق وحقيقتها الالحاد والشيوعية والاباحية وهدم الأخلاق والقضاء على الدولة الإسلامية سميت بهذا الاسم نسبة إلى حمدان بن قرمط الأشعث الذي نشرها في سواد الكوفة سنة ٢٧٨هـ (انظر الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ص٣٩٥) .

(٢) الطواسين للحلاج ص ١٣٠ نقلاً من كتاب (من قضايا التصوف في ضوء الكتاب والسنة للدكتور محمد السيد الجلنيد دار اللواء بيروت الطبعة الثالثة ١٤١٠هـ وانظر الفرق بين الفرق للبغدادي ص ١١٥

(٣) الطوا سين للحلاج ص١٣٠ نقلاً من كتاب (من قضايا التصوف في ضوء الكتاب والسنة د / محمد السيد الجلنيد دار اللواء بيروت ط٣ ١٤١٠هـ ص٨٦)

فاعتنقوه وتتطور على يد ابن عربي وأصبح مذهباً يدين بوحدة الوجود وهذا المذهب أنكره أئمة الإسلام كابن تيمية وابن القيم في مصنفاتهم المختلفة حتى أن ابن الجوزي أفرد للحلاج نقداً على ما ذهب إليه في مستهل كلامه عن نقد مسالك الصوفية في كتابه (تلبيس ابليس) فقال : وقد تعصب للحلاج جماعة من المتصوفة جهلاً منهم وقلة مبالاة باجماع الفقهاء واستشهد بقول أحدهم : إن كان بعد النبيين والصديقين موحد فهو الحلاج قلت ـ القائل ابن الجوزي ـ وعلى هذا أكثر قصاص زماننا وصوفية وقتنا جهلاً من الكل بالشرع وبعداً عن معرفة العقل (١)

وابن تيمية هاجم ما قال به الحلاج وابن عربي مهاجمة في غاية العنف ونعت أصحابه بالحلولية والاتحادية وقسمهم إلى صنفين : قوم يخصون بالحلول أو الاتحاد في بعض الأشياء ، وصنف يعمون فيقولون بحلول الله أو اتحاده في جميع الموجودات كما يقول ذلك قوم من الجهمية ومن تبعهم من الاتحادية كأصحاب ابن عربي وغيره (٢)

وعلى الجملة فإن الإسلام ينكر مذهب الحلول كما ينكر المذهب القائل بوحدة الوجود فلا يقر الإسلام مذهباً بحلول الله في جسد إنسان أو غير

---

(١) تلبيس ابليس ص ١٧٢

(٢) مجموعة الرسائل الكبرى الرسالة السابعة جـ١ ص٢٩٢

إنسان (١) وصدق الله القائل ﴿ لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم ٠٠٠﴾الأية (٢) وقال تعالى :﴿ لقد كفر الذين قالوا إن اللـه ثالث ثلاثة٠٠٠﴾الأية (٣)

---

(١) الصوفية في الإسلام عباس العقاد ص ٨٢ نقلاً من كتاب التصوف والمتصوفة عبد الكريم الخطيب دار الفكر العربي ط ١ ١٩٨٠ ص ١٤٨

(٢) سورة المائدة جزء من الأية ١٧ وتمامها ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله هوالمسيح ابن مريم قل فمن يملك من الله شيئاً إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الأرض جميعاً ولله ملك السموات والأرض وما بينهما يخلق مايشاء والله على كل شيء قدير ﴾

(٣) سورة المائدة جزء من الآية ٧٣﴿ لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة ومامن إلـه إلا إلـه واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا عذاب أليم ﴾

ثانياً : وحـــــدة الوجود :

قبل الحديث عن وحدة الوجود لابد من وقفة أمام هذه الكلمة لأكشف عن معناها فأقول وبالله التوفيق :

قال سيبويه : الوحدة في معنى التوحد ، وَحّدَ الله آمن به وحده ، واتحد الشيئان اتحاداً أي صار شيئاً واحداً (١) والوحدة مصدر يقال : هذا على وَحدْه ؛أي توحده • والوحدة مصدر ضد الكثرة (٢)

أما في الاصطلاح فتعني : أن الله في كل شيء وهو كل شيء وليس من شيء في الكون إلا ويستحق التقديس والإجلال (٣) وتغلب على هذه الوحدة فكرة الإلوهية ويرد كل شيء إلى الله فهو الموجود الحق وكل ما عداه أعراض ومظاهر لوجوده أو مجرد فيوضات أو تجليات مستمدة منه (٤) وعُرفت وحدة الوجود عند البراهمة في الهند والرواقية اليونانية والأفلاطونية الجديدة وتعني عند اليونان : بأن العالم هو جوهر الله بالذات وأن ما ندعوه الطبيعة أو الكون ليس شيئاً آخر غير الله ؛ فالله والطبيعة اسمان يدلان على الحقيقة الكلية ذاتها وهذا يؤدي إلى القول بأنه ليس هناك إلا عالماً واحداً وجوهراً واحداً ، وهناك نظريات كان لها أثر كبير في وحدة الوجود ومن هذه النظريات نظرية الفيض والتي قال بها افلوطين ومن تابعه والتي تقرر بأن الموجودات فاضت عن الله وقد تأثرت الصوفية تأثراً واضحاً بتلك المعتقدات وخاصة ما نقلوه من فكر أفلوطين (٥)

---

(١) لسان العرب باب الواو (٢) أقرب الموارد سعيد الخوري طبعة مرسلي بيروت ١٩٨٩ جـ٢ ص١٤٣٢

(٣) الموسوعة الميسرة ص٣٤٧ (٤) المعجم الفلسفي مجمع اللغة العربية طبعة ١٣٩٩ ص ٣١٣

(٥) الدر اللقيط من البحر المحيط تاج الدين الحنفي النحوي بهامش البحر المحيط لأبي حيان دار الفكر ط ٢ ١٣٨٩هـ جـ ٣ ص ٤٤٨

الذي أثر تأثيراً مباشراً في الصوفية فهو يرى إمكانية الاتصال بالله لا عن طريق الحدس العقلي وإنما من خلال فقدان الشعور ٠

ولذلك فإن الجذب الأفلوطيني لا يختلف في شيء عن غيبوبة فقراء الهنود الذي يرى أن هذا التصوف يعتمد على قوة النفس ذاتها ؛ لأننا نستطيع الوصول إلى الله بقوتنا الذاتية على الرغم من وجود المسافة اللامتناهية التي تفصل بين الله وبين النفس (١) إنه يرى من خلال ذلك إمكانية الاتحاد مع الله وبالتالي وحدة الوجود ، لهذا يقول : (فيجب أن تكون النفس خلوا من كل صورة لكيلا يمنعها مانع من أن تمتليء وتستنير بالموجود الأول . لنعتزل العالم الخارجي ولنتوجه بكليتنا نحو الداخل ، ولنجهل كل شيء حتى كوننا نحن الذين نتأمل ، وبعد الاتحاد به ، لنذهب ونقل للآخرين إن استطعنا القول ما هية الإتحاد هناك ، أو لنمكث) (٢) وما هو الهدف الذي ينشده من ذلك إنه يريد (حياة الآلهة والبشر الإلهيين السعداء والتحرر من أشياء هذه الدنيا والضيق بها والهرب وحدنا إليه وحده) (٣) وبهذا الفكر الفلسفي ذو النزعة الصوفية وجد الصوفية ضالتهم ولهذا قالوا:(إن التصوف لم يقتبس ولم يؤخذ إلا من المنابع الصافية والمصادر الطاهرة (٤) وعلى رأسها الأفلاطونية المحدثة وتبنى الشيخ الأكبر

---

(١) انظر تاريخ الفلسفة اليونانية ص٢٩٠

(٢) المرجع السابق ص٢٨٢

(٣) تاريخ الفلسفة اليونانية ص٢٨٩

(٤) يتبادر إلى الذهن أن المقصود بذلك القرآن الكريم والسنة المطهرة ولكن لنتابع ونرى !؟

محي الدين بن عربي (١) نفس الأفكار التي نشرها أفلوطين الإسكندري ، والمبنية على الفكر الفلسفي والمشاهدة الذاتية والذي يبين أن تزكية النفس لايمكن إلا بالتبتل عن العلائق الدنيوية والعالم المادي ...) (٢) وهذا يؤدي بالتالي إلى وحدة الوجود التي يقول بها بعض المتصوفة ؛لأن (أهم الأشياء في فلسفته - أي إفلوطين - أن طريق تهذيب النفس وتكميل الروح ليس ببرهان ولا عقلي ، بل هو وجداني وكشفي كما أن فلسفته في الإلهيات تدور على وحدة الوجود وهذا عين ما كان يؤمن به الشيخ الأكبر ابن عربي وغيره) (٣)

(وليس من شك ، في أن فلسفة أفلوطين الاسكندري التي تعتبر أن المعرفة مدركة بالمشاهدة في حال الغيبة عن المعرفة ، وكذلك كان لنظرية أفلوطين الأسكندري في الفيض وترتيب الموجودات عن الواحد أو الأول أثرها على الصوفية المتفلسفة من أصحاب الوحدة (٤) ومن نحا نحوهم ،

---

(١) هو أبو بكر محمد بن علي محمد بن أحمد ابن عبد الله العربي محي الدين أبو عبد الله الأندلسي المعروف بابن عربي وكان يطلق عليه أتباعه لقب " الشيخ الأكبر " كما كان يعرف في الأندلس باسم (ابن سراقة) من أئمة الصوفية ولد سنة ٥٦٠هـ في الأندلس كان ابن عربي على مذهب الظاهرية وأما فيما يختص بالعقيدة الدينية فقد كان صوفياً (باطنياً) إلى أقصى الحدود وقد قال بوحدة الوجود ورمي بالزندقة من بعض الفقهاء الكبار كابن تيمية وغيره ومن مزاعمه الشهيرة أنه رأي النبي صلى الله عليه وسلم وعرف اسم الله الأعظم وعرف الكيمياء بالمكاشفة لا بالتحصيل ، وكان غزير التأليف وأهم تصانيفه الفتوحات المكية توفي بدمشق عام ٦٣٨هـ ودفن بسفح جبل قاسيون . (انظر ترجمته هدية العارفين جـ٦ ص١١٤ ودائرة المعارف الإسلامية جـ١ص٣٤٣)

(٢) انظر تاريخ التصوف (باللغة الإردية) ليوسف سليم جشتي ص٦٣ وما بعدها ط علماء اكيدي وزارة الأوقاف باكستان نقلاً عن التصوف المنشأ والمصادر ص١٢٧ (٣) نفس المرجع السابق ونفس الصفحة

(٤) كالسهروردي المقتول ومحي الدين ابن عربي وابن الفارض وابن سبعين

ونلاحظ بعد ذلك أن أولئك المتفلسفة من الصوفية نتيجة اطلاعهم على الفلسفة اليونانية قد اصطنعوا كثيراً من مصطلحات هذه الفلسفة مثل(العقل الأول - العقل الكلي ...) (١) ، ولهذا قال أحد كتاب التصوف المعاصرين: إن (وحدة الوجود الحلولية التي تجعل من الله كائناً يحل في مخلوقاته أو الاتحاد به ... وتجعل من الكائن الفاني شخصية تتحد بالموجود الدائم الباقي المنزه عن سائر النسب والأوصاف ، والأحياز الزمانية والمكانية المحدثة أو يتحد به شيء منها فإنها مذهب هندي أو مسيحي وليس بإسلامي ولا يعرفه الإسلام غذوا به مذهبهم الشاذ بفكر أفلاطونية (٢)؛ وفلسفية لأن هؤلاء الفلاسفة (ومن نشأ بعدهم كانوا على مثل مقالة الهند وكان فيهم من يرى أن الأشياء كلها شيء واحد - أي وحدة وجود - ثم من قائل في ذلك بالكمون ومن قائل بالقوة وأن الإنسان مثلاً لم يتفضل عن الحجر والجماد إلا بالقرب من العلة الأولى (٣) - الله - بالرتبة وإلا فهو هو ، ومنهم من كان يرى الوجود الحقيقي للعلة الأولى فقط ؛ لاستغنائها بذاتها فيه وحاجة غيرها إليها وأن ما هو مفتقر في الوجود إلى غيره فوجوده كالخيال غير حق ، والحق هو الواحد الأول فقط ، وهذا رأي الصوفية ... ولمذاهب في الإسلام قوم إلى قريب من رأيهم سمو باسمهم) (٣) ونتيجة

---

(١) انظر مدخل إلى التصوف الإسلامي د / أبي الوفا التفتازاني ط مصر ص٣٣-٣٤ وانظر في التصوف الإسلامي وتاريخه نيكلسون ترجمة عربية ص١٤

(٢) جمهرة الأولياء وأعلام أهل التصوف للمنوفي الحسيني ط١ القاهرة ج١ ص٢٩٢

(٣) كتاب البيروني في تحقيق ما للهند من مقوله مقبوله في العقل أو مرذولة تأليف أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني طبع مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند سنة ١٣٧٧هـ ص٢٤

لهذاالفكر الدخيل فقد (حار علماء الإسلاميات الأُول في تعليل ذلك الخلاف الكبير في العقيدة بين مذهب الوحدة الحالي ومذهب أهل السنة) (١) ولكن هذه الحيرة تتبدد عند علمنا أن هذه الفكرة أُخذت من الفكر اليوناني والفكر الأفلاطوني بوجه خاص ونتيجة لاعتناق بعض الصوفية لهذا الفكر فقد أعلن أنه اطلع على الغيب وأن في مقدوره الإتيان بخوارق العادات ، ثم يذهب إلى ما هو أبعد من هذا من ادعاء الوصول إلى مرتبة الألوهية كقول الحلاج المشهور: ما في الجبة غير الله ، وقوله : أنا الحق ، وبمثل هذه الأقوال والاعتقادات ثار على الحلاج معاصروه ورموه بالسحر تارة والجنون تارة أخرى وتبعاً لذلك عذب عذاباً أليماً إلى أن مات ، وكان هناك من أمثال الحلاج من بالغوا مبالغة قلت أم كثرت في هذا السياق كشهاب الدين عمر السهروردي ومحي الدين بن عربي

---

(١) التصوف ما سينيون ومصطفى عبد الرازق دار الكتاب اللبناني ط ١٩٨٤ ص٤٧

وغيرهم (١) وقد حاول الصوفية إيجاد بعض المبررات والأعذار لما يقولون فهذا الجنيد (٢) يقول فيما نقله عنه الغزالي : (... أهل الإنس يقولون في كلامهم ومناجاتهم في خلواتهم أشياء هي كفر عند العامة) (٣) ، والعامة عند الصوفية هم كل ما سواهم (٤) ؛ لأن كل من لا يكون صوفي فهو من أهل الظاهر وأهل الرسوم ولذلك لا يفهم من الشريعة شيئاً(٤) ، ولذلك فهم يحاولون اخفاء عقائدهم عن هؤلاء العوام : -

يارب جوهر علم لو أبوح بـه   لقيل لي أنت ممن يعبد الوثنا

ولا استحل رجال مسلمون دمي   يرون أقبح ما يأتونه حسناً (٥)

فماهذا العلم الذي أخفاه ؟ وما هذا العلم الذي لو أظهره استحق القتل عليه مرتداً ؟ إنه وبلا أدنى شك قول كفر وزندقة ؛

---

(١) جمهرة الأولياء وأعلام أهل التصوف للمنوفي الحسيني طبعة القاهرة جـ١ ص٢٩٢ "بتصرف"

(٢) هو الجنيد بن محمد أبوالقاسم الخزاز وكان أبوه يبيع الزجاج فلذلك كان يقال له القواريري أصله من نهاوند ولد ونشأ في العراق كان فقيهاً وهو من أئمة القوم وسادتهم توفي سنة ٢٩٧هـ انظر طبقات السلمي ص١٥٥ وانظر الفهرست لابن النديم دار المعرفة بيروت لبنان ص٢٦٤

(٣) احياء علوم الدين للغزالي جـ٤ ص٢٩٢

(٤) انظر الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ تأليف / محمود القاسم المكتبة الإسلامية ص١٧

(٥) ينسب هذا القول لزين العابدين انظر الفتوحات الإلهية في شرح المباحث الأصلية في حاشية ايقاظ الهمم لأحمد بن عجيبة الحسنى دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت لبنان

فهل هو القول بوحدة الوجود ؟ أم ادعاء الألوهية ؟ وسيتضح الأمر بعض الشيء في القول التالي :

أنا أنت بلاشـــــك فسبحانك سبحـــــاني

وتوحيدك توحيـــدي وعصيانك عصيـــاني

ثم ماذا بعد ذلك ؟!:

سبحان من أظهر ناسوتـــه سر سنا لاهوته الثـــــاقب

ثم بدا في خلقه ظـــــاهراً في صورة الأكل الشـــــارب

حتى لقد عاينه خلقـــــه كلحظة الحاجب بالحـــاجب (١)

ويستـــمر هذا الغلو حتى يصــل إلى درجة مقيتة فهـــذا صوفي (٢) سـمع (آذان المؤذن فقال طعنة وشم الموت ، وسمع نباح الكلاب فقال لبيك وسعديك) (٣) ـ تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً سبحانه ـ وهذا يعني أن بعض الصوفية يؤمنون بهذه العقيدة الكفرية ومع وضوح هذه المسألة واتفاق الكثير من الباحثين ــ ومنهم من علماء الصوفية ـ على أن القول بوحدة الوجود عند الصوفية هي نتيجة للفكر المقتبس من الفكر اليوناني فإننا وللأسف نجد من يدافع عن هذه العقيدة الكفرية دفاعاً غير رشيد (٤) فبدلاً من الإقرار بالحقيقة يذهب إلى إلصاق هذه التهمة الخطيرة بالإســـلام ويدعي أن بذور وحـــدة الــوجــود موجودة في القرآن

---

(١) هذا الشعر للحلاج انظر ايقاظ الهمم في شرح الحكم لأحمد بن عجيبة الحسني دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت لبنان وانظر ديوان الحلاج ص١٢٧ تقديم وتعليق وتصحيح عبد الحفيظ محمد مدني هاشم ط٢

(٢) هو أبو الحسين النوري بغدادي من أقران الجنيد مات سنة ٢٩٥هـ (انظر اللمع للسراج ص٤٩٢)

(٣) انظر اللمع للسراج الطوسي ص٤٩٢ (٤) أعني بذلك الدكتور / عبد الرحمن بدوي

الكريم وأن الصوفية وصلوا إلى وحدة الوجود من خلال التأمل في القرآن الكريم فيقول (١) (إن قسمات وحدة الوجود التي نجدها عند البسطامي والحلاج ليس فيها من التعمق والتفصيل ما يؤذن بتأثير يتجاوز التأمل المتعمق لآيات القرآن في التوحيد ، خصوصاً الآية ﴿ فأينما تولو فثم وجه الله ﴾ (٢)

فأقول وبالله التوفيق رداً على هذه الفرية العظيمة إن مذهب وحدة الوجود يخالف العقل والنقل من جمع الوجوه وهو قول باطل نقلاً وعقلاً:

أولاً : بطلان وحدة الوجود نقلاً :

إن أساس الدين الإسلامي قائم على توحيد الله وإفراده وحده بالعبادة والتنزيه المطلق لله وجاء الإسلام بالتفريق الواضح بين الله ـ سبحانه ـ وبين مخلوقاته وأن الله ـ تعالى ذكره ـ هو الخالق الرازق لا يشبهه شيء من خلقه ولا يشبه شيئاً من خلقه ولهذا فقد جاء القرآن ناطقاً بهذه العقيدة مبيناً لها أوضح بيان فقد جاءت سورة بأكملها تبين ذلك فقال ـ سبحانه وتعالى : ﴿ قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ﴾ (٣) قال : ابن كثير ـ يرحمه الله ـ في تفسير هذه السورة : ﴿ قل هو الله أحد ﴾ قال : يعنى هو الواحد الأحد الذي لا نظير له ، ولا وزير ، ولا بديل له ولا شبيه ولا عديل ﴿ الله الصمد ﴾

---

(١) انظر تاريخ التصوف د / عبد الرحمن بدوي طبعة الكويت ص٥٦

(٢) البقرة آية ١١٥ وتمام الآية ﴿ ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله إن الله واسع عليم ﴾

(٣) سورة الإخلاص

يعني الذي يصمد إليه الخلائق في حوائجهم ومسائلهم . ﴿ ولم يكن له كفواً أحد ﴾ يعني صاحبه له وهذا كما قال تعالى ﴿ بديع السمـــاوات والأرض أنى يكون له ولـــد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء ﴾ (١) أي هو خـالق كل شيء ومالكه فكيف يكون له من خلقه نظير بساميه أوقريب يدانيه ؟ (٢) ولقد أفحم القرآن الكريم المشركين ولم يستطيعوا الإجابـة حين سـألهم ذلك السؤال العقلي الذي لا جـواب عليـه إلا الإعـتراف بالخـالق عـز وجـل وأنـه غير هذه المخلوقات وأنه مختلف عنها منزه منها قال تعـالى ﴿ أم خلقـوا من غيــر شيء أم هم الخالقــون أم خلقـــوا السمـــــاوات والأرض بل لا يوقنون ﴾ (٣) فلم يجرؤ أحد من المشركين حينذاك أن يدعي أنـه خُلق مـن غير شيء كما لم يجرؤ أحد منهم أن يدعي أنه هو خالق نفسه ـ كمـا يزعـم هؤلاء الصوفية فخالفوا الشرع والعقل ـ فضلاً عن أن يدعي أنـه خلق هـذه الأجرام الهائلة التي لا يعلـم مـــدى عظمهـا وقوانيـن تسييرها إلا اللـه عـز وجل (٤) وقد ردّ القرآن عليهم بأبلغ إجابة فقـــال جل وعلا ﴿ ليـس كمثلـه شـــيء وهو السميع البصير ﴾ (٥) وقال تعـالى : ﴿ لـو كـان فيهمـا ألـة إلا الله لفسدتا فسبحان الله رب العــرش عمـا يصفـون لايسئل عمـــا يفعـــل وهـــم يسئلون ﴾ (٦)

---

(١) سورة الأنعام جزء من الآية (١٠١) وتمامهـا (بديـع السماوات والأرض أنـى يكـون لـه ولـد ولـم يكـن لـه صاحبة وخلق كل شيء بكل شيء عليم)

(٢) مختصر تفسير بن كثير جـ٢ ص٧٦٧

(٣) سورة الطور آية ٣٥

(٤) انظر موقف ابن تيمية من التصوف والصوفية ص١٨

(٥) سورة الشورى آية ١١

(٦) سورة الأنبياء آية ٢٢،٢٣

ثانياً : بطلان وحدة الوجود عقـــــــلاً :

١ = الكل يعلم بداهة أن الخالق غير المخلوق وأن الرب غير المربوب •

٢ = جاءت الرسل ـ عليهم السلام ـ ونزلت الكتب فلا معنى لذلك إن لم يكن الخالق غيرالمخلوق ووجود من هومستحق للعبادة ومن هو مأموربها•

٣ = المخلوقات المشاهدة تتفاوت في الأحجام والأشكال والطبائع والمهمات فلا يمكن أن تكون جميعاً تشكل وحدة وجود وهي بهذا التباين فلا يوجد عاقل لا يستطيع التفريق بين السماء والأرض أو بين جبل وطائر أو بين بحر وبئر .

٤ = الكل يعلم ويشاهد أن الأحياء يموتون ويمرضون فلو كانوا متحدين مع الله لم يحصل لهم هذا •

٥ = القول بوحدة الوجود يؤدي إلى تعطيل الخالق (١) وبذلك فليس هناك حكمة من خلق هذا الكون وهذه المخلوقات .

٦= لايصح لأصحاب هذا المذهب الاستشهاد بالقرآن الكريم ؛ لأن الاستشهاد به للمؤمنين الذين يقرون به باطناً وظاهراً وأما هؤلاء الملاحدة فيزعمون أن القرآن كله شرك ويقولون بوحدة الوجود ويقولون إن التوحيد في كلامنا (٢)

٧= مذهبهم متناقض في ذاته لأنهم يقولون : إن الرب هو الموصوف بجميع النقائص التي يوصف بها المخلوق ، ويقولون إن المخلوقات توصف بجميع الكمالات التي يوصف بها الخالق •

---

(١) انظر الصفدية لابن تيمية مكتبة ابن تيمية القاهرة تحقيق د رشاد سالم ط٢ ١٤٠٦ هـ جـ١ ص٢٤٥

(٢) فتاوى شيخ الإسلام جـ١١ ص ٢٤١ (بتصرف)

وبعد أن ثبت بطلان القول بوحدة الوجود نقلاً وعقلاً أعود لنقض كلام الدكتور عبد الرحمن بدوي وبيان بطلانه فأقول : كان المفروض عليه أن يعود إلى كتب التفسير لمعرفة تفسير هذه الآية الكريمة ومعرفة سبب نزولها فإن ذلك سيوضح الأمر ويزيده جلاءً فلا يقع في هذا المحظور ، وخصوصاً أن علماء التفسير تطرقوا لها وأوضحوها أشد إيضاح فقد قال ابن كثير يرحمه الله في تفسير قوله تعالى ﴿ لله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله إن الله واسع عليم ﴾ (١) ما يلي : هذا والله أعلم فيه تسلية للرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأصحابه ـ رضي الله عنهم ـ الذين أُخرجوا من مكة ، وفارقوا مسجدهم ، ومصلاهم ، وقد كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يصلي بمكة إلى بيت المقدس والكعبة بين يديه ، فلما قدم المدينة وجه إلى بيت المقدس ستة عشر شهراً ، أو سبعة عشر شهراً ، ثم صرفه الله إلى الكعبة فارتاب اليهود وقالوا ﴿ ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها ﴾ (٢) فأنزل الله ﴿ قل لله المشرق والمغرب ﴾ (٣) وقال ﴿ فأينما تولوا فثم وجه الله ﴾ (٤) ثم يضف ـ يرحمه الله ـ قولاً آخر : وهو أنها نزلت على رسول الله

---

(١) سورة البقرة آية ١١٥ .

(٢) جزء من الآية ١٤٢ من سورة البقرة وتمام الآية ﴿ سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشأ إلى صراط مستقيم ﴾

(٣) جزء من الآية ١٤٢ من سورة البقرة

(٤) جزء من الآية ١١٥ من سورة البقرة

صلى الله عليه وسلم إذناً من الله أن يصلي المتطوع حيث توجه من شرق أو غرب في مسيرة في سفره وفي حالة المسابقة وشدة الخوف (١) ثم يذكر مفسر آخر (٢) في تفسير هذه الآية فيقول : أي أي جهة تستقبلونها فهناك وجه الله أي المكان الذي يرتضي لكم استقباله وذلك يكون عند التباس جهة القبلة التي أُمرنا بالتوجه إليها . (٣) وقال صاحب كتاب أسباب النزول في هذه الآية : (أن تصلي حيثما توجهت بك راحتك في التطوع) (٤) فهذا فيه البيان الشافي إن شاء الله ومن خلال العرض لأقوال بعض المفسرين في هذه الآية الكريمة يتضح لي أنهم قد أجمعوا على أن الآية المذكورة لاتشير لامن قريب ولامن بعيد إلى المعنى الذي رمى إليه الدكتور بدوي فقد أوضحوا المراد منها وبينوا سبب نزولها وهم أعلم الناس بعد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وصحابته - رضي الله عنهم - بكتاب الله ومعانيه ولا يعتد بقول من خالفهم .

---

(١) انظر مختصر تفسير ابن كثير اختصار علي الصابوني دار القرآن الكريم جـ١ ص٤٢ .

(٢) الإمام محمد بن على محمد الشوكاني

(٣) انظر فتح القدير تأليف محمد بن علي محمد الشوكاني دار احياء التراث العربي بيروت جـ١ ص١٣١

(٤) أسباب النزول للامام ابي الحسن على بن أحمد الواحد النسيابوري تحقيق السيد أحمد دار القبلة للثقافة الاسلامية جدة ص٧٣

٢ = تأثير النصرانية على الصوفية :

النصرانية هي الديانة التي أُنزلت على عيسى عليه السلام ، مكملة لرسالة موسى عليه السلام ، متممة لما جاء في التوراة من تعاليم ، موجهة إلى بني إسرائيل ، داعية إلى التهذيب الوجداني والرقي العاطفي والنفسي ، ولكنها سرعان ما فقدت أصولها ، مما ساعد على امتداد يد التحريف إليها حيث ابتعدت كثيراً عن صورتها السماوية الأولى لامتزاجها بمعتقدات وفلسفات وثنية (١) وكان من خصائص المسيحية (٢) (= النصرانية) وتعاليمها ترك الدنيا ، والتجرد عن المال والجوع وتعري الأجساد والإعراض عن زينة الحياة المباحة وتحريم الطيبات باسم الانقطاع إلى الآخرة (٣) واللجوء إلى الجبال والبراري فأخذ النصارى هذه الصفات من سيرة السيد المسيح ؛ لأنه كان يصعد إلى الجبل حين يريد أن يصلي أو يعلم الجموع ، وكذلك التقشف والفقر، وتعذيب الأبدان بالجوع والعطش وخشن اللباس فقد فعله النصارى اقتداء بالسيد المسيح (٤) ، وعندما أصبحت الكنيسة منظمة تحكم ملايين من البشر ولم تعد كماكانت جماعة

---

(١) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ـ الندوة العالمية للشباب الاسلامي الرياض ط١ ص٩٩ وانظر الملل والنحل للشهرستاني ٢٢١

(٢) إن استخدام لفظ (النصاري) أو (النصرانية) أولى من (المسيحية) لأن هذا اللفظ هو الذي ورد في القرآن الكريم وهو الصواب لقوله تعالى ﴿وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى تلك أما نيهم قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين ﴾ الآية ١١١ سورة البقرة ، وهذا ماسأتقيد به في هذا البحث .

(٣)التصوف المنشأ والمصادر احسان إلهي ظهير ص٦٤

(٤) انظر مقارنة الأديان د / أحمد شلبي مكتبة النهضة المصرية القاهرة ط١٠ ص٢٠٥

من المتعبدين الخاشعين ، أخذت تنظر إلى الإنسان وما فيه من ضعف نظرة أكثر عطفاً من نظرتها السابقة وأصبحت لا ترى ضيراً من أن يستمتع الناس بملاذ الحياة الدنيا ، وأن تشاركهم في هذا الاستماع غير أن أقلية من النصارى لم يعجبهم هذا الأمر فرأت أن في ذلك نزول إلى درك الخيانة لتعاليم المسيح ، فاعتزمت أن تجد مكانها في السماء عن طريق الفقر والصلاة والترفع عن الأمور الدنيوية فاعتزلت العالم اعتزلاً تاماً (١) وقد ورد في الإنجيل ما يدعو لذلك فقد قال المسيح ـ عليه السلام ـ :(لا تكنزوا ذهباً ولا فضة ولا نحاساً في مناطقكم ولا مزوداً للطريق ولا ثوبين ولا أحذية ولا عصا) (٢) وقد ورد فيه كذلك (أن شاباً تقدم إلى المسيح وقال له :أيها المعلم الصالح أي صلاح أعمل به لتكون لي الحياة الأبدية ؟ فأجابه المسيح ببعض الأجوبة ثم قال له :إن أردت أن تكون كاملاً فاذهب وبع أملاكك واعط الفقراء فيكون لك كنز في السماء وتعالَ اتبعني. فلما سمع الشاب الكلمة مضى حزيناً لأنه كان ذا أموال كثيرة فقال يسوع لتلاميذه : الحق أقول لكم ، إنه يعسر أن يدخل غني إلى ملكوت السماوات وأقولكم أيضاً أن مرورجمل من ثقب إبرة أيسرمن أن يدخل غني ملكوت الله) (٣)

---

(١) انظر قصة الحضارة تأليف ول ديورايت ترجمة عربية محمد بدران ط الادارة الثقافية بجامعة الدول العربية القاهرة ١٩٦٤ جـ١٢ ص١٩٩

(٢) متى ١٠: ٩ ، ١٠

(٣) متى ١٩: ١٦-٢٤

وتستمر النصرانية المحرفة تحث أتباعها على عدم جمع المال والبحث عن تكوين الكنوز في السماء (لا تكنزوا لكم كنوزاً على الأرض حيث يفسد السوس والصدأ وينقب عنها اللصوص ويسرقون بل اكنزوا لكم كنوزاً في السماء حيث لا يفسد سوس وحيث لا ينقب عنها لصوص ولا يسرقون فحيث يكون كنزك هناك أيضاَيكون قلبك) (١) وتتواصل الدعوة للسلبية والكسل وعدم العمل والكسب فيقول الإنجيل :(لا يقدر أحد أن يخدم سيدين لأنه إما أن يبغض الواحد ويحب الآخر أو يلازم الواحد ويحتقر الآخر . لا تقدروا أن تخدموا الله والمال لذلك أقول لكم .لا تهتموا لحياتكم بما تأكلون وبما تشربون ولا لأجسامكم بما تلبسون أليست الحياة أفضل من الطعام ؟(٢) والجسد أفضل من اللباس انظروا إلى طيور السماء أنها لاتزرع ولا تحصد ولا تجمع إلى مخازن (٣) وأبوكم السماوي يقوتها ألستم أنتم بالحري أفضل منها ومن منكم إذا اهتم يقدر أن يزيد على قامته ذراعاً واحدة (٤) ولماذا تهتمون باللباس تأملوا زنابق (٥)الحقل تنموا لا تتعب ولا تغزل ولكن أقول لكم أنه ولا سليمان في كل مجده كان يلبس كواحد منها (٦)

---

(١) متى ٦: ١٩، ٢٠، ٢١ وانظر الكتاب المقدس العهد الجديد متى ٦: ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط مع ملاحظة وجود اختلاف في هذا النص بين الكتاب المقدس وبين الانجيل (كتاب الحياة) ط٣

(٢) نعم الحياة أفضل من الطعام ولكنها لا يمكن أن تستمر بدون طعام .

(٣) لأن الله خلقها هكذا؛ دعوة للسلبية وترك العمل والاعتماد على الغير في الكسب وهذا ما يفعله بعض الصوفية

(٤) قياس فاسد؛ لأن زيادة الطول من الله سبحانه ولم يجعلها بمقدورنا ولم يأمرنا بها وأما طلب الرزق فهو بمقدورنا وأمرنا به وبه قوام الحياة .

(٥) الزنبق نبات من فصيلة الزنبقيات زهرته من أجمل الأزهار تفوح منها رائحة ذكية مهده الأصلي الشرق الأوسط يرمز لونه الأبيض إلى الطهارة يوجد منه أنواع مختلفة الألوان (انظر المنجد باب الزاي)

(٦) متى ٦: ٢٤ ـ ٢٩

وبعد الحث على الجلوس عن العمل والكسب والدعوة إلى البطالة وعدم الانتاج تتجه الدعوة إلى مجال آخر وهو القضاء على الجنس البشري واعتزال النساء وعدم الإنجاب بل واللجوء إلى الخصي فورد في الإنجيل ما نصه (فإن بعض الخصيان يولدون من بطون أمهاتهم خصيان وبعضهم قد خصاهم الناس وغيرهم قد خصوا أنفسهم من أجل ملكوت السماوات فمن استطاع أن يقبل هذا فليقبله) (١) ثم يبين الإنجيل أن هذه حال(الذين أنعم الله عليهم بذلك) (٢) هذه بعض تعاليم النصرانية والتي اقتبسها الصوفية بكاملها ولم يغيروا بها أو يبدلوا وقد اعترفوا أن من مصادر علمهم ومعرفتهم بعض رهبان النصارى فهذا أحد أعلام التصوف يتفاخر بأنه أخذ العلم والمعرفة عن راهب نصراني فيقول (٣):(تعلمت المعرفة من راهب يقال له أبا سمعان دخلت عليه صومعته فقلت له: يا أبا سمعان منذكم أنت في صومعتك هذه ؟ قال : منذ سبعين سنة ، قلت : فما طعامك؟ قال يا حنيفي فما دعاك إلى هذا ؟ قلت : أحببت أن أعلم ، قال : في كل ليلة حمصة ، قلت فما الذي يهيج من قلبك حتى تكفيك هذه الحمصة ؟ قال : ترى الدير بحذائك ؟ قلت : نعم ، قال إنهم (٤) يأتونني كل سنة يوماً واحداً فيزينون صومعتي ويطوفون حواليها ويعظموني بذلك ، فكلما تثاقلت نفسي عن العبادة ذكرتها تلك الساعة وأنا أحتمل جهد سنة لعز ساعة فاحتمل ياحنيفى جهد ساعة لعز الأبد فوقر في قلبي المعرفة) (٥)

---

(١) متى ١٩: ١٢ (٢) متى ١٩: ١١(٣) هو ابراهيم بن أدهم (٤) يظهر من كلامه أنه يقصد الملائكة

(٥) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء أبي نعيم أحمد بن عبد الله الاصفهاني دار الفكر جـ٨ ص٢٩

ولكي يتضح الأمر ويزدد جلاءً سأورد بعض أقوال الصوفية التي اقتبسوها من النصرانية فهذا سيد الطائفة الجنيد البغدادي يقول : (أحب للمريد المبتدىء أن لا يشغل قلبه بالتكسب وإلا تغير حاله) (١) وأيضاً يقول: (ما أخذنا التصوف عن القيل والقال ، ولكن عن الجوع وترك الدنيا وقطع المألوفات والمستحسنات) (٢) ونقل السراج الطوسي عن الجنيد أيضاً أنه سئل عن الزهد قال :(الزهد هو تخلي الأيدي من الأملاك) (٣) وبمثل هذا قال صوفي آخر (٤) حينما سئل عن الزهد قال : (هو ترك حظوظ النفس من جميع ما في الدنيا) (٥) ويتضح لنا أن هذه الأقوال هي عين ما تدعو إليه النصرانية من ترك الدنيا بالكلية والتخلي عن الأموال والأملاك وينقل عن صاحب أحد الطرق الصوفية (٦) أنه كان يقول :(أكره للفقراء دخول الحمام ، وأحب لجميع أصحابي الجوع والعري والفقر والذل والمسكنة وأفرح لهم إذا نزل بهم ذلك) (٧)

ونقل السراج الطوسي عن ابراهيم بن أدهم أنه قال :(إذا تزوج الفقير فمثله مثل رجل قد ركب السفينة فإذا ولد له ولد قد غرق) (٨)

---

(١) قوت القلوب لأبي طالب المكي جـ١ ص٢٦٧ أيضاً غيث المواهب العلية في شرح الحكم العطائية للنفري الرندي طبعة دار الكتب الحديثة القاهرة ١٩٧٠م ص٢٠٨

(٢) الرسالة القشيرية جـ١ ص١١٧

(٣) اللمع للسراج الطوسي ص٧٢

(٤) هو رويم بن أحمد الصوفي المتوفي سنة ٣٠٣هـ

(٥) اللمع للسراج ص٧٢

(٦) هو أحمد بن أبي الحسين الرفاعي صاحب الطريقة الرفاعية

(٧) النفحة العليه في أوراد الشاذلية عبد القادر زكي ط مكتبة المتني القاهرة ص٢٦٣ (٨) اللمع ص٢٦٥

ونقل السهروردي قولاً آخر عنه ـ أي ابراهيم بن أدهم ـ أنه قال (من تعود أفخاذ النساء لا يفلح) (١) ويقولون إن (من تزوج فقد ركن إلى الدنيا) (٢)

فالنصوص في هذا المعنى كثيرة جداً ... وكل هذه النصوص تنطلق صراحة عن مصدرها الأصلي ومرجعها الحقيقي ولا علاقة لها بتعاليم الإسلام وإرشاداته ؛ بل إنها مخالفة تماماً لتلك (٣)
هذا وقد ذم الإسلام ما عليه رهبان النصاري ؛لأنهم أحدثوا هذه الرهبنة من تلقاء أنفسهم ، ولأنها لم تفرض من الله ؛ ولأن فيها رفض النساء وما أبيح من الدنيا واتخاذ الصوامع (٤) ؛ ولأنهم كذلك غلوا في العبادة وحملوا على أنفسهم المشقات في الامتناع عن المطعم والمشرب وتعلقوا بالكهوف والصوامع (٥)

---

(١) عوارف المعارف للسهروردي ص١٦٦
(٢) قوت القلوب ط دار صادر بيروت جـ١ ص٢٥٢
(٣) التصوف المنشأ والمصادر إحسان إلهي ص٧٨
(٤) انظر صفوة التفاسير للصابوني جـ١٧ ص٨٦
(٥) انظر فتح القدير للشوكاني جـ٥ ص١٧٨

٣ = تأثير البوذية على الصوفية :

البوذية هي الديانة التى ظهرت في الهند بعد الديانة البرهمية في القرن الخامس قبل الميلاد كانت في بدايتها متوجهة إلى العناية بالإنسان كما أن فيها دعوة إلى التصوف والخشونة ونبذ الترف والمناداة بالمحبة والتسامح وفعل الخير ولم تلبث بعد موت مؤسسها أن تحولت إلى معتقدات باطلة ذات طابع وثني ، ولقد غالى أتباعها في مؤسسها حتى ألهوه (١)

وكان بوذا ينتمي إلى قبيلة كان لها السلطان وكان والده أحد نبلاء هذه القبيلة ، يملك الكثير من المال ويتمتع بالجاه والسلطان ، تزوج بوذا من ابنة أحد الأمراء ورزق منها بولد وكان سنة عند الزواج تسعة وعشرين عاماً ، وكانت قد لعبت برأسه أفكاراً شتى وتجاذبته أحاسيس متباينة كانت صدى للحياة الهندوسية التي كان يعتقدها من جانب وللواقع الذي كان يعيشه ، ولذلك قرر أن يتخلى عن هذه الحياة المنعمة وأن يترك الترف والبذخ ويبدأ حياة كلها زهد وتقشف لعله يصل إلى معرفة سر الكون فغادر أرض قبيلته وغير كل مظاهر حياته حتى لا يُعرف وواصل سيره إلى أن التقى براهبين من البراهمة وصاحبهما مدة من الزمن ولكن فشل في الاستفاده منهما فهجرهما وقرر أن يسعى بنفسه لينال المعرفة وكشف أسرار الكون فبدأ حياة الترهب وعُرف بالراهب وقد خلع ثيابه واكتفى بأوراق الشجر وصار يمارس الرياضات الشاقة حتى اضمحل جسمه ، ثم

---

(١) انظر الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة الندوة العالمية للشباب الإسلامي ص١٠٧

بعد ذلك وضع أفكاره والتي تنص على القضاء على الرغبات وعدم السعي للكسب (١) وكان اتباع بوذا جماعة واحدة يتعاون أفرادها على الوعظ والإرشاد ويلتزمون حياة شعارها ضبط النفس من الشهوات (٢) وكان من تعاليم هذا الجماعة أنه على الراغب في الالتحاق بها (أن يتنازل عن ماله وعقاره ويحمل مخلاته للسؤال) (٣) ومن تعاليم بوذا أيضاً (ترك الغنى والترف وحمل النفس على التقشف والخشونة وفيها تحذير من النساء والمال وترغيب في البعد عن الزواج) (٤) وكما تأثر الصوفية بالنصرانية فقد تأثروا بالبوذية أيضاً فهذا ابراهيم بن أدهم كان أبوه من أهل بلخ وكان من ملوك خرسان فترك ملك أبيه وخرج إلى البراري ولبس كساء الرعاة وخرج من كل مايملك وترك أهله وزوجته وأولاده وأمواله وكل أملاكه (٥) مقتدياً ببوذا ، وكان بعض الصوفية يخطب من على المنبر وهو عريان أقتداءً ببوذا فهذا الشعراني يورد في طبقاته عن ابراهيم العريان (٦) أنه كان (يطلع المنبر ويخطب عريان) (٧)

---

(١) بتصرف من كتاب أديان الهند الكبرى د / أحمد شلبي ط القاهرة طبعة ١٩٦٤م ص١٤٩ وانظر اضواء على مقارنة الأديان د / محمد طلعت أبو صير ط١ دار الطباعة المحمدية ١٤٠٨ ص١١١ وما بعدها

(٢) أديان الهند الكبري د / أحمد شلبي ط٩ عام ١٩٩٠ مكتبة النهضة المصرية ص١٧٧

(٣) نفس المراجع السابقة ونفس الصفحة =

(٤) الموسوعة الميسرة في الأديان ص١٠٨ وانظر أديان الهند الكبرى لأحمد شلبي ص١٧٩-١٨٠

(٥)انظر القصة كاملة بالحلية جـ٧ ص٣٦٨ (٦) ابراهيم العريان مات في مصر سنة نيف وثلاثين وتسعمائة هجرية ودفن بالروضة (الطبقات وجامع كرامات الأولياء جـ١ ص ٤١٢)

(٧) انظر طبقات الشعراني جـ٢ ص١٤٣

وأما التسول والاستجداء والوقوف على أبواب الناس وحمل المخلاة للسؤال فهي من لوازم الديانة البوذية وهي من ضمن التعاليم المشهورة لبوذا وقد أخذها الصوفية كما هي دون تبديل ولا تغيير فكأن بوذا وجّه تعاليمه لهم؛ولذلك يقولون : (الأكل بالسؤال أجمل من الأكل بالتقوى) (١) وقال السراج الطوسي : (كان بعض الصوفية ببغداد لا يكاد يأكلون شيئاً إلا بذلة السؤال) (٢)

وخلاصة القول في هذا الباب أنه من الصعب أن أتتبع كل ما أخذه الصوفية من الديانات الأخرى ؛لأن ذلك يستحق بحثاً مستقلاً؛ بل بحوثاً مستقلة وإنما اكتفيت بإيراد أهم الديانات والمذاهب التي تأثرت بها الصوفية تأثيراً واضحاً ولعل في ذلك بيان المقصود وإثبات أن الفكر الصوفي لم يكن فكراً إسلامياً خالصاً وإنما اختلط هذا الفكر بأفكار أجنبية غريبة عن الاسلام وبالتالي تبنى الصوفية آراءاً وأقوالاً وأفعالاً تتصادم مع أصول وقواعد الإسلام المتفق عليها والتي لا مجال فيها للاجتهاد أو النظر .

---

(١) اللمع للطوسي ص٢٥٥

(٢) اللمع للطوسي ص٢٥٣

الباب الثاني

التوكل : حقيقته ، ومصادره ، وعلاقته بالقضاء والقدر والأخذ بالأسباب .

ويتكون من ثلاثة فصول :

الفصل الأول : حقيقة التوكل .

الفصل الثاني : شروط التوكل ودرجاته .

الفصل الثالث : علاقة التوكل بالقضاء والقدر والأخذ بالأسباب .

الفصل الأول

حقيقة التوكل

ويتكون من مبحثين :

الأول : بيان معنى التوكل والتواكل لغة واصطلاحاً والفرق بينهما .

الثاني : شروط التوكل ودرجاته .

المبحث الأول: بيان معنى التوكل والتواكل لغة واصطلاحاً والفرق بينهما.

التوكل لغة : لفظ مشتق من (وَكَلَ) ويأتي بعدة معاني ومنها ما يلي :

المعنى الأول :

أن يكون بمعنى (إظهار العجز في الأمر ، فيقال : وكَلَ فلان فلاناً إذا عجز عن القيام بأمر نفسه ، ويقال أيضاً : رجل مواكل ، أي ضعيف عاجز و(الوَكَلُ) العاجز الذي إذا نابه أمر لا ينهض فيه ؛ بل يكله إلى غيره) (١) والتوكل (إظهار العجز ، والاعتماد على الغير) (٢)

المعنى الثاني :

أن يكون التوكل بمعنى (القوامة) فيكون الوكيل بمعنى المقيم (والوكيل في صفة الله تعالى الذي توكل بالقيام بجميع ما خلق) (٣) وجاء في القرآن الكريم قوله تعالى : ﴿ وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني إسرائيل ألا تتخذوا من دوني وكيلاً ﴾ (٤) (ووكيل الرجل الذي يقوم بأمره ، فهو موكول إليه الأمر) (٥) .

---

(١) مقاييس اللغة لأبي الحسن أحمد بن زكريا بن فارس ط١ القاهرة عام ١٣٧١هـ دار إحياء الكتب العربية باب وكل وانظر لسان العرب لأبي الفضل جمال الدين بن منظور دار صادر ١٣٨٨هـ (باب اللام فصل الواو)

(٢) القاموس المحيط للفيروز آبادي باب اللام مؤسسة الرسالة ط٢ ١٤٠٧هـ(فصل الواو)

(٣) المعجم الصافي في اللغة العربية تأليف صالح العلي وأمينه الأحمد باب (وكل) .

(٤) سورة الإسراء آية ٢

(٥) لسان العرب لابن منظور (باب اللام فصل الواو)

المعنى الثالث :

ورد لفظ التوكل بمعنى الكفالة فيكون الوكيل هو :الكفيل (١) وجاء فى لسان العرب (٢) ونعم الكفيل بأرزاقنا ومنه قولهم :(حسبنا الله ونعم الوكيل) والمتوكل على الله الذي يعلم أن الله كافل رزقه وأمره فيركن إليه وحده ولا يتوكل على غيره (٣)

المعنى الرابع :

وجاء التوكل بمعنى (الاستسلام) فقد جاء في القاموس المحيط (٤):(وكل بالله يكل وتوكل على الله وأوكل واتكل استسلم إليه ووكل إليه الأمر وكلاً ووكولاً سلمه وتركه).

المعنى الخامس : يأتي التوكل بمعنى الاعتماد والإلجاء وكلت أمري إلى فلان ألجأته إليه واعتمدت فيه عليه . (٥)

هذه بعض معاني التوكل في اللغة فهي تدور حول الاعتماد على الغير في أمر من الأمور يعجز الموكل عن تحقيقه لأي سبب من الأسباب ويرى أن في استطاعة الوكيل تحقيق ذلك الأمرنيابة عنه .

---

(١) انظر المعجم الصافي في اللغة العربية تأليف صالح العلي وأمينة الأحمد باب (وكل)

(٢) لسان العرب لابن منظور جـ١١ ص٧٣٤

(٣) المعجم الصافي تأليف صالح العلي وأمينة الأحمد باب (وكل)

(٤) القاموس المحيط للفيروز آبادي باب (اللام فصل الواو)

(٥) المعجم الصافي في اللغة العربية باب (وكل)

التوكل اصطلاحـــــــاً :

له عدة معان ومنها ما ذكره الإمام أحمد (١) حين قال:(التوكل عمل القلب ومعنى ذلك أنه عمل قلبي ليس بقول اللسان ولا عمل الجوارح) (٢) فمن خلال هذا التعريف يرى الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ أن التوكل عمل قلبي محض ليس عمل جوارح وليس كلاماً باللسان يتلفظ به .

وقال الإمام ابن القيم (٣) : (التوكل نصف الدين ، والنصف الثاني الإنابة، فإن الدين استعانة،وعبادة ، فالتوكل هو: الاستعانة،والإنابة هي:العبادة) (٤) وقد عرّف التوكل بعض علماء الصوفية فذكروا عدداً كثيراً من التعاريف فهذا أبو طالب المكي (٥) يذكر أن:(التوكل نظام التوحيد وجماع الأمر) (٦) وذكر الكلاباذي نقلاً عن سري السقطي (٧) قوله : (التوكل الانخلاع من الحول والقوة) (٨)

---

(١) هو أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن إدريس بن عبد الله بن أنس بن عوف الشيباني البغدادي إمام في الفقه وصاحب المذهب الحنبلي ، ولد في بغداد وقيل بمرو في ربيع الأول ، وطلب العلم وسمع الحديث من شيوخها ثم رحل إلى الكوفة والبصرة وغيرها من المدن توفي ببغداد ١٣ربيع الأول وقيل الآخر له من الكتب المسند ، الناسخ والمنسوخ وكتاب الزهد(الأعلام : ٢٠٣/١ ووفيات الأعيان :١/ ١٧)

(٢) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين للإمام أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية دار الحديث القاهرة جـ٢ ص١١٩

(٣) هـو محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الحنبلي المعروف بابن قيم الجوزية (شمس الدين أبوعبد الله) فقيه أصولي مجتهد مفسر متكلم نحو محدث ولد بدمشق ولازم ابن تيمية توفي في ١٣ رجب ودفن بدمشق ومن تصانيفة روضة المحبين ، نزهة المشتاقين ، زاد المعاد، تهذيب سنن أبي داود وله نظم (معجم المؤلفين ١٠٦/٩ـ١٠٧)

(٤) مدارج السالكين ص١١٩

(٥) أبو عبد الله عمرو بن عثمان المكي كان ينتسب إلى الجنيد في الصحبة ولقي أبا عبد الله الناجي وأبا سعيد الخراز وغيرهما وكان شيخ القوم في وقته (طبقات الشعراني ج١ص٨٩)

(٦) قوت القلوب لأبي طالب المكي ط١ سنة ١٩٣٢م جـ٣ ص٣

(٧) أبوالحسن سري بن مغلس السقطي توفي ٢٥٣هـ خال الجنيد وأستاذ ، وتلميذ معروف الكرخي (الرسالة القشيرية ص ٤١٧)

(٨) التعرف لمذهب أهل التصوف للكلاباذي المطبعة المصرية ص١١٨

ونقل كذلك عن سهل التستري (*) أنه قال : (التوكل الاسترسال بين يدي الله تعالى) (١) وقال بعضهم (٢) :(التوكل ترك الإيواء إلا إلى الله) (٣) وقال ابن مسروق(٤) :(التوكل الاستسلام لجريان القضاء فى الأحكام) (٥) وقال القشيري: (التوكل نفي الشكوك والتفويض إلى ملك الملوك) (٦) وسئل ذو النون (**) عن التوكل فقال:(خلع الأرباب،وقطع الأسباب) (٧)

ويتبين من ذلك أن التوكل يكون باللجوء إلى الله - سبحانه - وحده دون التعلق بالأسباب مهما كانت ، وقيل في تعريف التوكل أيضا:(إنه عمل وأمل ، مع هدوء قلب وطمأنينة نفس واعتقاد جازم بأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وأن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً) (٨)

ومعنى ذلك أن الإنسان يعمل وهو متوجه بعمله إلى الله - سبحانه - ويعلم علماً يقينياً أن الله بيده كل شيء ، وأن اتخاذ الأسباب ما هو إلا وسيلة من

(*) أبو محمد سهل بن عبد الله التستري (٢٠٠- ٢٨٣هـ) أحد أئمة القوم لم يكن له في وقته نظير في المعاملات والورع (الرسالة القشيرية ص٤٠٠)

(١) التعرف لمذهب أهل التصوف ص١١٩ (٢) هو أبو عبد الله هيكل القرشي ولم أعثر له على ترجمة

(٣) التعرف لمذهب أهل التصوف للكلاباذي ص١١٩

(٤) هو أبو العباس أحمد بن محمد بن مسروق قال عنه الشعراني فى الطبقات إنه من أفضل أهل طوس سكن بغداد ومات بها سنة ٢٩٩هـ

(٥) التعرف لمذهب أهل التصوف للكلاباذي ص١١٩

(٦) الرسالة القشيرية للقشيري ص١٦٨

(**)هو ثوبان بن إبراهيم المصري أحد الزهاد العباد كانت له فصاحة وحكمة وشعر وهو أول من تكلم بمصر في ترتيب الأحوال ومقامات الولاية توفي بالجيزة عام ٢٤٥هـ (الأعلام ٢/ ٨٨)

(٧) إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي دار الكتب العلمية بيروت جـ٤ ص٢٦٤

(٨) منهاج المسلم تأليف أبو بكر الجزائري ط٨ دار الفكر ص١٤١

الوسائل والتوفيق من الله وحده .

ومن خلال ما سبق أرى أن هناك تشابهاً في بعض الجوانب بين التعريف اللغوي للتوكل والتعريف الاصطلاحي ، فالاعتماد والثقة والتفويض والاستسلام هي من المعاني المشتركة بين التعريفين ، إلا أن هناك فرقاً جوهرياً بين التعريفين ، وهو القول بأن التوكل عمل القلب ، وعدم التعلق بالأسباب ، فهذا خاص بالتعريف الاصطلاحي فقط .

فالتوكل في الحقيقة هو: (عمل وأمل ، مع هدوء قلب وطمأنينة نفس واعتقاد جازم بأن ما شاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن وأن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً) (١)

هذا التعريف جامع لصفات الله ـ عز وجل ـ ولعقيدة الإيمان بالقضاء والقدر وما يترتب على هذا العمل من أسباب ، وكذلك فيه بيان أن التوكل الحق لا ينافي الأخذ بالأسباب المشروعة خلافاً لمن قال : إن التوكل هو الاعتماد على رب الأرباب مع ترك الأسباب فترك الأسباب ليس توكلاً بل تواكل وفرق كبير بين الإثنين (٢)

وكما سيظهر فيما بعد من تعريف التواكل لغة واصطلاحاً :

---

(١) منهاج المسلم لأبي بكر الجزائري ص١٤١

(٢) انظر عقيدة التوكل عند أهل السنة (رسالة ماجستير) نور محمد مصيري عام ١٤٠٨ ص٢٠

تعريف التواكل لغـــــــة :

التواكل كلمة مشتقة من (وَكَـــــلَ) يقـال : (تواكـل القـوم مواكلـة ووكالاً أي اتكل بعضـهم على بعض) (١) ورجل (مواكل أي عاجز) (٢)

ويقـــال : (استغثت القــــــوم فتواكلوا أي وكلني بعضـهم إلى بعض ومنه ـ قولهم ـ : (وإذا كان الشأن اتكل) أي إذا وقع الأمر لا ينهض فيـه ويكلـه إلى غيره) (٣)

تعريف التواكل اصطلاحـــــاً:

هو (ترك الكسب والطمع فى المخلوقين) (٤)

---

(١) لسان العرب (باب اللام فصل الواو) وانظر المعجم الوسيط جـ٢ ص١٠٥٤
(٢) المعجم الصافي في اللغة العربية صالح العلي وأمينة الأحمد باب (وكل)
(٣) انظر لسان العرب (باب اللام فصل الواو) وانظر المعجم الوسيط جـ٢ ص١٠٥٤
(٤) كشاف اصطلاحات الفنون للشيخ محمد التهانوي ط١ الهيئة العامة للكتاب جـ ١ ص١٥١١

وذلك بأن يكون الإنسان عالة على غيره بحجة أن رزقه مقدّر وهو آتيه لا محالة فلذلك يرى أنه لا داعي للعمل والكسب واتخاذ الأسباب ، وقيل هو: طرح الأسباب التي وضعها الله عز وجل والاتكال عليه أن يخرق له العوائد ويجعل السماء فوقه تمطر الذهب والفضة ، والأرض من تحت قدميه تخرج له من كل الطيبات دون عناء أو تعب ولا سعي ولا عمل(١)

ومن هذا الباب آثر بعض الصوفية الخمول والكسل وتوقفوا عن الكسب وأصبحوا يستجدون الناس فهم يرون أن (الاهتمام بالرزق قبيح بذوي الدين وهو بالعلماء أقبح) (٢)

وذُكر عن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ أنه لقي ناساً من أهل اليمن فقال : (من أنتم ؟ قالوا : نحن المتوكلون . قال : بل أنتم المتواكلون، إنما المتوكل الذي يلقي حبة في الأرض ويتوكل على الله)(٣)

وفي ذلك رد بليغ على كل من ترك الأسباب كسلاً وتقاعساً بدعوى أن التوكل على الله يتنافى مع الأخذ بالأسباب ولو صدقوا لأحسنوا أعمالهم

---

(١) انظر الايمان والحياة د يوسف القرضاوي مكتبة وهبه ص٢٩٦

(٢) إحياء علوم الدين للغزالي جـ٤ ص٢٧٥

(٣) انظر كتاب التوكل على الله للحافظ أبي بكر بن أبي الدنيا تحقيق مجدي ابراهيم مكتبة القرآن ص٣٦

الفرق بين التوكل والتواكـــــل :

ومما سبق أستطيع أن أبين بعض الفروق بين التوكل والتواكل بما يلي:

١ ـ التوكل: مأمور به شرعاً لقوله تعالى :﴿ إنما النجوى من الشيطان ليحزن الذين أمنوا وليس بضارهم شيئاً إلا بإذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴾ (١)

أما التواكل : فمنهي عنه ؛ لأنه مخالف لحال الرسول صلى ـ الله عليه وسلم ـ وسنته •

٢ ـ التوكل أخذ بالأسباب ، واعتماد على رب الأرباب ؛ لأن المتوكل مأمور بالأخذ بالأسباب لقوله تعالى : ﴿ فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون ﴾ (٢)

أما التواكل فهو : تعطيل الأسباب التي أوجدها الله لتستقيم بها الحياة •

٣ ـ التوكل ناتج من ثقة الموكل بقدرة من توكل عليه ، وكفايته في قضاء حوائجه •

وأما المتواكل : فإنه يطمع فيما عند الله ، أو فيما عند غيره بدون بذل الجهد واتخاذ الأسباب .

---

(١) سورة المجادلة آية ١٠

(٢) سورة الجمعه آية ١٠

٤ ـ التوكل : يثمر الرضا التام بكل ما يقع للإنسان بعد بذل الأسباب •
وأما التواكل: فهوالرضا في الرخاء والجزع في الشدة ،وعدم الاستقرار •
٥ ـ التوكل : يؤدي إلى القوة لقوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (من سره أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله) (١) •
وأما التواكل : فإنه عكس ذلك إذ يؤدي إلى الضعف والذل .
٦ـ التوكل يبعدالشيطان لقوله عليه السلم :(من قال بسم الله توكلت علىالله لاحول ولا قوة إلا بالله فيقال له حينئذ كفيت ووقيت وتنحى له الشيطان)(٢)
وأما المتواكل : فيخذله الله ، لأنه لم يعتمد عليه ، ولا يبعد الشيطان عنه.
٧ ـ التوكل : سبب من أسباب دخول الجنة بغير حساب لقوله صلى الله عليه وسلم : (يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفاً بغير حساب لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون) (٣)
وأما المتواكل : فلا ينال ذلك ؛ لأنه مفرط •
٨ ـ التوكل : يجلب الرزق لقوله ـ عليه السلام ـ : (لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً) (٤)
وأما التواكل : فهو جالب للفقر وطارد للرزق ؛ لأن صاحبه يعتمد على ما في أيدي الناس ولا يسعى في طلب رزقه بنفسه .
٩ ـ التوكل : صفة الأنبياء (٥) وأما التواكل: فليس من صفاتهم

---

(١) التوكل على الله للحافظ ابن أبي الدنيا ص٢٥ ورواه الحاكم والبيهقي وأبو يعلى والطبراني عن أنس ـ رضي الله عنه ـ فيض القدير حديث رقم ٨٧٤٢

(٢) التوكل على الله للحافظ ابن أبي الدنيا ص ٣٦

(٣) رواة البخاري في الصحيح عن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ كتاب الرقاق حديث رقم ٦٥٤١

(٤) رواة الترمذي وأحمد في مسنده والحاكم عن عمر ـ رضي الله عنه ـ فيض القدير حديث رقم ٧٤٢٠

(٥) انظر مدارج السالكين لابن قيم الجوزية جـ٢ ص١٢٢

المبحث الثاني : شروط التوكل ودرجاته :

أولاً : شروط التوكل :

إن التوكل حال مركبة من مجموعة أمور لا تتم حقيقة التوكل إلا بها وهذه الأمور هي : -

أ - معرفة الرب وصفاته : فمعرفة قدرة الله وكفايته وقيومته ، وأن الأمور كلها منتهية إلى علمه ، وصدورها عن مشيئته ، وقدرته كان ذلك دافعاً قوياً ؛ ليكون التوكل توكلاً قوياً وصحيحاً .

ب - صحة الاعتقاد : لا تستيقم عبادة من العبادات ، ولا تقبل طاعة من الطاعات إذا شاب التوحيد والإخلاص أي شائبة ؛ ولأن التوكل عبادة وهو توحيد القلب ، فلا يكون صحيحاً ومقبولاً إذا كان في القلب شيء من الشرك فإن العبد متى التفت إلى غير الله أخل ذلك بصحة توكله .

جـ - اعتماد القلب على الله اعتماداً كلياً :
وذلك بأن يستند المرء إلى الله تعالى استناداً كاملاً ، ويسكن إليه سكوناً تاماً ، بحيث لا يبقى منه اضطراب أو تشوش إلى الأسباب ، ولا يسكن لها بل يخلع السكون إليها من قلبه ويلبسه السكون إلى مسببها وهو الله مسبب الأسباب ومقدر الأقدار .

د / الثقة بما عند الله والاطمئنان إليه :

فالأخذ بالأسباب سنته صلى الله عليه وسلم والثقة بما عند الله من جلب نفع أو دفع ضر هي عقيدته صلى الله عليه وسلم فيكون رفض الأسباب هنا عن القلب لا عن الجوارح .

هـ - إثبات الأسباب والمسببات والأخذ بها :

وذلك عن طريق الاجتهاد والسعي واتخاذ الأسباب المشروعة .

و - حسن الظن بالله - عز وجل - :

فعلى قدر حسن الظن بالله - جل وعلا- ودرجة الرجاء منه يكون التوكل عليه . فكلما عظم حسن الظن بالله كان ذلك زيادة في التوكل .

ز - التفويض :

فهو روح التوكل ولبه وحقيقته وهو : إلقاء الأمور كلها إلى الله عز وجل وإنزالها به طلباً واختياراً لا كرهاً واضطراراً (١)

هذه هي الشروط المطلوبة لكي يكون التوكل صحيحاً وموافقاً لما جاء به الرسول الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

---

(١) انظر مدارج السالكين لابن قيم الجوزيه جـ٢ ص١٢٣ وما بعدها وانظر مختصر منهاج القاصدين للإمام ابن قدامة المقدسي. مؤسسة الكتب الثقافية ص ٣١٥ ومابعدها كذلك عقيدة التوكل عند أهل السنة والجماعة رسالة ماجستير . نور محمد مصيري ص٢٩

ثانياً درجات التوكـــــــل :

قسم العلماء درجات التوكل إلى ثلاث درجات تتفاوت في القوة والضعف وفيما يلي إيضاح ذلك:

الدرجة الأولى:

وهي أن يكون ـ المتوكل ـ حاله في حق الله سبحانه والثقة بكفالته وعنايته كحالة في الثقة بالوكيل(١) وهذه الدرجة تسمى: توكل العامة ومنه :

أ ـ توكل العبيد : فهم لا يفكرون في أمر المعاش اتكالاً على مواليهم فيما يحتاجون إليه .

ب ـ توكل الجند : وذلك كجنود السلطان ، أو الحاكم ، فإنهم لا يفكرون في طلب المعاش اتكالاً على السلطان أو الحاكم في أرزاقهم المفروضة لهم وهم مشغولون بخدمة سلطانهم أو حكامهم .

جـ ـ توكل الأغنياء : فالأغنياء يتوكلون على ذخائرهم وأموالهم ، وقلوبهم ساكنة ، ونفوسهم هادئة ، ولكن الحرص والرغبة في الزيادة يحثانهم على الطلب وهم في الطلب متوكلون على رؤوس أموالهم ، وخدمتهم البيع والشراء في طلب الربح والكسب .

د ـ توكل الفقراء : وأما الفقراء الذين يعملون بأبدانهم فيتكلون على عملهم وقوة أبدانهم .

هـ ـ توكل المكدين:وهم المتسولون فإنهم يتكلون على الناس في مواساتهم

---

(١) احياء علوم الدين للغزالي جـ٤ ص٢٧٧

من فضل ما في أيديهم (١) من أموال وأرزاق ، فالمتوكل في هذه الدرجة يكون حاله في حق الله ـ تعالى ـ والثقة بكفالته وعنايته كحاله في الثقة بالوكيل •

الدرجة الثانية :

وهي أقوى من الأولى وذلك بأن يكون حال المتوكل مع الله ـ تعالى ـ كحال الطفل مع أمه فإنه لا يعرف غيرها ، ولا يفزع إلى أحد سواها ، ولا يعتمد إلا إياها ، فإن رآها تعلق في كل حال بذيلها ولم يخلها ، وإن نابه أمر في غيبتها كان أول سابق إلى لسانه يا أماه وأول خاطر يخطر في قلبه أمه فإنها مفزعه ، ولأنه قد وثق بكفالتها وكفايتها وشفقتها ثقة ليست خالية عن نوع إدراك بالتمييز الذي له (٢) فمن كان باله إلى الله عز وجل ونظره إليه واعتماده عليه كلف به كما يكلف الصبي بأمه فيكون متوكلاً حقاً، فإن الطفل متوكل على أمه ، والفرق بين هذه الدرجة والأولى أن هذا

---

(١) انظر مختصر منهاج القاصدين للإمام الشيخ أحمد بن عبد الرحمن بن قدامه المقدسي ص٣١٦وانظر عقيدة التوكل عند أهل السنة رسالة ماجستير نور محمد مصيري ص٣٠

(٢) إحياء علوم الدين للغزالي جـ٤ ص٢٧٧

متوكل وقد فني في توكله عن توكله إذ ليس يلتفت قلبه إلى التوكل وحقيقته ؛ بل إلى المتوكل عليه فقط (١) .

الدرجة الثالثة :

وهي أعلاها وتكون باستسلام القلب له ، وانجذاب دواعيه كلها إليه وقطع منازعاته (٢) بأن يكون بين يدي الله - تعالى - في حركاته وسكناته مثل الميت بين يدي الغاسل لا يفارقه إلا في أنه يرى نفسه ميتاً تحركه القدرة الأزلية كما تحرك يد الغاسل الميت ، وهو الذي قوي يقينه بأنه مجري للحركة والقدرة والإرادة والعلم وسائر الصفات (٣) وهذه الدرجة هي درجة توكل الخاصة وفيها يدرك المتوكل أنه يعتمد اعتماداً كلياً على الله - عز وجل - اعتماد ثقة وطمأنينة وتفويض مع بذل الأسباب بقدر الطاقة.

وتعتبر منزلة التوكل أوسع المنازل وأجمعها ؛ لأنه فعل عام يقع من العموم لسعة متعلقه وكثرة حوائج العالمين ، فهو يقع من المؤمنين والكفار ، والأبرار والفجار ، والطير والوحش ، وسائر البهائم ؛ فأهل السماوات والأرض - المكلفون وغيرهم - في مقام التوكل وإن تباين متعلق توكلهم

---

(١) إحياء علوم الدين للغزالي جـ٤ ص٢٧٨

(٢) انظر مدارج السالكين لابن قيم الجوزية جـ٢ ص١٢٧

(٣) إحياء علوم الدين للغزالي جـ٤ ص٢٧٨

فأولياء الله وخاصته يتوكلون عليه في الإيمان ، ونصرة دينه وإعلاء كلمته ، وجهاد أعدائه ، وفي محابه وتنفيذ أوامره ، ودون هؤلاء من يتوكل عليه باستقامته في نفسه ، وحفظ حاله مع الله فارغاً عن الناس ، ودون هؤلاء من يتوكل عليه في معلوم يناله منه من رزق أو عافية ، أو نصر على عدو ، ودون هؤلاء من يتوكل عليه في حصول الإثم والفواحش، فإن أصحاب هذه المطالب لا ينالونها إلا باستعانتهم بالله ، وتوكلهم عليه ؛ ولهذا فهم قد يلقون أنفسهم في المتالف والمهالك ، معتمدين على الله أن يسلمهم ، ويظفرهم بمطالبهم (١) .

ثم يبين الإمام ابن قيم الجوزية أن مراتب التوكل تتفاوت في الفضل والمكانة فيقول : (فأفضل التوكل : التوكل في الواجب - أي واجب الحق، وواجب الخلق ، وواجب النفس - وأوسعه وأنفعه التوكل في التأثير في الخارج في مصلحة دينية ، أو في دفع مفسدة دينية ، وهو توكل الأنبياء في إقامة دين الله ، ودفع فساد المفسدين في الأرض ، وهذا توكل ورثتهم ثم الناس بعد ذلك في التوكل على حسب هممهم ومقاصدهم ، فمن متوكل على الله في حصول الملك ، ومن متوكل في حصول رغيف • ومن صدق توكله على الله في حصول شيء ناله فإن كان محبوباً له مرضياً كانت له فيه العاقبة المحمودة ، وإن كان مسخوطاً مبغوضاً كان ما حصل له بتوكله مضرةً عليه ، وإن كان مباحاً حصلت له مصلحة التوكل دون مصلحة ما توكل فيه إن لم يستعين به على طاعاته) (٢)

---

(١) انظر مدارج السالكين لابن قيم الجوزية جـ٢ص١١٨ (بتصرف) (٢) المرجع السابق ص١١٩

الفصل الثاني

مصادر التوكل عند أهل السنة والجماعة

ويتضمن مبحثين :

الأول : التوكـــــــــــــــــــل في الكتاب الكريم .

الثاني : التوكـــــــــــــــــــل في السنة الشريفة .

قبل أن نتناول الحديث عن مصادر التوكل عند أهل السنة والجماعة لابد من وقفة أمامهم لبيان المقصود بأهل السنة والجماعة فأقول وبالله التوفيق:

اختلف العلماء قديماً وحديثاً في تعريف أهل السنة والجماعة فمنهم من اعتبرهم التابعين لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وصحابته الكرام ـ رضي الله عنهم ـ ومنهم من اعتبرهم التابعين له عليه السلام من حيث الاعتقاد والعمل دون تقيد بزمن ، وممن عرفهم قديماً عبد القاهر البغدادي (١) فقال : (هم أصحاب الدين القويم والصراط المستقيم).(٢) ويرى الدكتور فاروق الدسوقي (٣) أن أهل السنة والجماعة هم السلف فيقول : السلف أهل السنة والجماعة وقد صار حول هذا المفهوم تنازع حيث حاولت كل فرقة من الفرق (٤) أن تنتسب إليهم أو تدعي اتباعها للسلف أو تثبت التوافق معهم منهجياً وعقائدياً وذلك لإثبات مذاهبهم واحقاق مناهجهم وعلى كل فهم جميعاً يحاولون جاهدين اعتبار القرآن الكريم والسنة المطهرة أصلاً لمذهبهم ومعظم الفرق قد أعلنت أن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ هو إمامهم وأنهم متبعون لا مبتدعون . فهو عند الصوفية الصوفي الأول في الإسلام وكذلك يجعل المعتزلة الخلفاء الراشدين وكبار الصحابة رضي الله عنهم على رأس طبقاتهم والأشاعرة يسمون أنفسهم أهل السنة والجماعة كما يسمون أنفسهم الخلف باعتبار أنهم خلفوا في اعتقادهم .

---

(١) صدر الإسلام الأصولي العالم المتفنن عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي الاسفراييني التميمي توفي عام ٤٢٩هـ

(٢) الفرق بين الفرق ص٣١٨

(٣) القضاء والقدر في الاسلام ٢ / ١٥

(٤) كالشيعة والمعتزلة والمرجئة والأشاعرة

والسلف في نظر الشيخ محمد أبو زهرة هم : ألئك الذين ظهروا في القرن الرابع الهجري وكانوا من الحنابلة وزعموا أن جملة آرائهم تنتهي إلى الإمام أحمد بن حنبل الذي أحيا عقيدة السلف وحارب دونها ثم تجدد ظهورهم في القرن السابع الهجري وأحياه شيخ الإسلام ابن تيمية وشدد في الدعوة إليه وأضاف أليه أموراً أخرى قد بعثت إلى التفكير في أحوال عصره ، ثم ظهرت تلك الآراء في الجزيرة العربية في القرن الثاني عشر من الهجرة وأحياها محمد بن عبد الوهاب (١) ونادى [أتباع الشيخ محمد بن عبد الوهاب] بها وتحمس بعض العلماء من المسلمين إليها (٢)

ويمكن القول : أن أهل السنة والجماعة منهم فقهاء وقراء ومحدثون ومتكلمون كلهم متفقون على مقالة واحدة في توحيد الصانع وصفاته وفي أبواب النبوة والإمامة والآخرة وفي إباحة ما أباح القرآن وتحريم ما حرمه مع قبول ما صح من سنة رسول البشرية صلى الله عليه وسلم (٣) والمراد بمذهب السلف : ما كان عليه الصحابة الكرام رضوان الله عليه والتابعون لهم بإحسان إلى يوم الدين وأتباعهم وأئمة الدين ممن شهد لهم بالإمامة

---

(١) هو محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي التميمي النجدي ينتهي نسبه إلى عدنان وولد سنة ١١١٥هـ وتوفى ١٢٠٦هـ فقيه أصولي مفسر محدث متكلم ولد في العيينة من بلاد نجد وقام بالدعوة إلى العقيدة السلفية والعمل بالكتاب والسنة قصد الدرعية وتلقاه أميرها محمد بن سعود وقبل دعوته وانتشرت على أثر ذلك في كثير من بلاد العرب من آثاره كتاب التوحيد وكشف الشبهات وكتاب الكبائر (من أعلام السلف إعداد أحمد بن عبد الله النملة بدون طبعة جـ١ ص٧٥)

(٢) المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد دار الفكر العربي جـ١ ص٢١١

(٣) انظرالفرق بين الفرق عبد القاهر البغدادي دار المعرفة بيروت لبنان ص٢٦و درارسات في الفلسفة الإسلامية عبد اللطيف محمد العيد مكتبة النهضة المصرية ص٨

وعرف معظم شأنه في الدين وتلقى الناس كلامهم خلفاً عن سلف كالأئمة الأربعة والبخاري ومسلم والثوري وسائر أصحاب السنن دون من رمي ببدعة أو شهر بلقب غير مرضي (١)

والناظر إلى تعريف أهل السنة من الناحية الزمنية يبرز أمامه تعريف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حيث أخبر عليه السلام عن افتراق أمته إلى عدة قرون فقال عليه السلام : (إن خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم) قال عمران : فلا أدري أقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم بعد قرنه مرتين أو ثلاثة (ثم يكون بعدهم قوم يشهدون ولا يستشهدون ويخونون ولا يؤتمنون وينذرون ولا يوفون ويظهر فيهم السمن)(٢)

وبعد هذا العرض يمكن القول بأن : أهل السنة والجماعة هم ألئك الذين تبعوا الرسول - صلى الله عليه وسلم - زمناً أوعقيدة ومن تبعهم دون تحريف أو تعطيل أو تشبيه أو تمثيل منزهين الله - سبحانه وتعالى - عن كل لفظ لا يليق بجلاله معتمدين على كتاب الله وسنة المصطفى - صلى الله عليه وسلم - وصدق الله القائل :﴿ يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ٠٠٠﴾الأية (٣)

(١) في العقيدة الإسلامية بين السلفية والمعتزلة محمود أحمد خفاجي جـ١ ص٢١

(٢) رواه مسلم في الصحيح كتاب فضائل الصحابة حديث رقم ٢١٤

(٣) سورة ابراهيم آية ٢٧

المبحث الأول : التوكل في الكتاب الكريم : ـ

القرآن في اللغة : مصدر بمعنى القراءة ، وغلب في العرف العام على المجموع المعيّن من كلام الله ـ سبحانه وتعالى ـ المقروء بألسنة العباد.

واصطلاحاً : هو الكلام المنزل على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من الله بواسطة جبريل المكتوب في المصاحف ، المنقول إلينا نقلاً متواتراً(١) المتعبد بتلاوته . وسمي بالكتاب ؛ لأنه يجمع أنواعاً من القصص ، والآيات والأحكام والأخبار على أوجه مخصوصه ، ويسمى المكتوب كتاباً مجازاً قال تعالى : ﴿ في كتاب مكنون ﴾ (٢) ويسمى قرآناً؛ لأن القراءة عنه والتلاوة منه (٣) ختم الله به الكتب السماوية جميعاً ، وجمع ثمراتها كلها فيه ضمنه جل وعلا أعظم دين ، وهو الكتاب الخالد ، ودستور الخالق لإصلاح الخلق وهدايتهم ، (٤) صالح لكل زمان ومكان ، محفوظ من التحريف والضياع ، قال تعالى :﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ (٥) ولا تمتد إليه يد العبث والتعديل بفضل العناية الإلهية قال تعالى : ﴿ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ﴾ (٦) وهو المصدر الأول في الاعتقاد والتشريع ، والهداية للحق المبين قال تعالى: ﴿ إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيراً ﴾ (٧)

---

(١) انظر ارشاد الفحول إلى علم الأصول تأليف محمد بن علي الشوكاني مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ص٣٠

(٢) سورة الواقعة آية ٧٨

(٣) البرهان في علوم القرآن للإمام بدر الدين محمد الزركشي تحقيق محمد أبو الفضل دار المعرفة بيروت جـ١ ص ٢٧٧

(٤) انظر مناهل العرفان في علوم القرآن / محمد عبد العظيم الزرقاني دار إحياء التراث العربي جـ١ ص٣

(٥) سورة الحجر آية ٩

(٦) سورة فصلت آية ٤٢

(٧) سورة الإسراء آية ٩

ومن أدرك علم أحكام الله في هذا الكتاب العزيز نصاً واستدلالاً ووفقه الله للقول والعمل فيه فاز بالفضيلة في الدين والدنيا وانتفت عنه الريب ونورت الحكمة قلبه واستوجب في الدين موضع الإمامة (١) والصدارة وعلى هذا فليس شيء أنفع للعبد في معاشه ومعاده ، وأقرب إلى نجاته ، من تدبر القرآن ، وإطالة التأمل فيه ، وجمع الفكر على معانيه ؛ لأنها تطلع العبد على معالم الخير والشر ، وعلى طرقهما وأسبابهما ، وغايتهما وثمراتهما ، وحال أهلهما ، وتجعل في يده مفاتيح كنوز السعادة في الدنيا والآخرة ، ومفاتيح العلوم النافعة ، وتثبيت قواعد الإيمان في قلبه(٢) ، وقد عاقب الله ـ عز وجل ـ الذين أضمروا عداوة للقرآن ، فإذا قلوبهم قد أصابها الوقر ، فلا تسمع منادي الإيمان ، وعيون بصائرهم عليها غشاوة العمى والضلال ، فهي لا تبصر حقائق القرآن ، وألسنتهم بها خرس عن الحق المبين ، فهم لا ينطقون صم بكم عُمْيٌ فهم لا يرجعون (٣)

ومن ضمن الأمور الاعتقادية التي عني بها القرآن الكريم التوكل على الله سبحانه بإعتباره أمراً من أمور العقيدة الهامة ؛ ولهذا فقد ورد التوكل في القرآن الكريم في مواضع كثيرة وبصور مختلفة ، وقد نال هذا الموضوع اهتمام بعض العلماء فتناولوا ذلك بالشرح والبيان، وسأتولى بيان ذلك

---

(١) انظر الرسالة للإمام / محمد بن إدريس الشافعي ـ المكتبة العلمية بيروت لبنان ص ٢٠

(٢) انظر الدعاة إلى الله في القرآن الكريم ومناهجهم تأليف الدكتور / محمد طلعت أبو صير المطبعة العربية الحديثة القاهرة ١٤٠٦هـ ص ٤٢١

(٣) انظر الموافقات في أصول الشريعة أبو اسحاق ابراهيم بن موسى الشاطبي ـ تحقيق الشيخ / عبد الله دراز المطبعة الرحمانية بمصر جـ٣ ص ٣٨٠

فيما يلي إن شاء الله ، فمن العلماء الذين كتبوا في هذا الموضوع أبو حامد محمد الغزالي (١) الذي ضمّن كتابه إحياء علوم الدين كتاباً سماه "كتاب التوحيد والتوكل" (٢) بدأه بقوله : (إن التوكل منزلة من منازل الدين ومقام من مقام الموقنين) (٣) وإن الله سبحانه مسبب الأسباب وعليه الاعتماد ومقدر أرزاق العباد (فلما تحققوا أنه للرزق ضامن وبه كفيل توكلوا عليه) (٤) ثم ذكر بعض الآيات الكريمة التي ورد فيها ذكر التوكل بدأها بقوله تعالى : ﴿ ٠٠٠وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين ﴾ الأية(٥) ثم قوله تعالى: ﴿ ٠٠٠وعلى الله فليتوكل المتوكلون ﴾الأية (٦) وقوله تعالى : ﴿ ٠٠٠ومن يتوكل على الله فهو حسبه ﴾الأية (٧) وقوله تعالى:﴿٠٠٠ إن الله يحب المتوكلين ﴾ الأية(٨) وقوله تعالى :﴿ وتوكل على الحي الذي لا يموت٠٠٠ ﴾الأية (٩) ثم بين أن كل ما سوى الله ـ تعالى ـ عبد مسخر ، حاجتة مثل حاجات سائر المخلوقات فكيف يتوكل عليه ، بل إن كل ما ذكر في القرآن من التوحيد فهو تنبيه على عدم الركون إلى الأسباب والتعلق بها وحدها وإنما التوكل على الواحد القهار موجد الأسباب (١٠) .

---

(١) هو محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي الشافعي المعروف بالغزالي زين الدين حجة الاسلام أبو حامد ، حكيم ، متكلم فقية صوفي أصولي ، مشارك في أنواع من العلوم ، ولد بالطابران ، ثم أرتحل إلى أبي نصر الاسماعيلي بجرجان ثم إلى أمام الحرمين أبي المعالي الجويني بنيسابور وتوفي بالطابران من تصانيفة إحياء علوم الدين الحصن الحصين في التجريد والتوحيد وتهافت الفلاسفة وغيرها عاش من سنة ٤٥٠ إلى ٥٥٠ هـ . أنظر معجم المؤلفين ١١/ ٢٦٦

(٢) انظر احياء علوم الدين جـ٤ص ٢٥٩.

(٣) انظر المرجع السابق جـ٤ص ٢٥٩.

(٤) انظر المرجع السابق جـ٤ص٢٥٩.

(٥) سورة المائدة جزء من آية ٢٣.

(٦) سورة ابراهيم جزء من آية ١٢.

(٧) سورة الطلاق جزء من آية ٣

(٨) سورة ال عمران جزء من آية ١٥٩.

(٩) سورة الفرقان جزء من آية ٥٨.

(١٠) احياء علوم الدين جـ٤ص٢٦٠/٢٩٠ (بتصرف)

وقد ذكر كذلك الإمام ابن قيم الجوزية بعض الآيات التي ورد فيها لفظ (التوكل) أو أحد مشتقاته (١) فذكر قوله تعالى: ﴿··· وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين﴾الأية (٢) وقوله تعالى :﴿··· وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾الأية (٣) وقوله جل شأنه: ﴿ ومن يتوكل على الله فهو حسبه···﴾الأية (٤) وقوله عن أوليائه: ﴿··· ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير﴾الأية (٥) وقوله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم: ﴿ فتوكل على الله إنك على الحق المبين ﴾ (٦) وقوله له صلى الله عليه وسلم :﴿ ···وتوكل على الله وكفى بالله وكيلاً ﴾الأية (٧) وقوله له صلى الله عليه وسلم أيضاً: ﴿ وتوكل على الحي الذى لا يموت وسبح بحمده ···﴾الأية (٨) وقوله تعالى لرسوله الكريم صلى الله عليه وسلم: ﴿ ···فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين ﴾الأية (٩) وقال سبحانه عن أنبيائه ورسله ـ عليهم السلام ـ :﴿ وما لنا ألا نتوكل على الله وقدهدانا سبلنا ···﴾الأية (١٠) وقال جل من قائل عن أصحاب نبيه عليه السلام :﴿ الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ﴾ (١١) وقال تعالى في صفات المؤمنين:﴿ إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون ﴾ (١٢)

---

(١) انظر مدارج السالكين ج٢ ص١١٧ (٢) سورة المائدة آية ٢٣ (٣) سورة التوبة آية ٥١
(٤) سورة الطلاق آية ٣ (٥) سورة الممتحنة آية ٤ (٦) سورة النمل آية ٧٩
(٧) سورة النساء آية ٨١ (٨) سورة الفرقان آية ٥٨ (٩) سورة آل عمران آية ١٥٩
(١٠) سورة ابراهيم آية ١٢ (١١) سورة آل عمران آية ١٧٣ (١٢) سورة الأنفال آية ٢

وإذا كان الإمام الغزالي وابن قيم الجوزية قد اقتصرا على ذكر بعض الآيات التي ورد فيها لفظ (التوكل) للتمثيل والاستدلال لاعلى سبيل الحصر والاستقصاء ، فإني سأبين بحول الله وقوته جميع الآيات التي ورد فيها لفظ (التوكل) وبأي اشتقاق كان معتمداً على طريقتين في ذلك :-

الطريقة الأولى: إحصاؤها وترتيبها حسب ترتيب سور القرآن الكريم دون النظر إلى تصريف الكلمة - وهو إحصاء موضعي مكاني وليس إحصاءً عددياً - ؛لأن الكلمة قد يرد ذكرها في بعض الآيات أكثر من مرة (١) و بيان ذلك كالتالي: -

وردت في سورة آل عمران أربع مرات في الآيات الكريمة (١٢٢،١٥٩،١٦٠،١٧٣)، ووردت في سورة النساء أربع مرات كذلك في الآيات (٨١ ، ١٠٩ ، ١٣٢ ، ١٧١) ،ووردت في سورة المائدة مرتين في الآيتين (١١ ، ٢٣) ،ووردت في سورة الأنعام أربع مرات في الآيات (٦٦ ، ٨٩ ، ١٠٢ ، ١٠٧) ، وورت في سورة الأعراف مرة واحدة في الآية (٨٩) ، ووردت في سورة الأنفال ثلاث مرات في الآيات (٢ ، ٤٩ ، ٦١) ، ووردت في سورة التوبة مرتين في الآيتين (٥١ ، ١٢٩) ، وفي سورة يونس وردت أربع مرات في الآيات (٧١ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ١٠٨)

---

(١) ومثالاً على ذلك الآية رقم ٤٨ من سورة الأحزاب ذكر فيها لفظ (توكل) و(وكيلاً) فبهذا يكون قد ورد هذا اللفظ مرتين في آية واحدة

ووردت في سورة هــود أربــع مــرات في الآيــات (١٢ ، ٥٦ ، ٨٨ ، ١٢٣) وقد وردت في سورة يوسف مرتين في الآيتيـن (٦٦ ، ٦٧)، كمـا وردت فـي سـورة الرعد مرة واحدة في الآية (٣٠) ، ووردت فــي سـورة ابراهيم مرتيـن فـي الآيتيـن (١١،١٢) ،ووردت في سورة النحل مرتين في الآيتين (٤٢ ، ٩٩) ، ووردت في سورة الإسراء خمس مرات في الآيات (٢،٥٤،٦٥، ٦٨،٨٦) ، ووردت في سورة الفرقان مرتين في الآيتيـن (٤٣،٥٨)،ووردت فـي سـورة الشـعراء مـرة واحدة فـي الآية (٢١٧) ، وأيضاً وردت في سورة النمل مرة واحـدة فـي الآيـة(٧٩) ووردت كذلك في سورة العنكبوت مرة واحدة في الآية (٥٩) ، ووردت أيضاً مرة واحدة في سورة السجدة فـي الآيـة (١١) ووردت مرتين فـي سـورة الأحــزاب فــي الآيتيــن (٣،٤٨) ، وفـي سـورة الزمـر وردت ثــلاث مــرات فــي الآيــات (٣٨،٤١،٦٢) ، ووردت فـي سـورة الشـورى ثـلاث مـرات فـي الآيـات (٦،١٠،٣٦)، ووردت مـرة واحدة في سورة المجادلـة فـي الآيـة (١٠) ، وكذلـك وردت مـرة واحـدة فـي سـورة الممتحنة الآية (٤) ، ووردت كذلك مرة واحدة في سورة التغـابن فـي الآيـة (١٣)، ووردت مرة واحدة في سورة الطـلاق الآيـة (٣)، ووردت مـرة واحـدة فـي سـورة الملك الآية(٢٩) ،ووردت في سورة المزمل مرة واحدة في الآية (٩)

ويلاحظ من خلال هذا الإحصاء أن هذه الكلمة أو أحد مشتقاتها قد ذُكرت في السور المكية أكثر من ذكرها في السور المدنية وكذلك لم تذكر بسورة واحدة في أكثر من خمس آيات (١) .

---

(١) حصلت على هذه الإحصائية من القرآن الكريم ثم بمساعدة برنامج القرآن الكريم بالحاسب الآلي والمعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم تأليف / محمد فؤاد عبد الباقي دار الحديث القاهرة الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ .

الطريقة الثانية : إحصاؤها وتصنيفها وترتيبها حسب الاشتقاق اللغوي (١)

هذا وقد وجدت أن للكلمة عدة اشتقاقات منها ؛ وكلنا ، ووكل وتوكلت ، وتوكلنا ، ونتوكل ، ويتوكل ، ويتوكلون ، وتوكل ، وتوكلوا ، ووكيل ، ووكيلاً ، والمتوكلون ، والمتوكلين .

أما بالنسبة للفظ (وكّلنا) فقد جاء ذكره في سورة الأنعام آية (٨٩) قال تعالى: ﴿ فإن يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوماً ليسوا بها بكافرين ﴾ فقد ورد لفظ (وكلنا) في هذه الآية الكرية بمعنى " ألزمنا وأرصدنا " (٢)

ولفظ (وُكِّلَ) ورد في سورة السجدة آية (١١) بمعنى كُلف (٣) قال تعالى : ﴿ قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم إلى ربكم ترجعون ﴾ ولفظ (تَوَكَّلْتُ) قد جاء ذكره في سبع آيات من القرآن الكريم، في سورة التوبة آية (١٢٩) جاء بمعنى (اعتمدت) (٤) قال تعالى :﴿فإن تولوا فقل حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم﴾

وبنفس المعنى جاء في سورة يونس آية (٧١) ، وفي سورة هود آية (٥٦ ، ٨٨) ، وجاء كذلك في سورة يوسف آية (٦٧) ، وفي سورة الرعد آية (٣٠) ،وفي سورة الشورى آية (١٠) .

---

(١) انظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم تأليف / محمد فؤاد عبد الباقي دار الحديث القاهرة باب الواو ص ٩٢٩

(٢) تفسير الجلالين للإمامين جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي دار العلم للملايين ص ٢٠١

(٣) انظر فتح القدير للشوكاني جـ ٤ ص٢٥٠

(٤) صفوة التفاسير / محمد علي الصابوني دار القرآن الكريم بيروت جـ ٥ ص ٥٥

الطريقة الثانية : إحصاؤها وتصنيفها وترتيبها حسب الاشتقاق اللغوي (١)

هذا وقد وجدت أن للكلمة عدة اشتقاقات منها ؛ وكلنا ، ووكل وتوكلت ، وتوكلنا ، ونتوكل ، ويتوكل ، ويتوكلون ، وتوكل ، وتوكلوا ، ووكيل ، ووكيلاً ، والمتوكلون ، والمتوكلين .

أما بالنسبة للفظ (وَكَّلْنَا) فقد جاء ذكره في سورة الأنعام آية (٨٩) قال تعالى: ﴿ فإن يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوماً ليسوا بها بكافرين ﴾ فقد ورد لفظ (وكلنا) في هذه الآية الكرية بمعنى " ألزمنا وأرصدنا " (٢)

ولفظ (وُكِّلَ) ورد في سورة السجدة آية (١١) بمعنى كُلف (٣) قال تعالى : ﴿ قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم إلى ربكم ترجعون ﴾ ولفظ (تَوَكَّلْتُ) قد جاء ذكره في سبع آيات من القرآن الكريم، في سورة التوبة آية (١٢٩) جاء بمعنى (اعتمدت) (٤) قال تعالى :﴿فإن تولوا فقل حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم﴾

وبنفس المعنى جاء في سورة يونس آية (٧١) ، وفي سورة هود آية (٥٦ ، ٨٨) ، وجاء كذلك في سورة يوسف آية (٦٧) ، وفي سورة الرعد آية (٣٠) ،وفي سورة الشورى آية (١٠) .

---

(١) انظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم تأليف / محمد فؤاد عبد الباقي دار الحديث القاهرة باب الواو ص ٩٢٩

(٢) تفسير الجلالين للإمامين جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي دار العلم للملايين ص ٢٠١

(٣) انظر فتح القدير للشوكاني جـ ٤ ص٢٥٠

(٤) صفوة التفاسير / محمد علي الصابوني دار القرآن الكريم بيروت جـ ٥ ص ٥٥

وأما لفظ (تَوَكَّلْنَا) قد ورد في سورة الأعراف :آية (٨٩) بمعنى اعتمد (١) أيضاً قال تعالى: ﴿ وسع ربنا كل شيء علماً على الله توكلنا ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين ﴾
وورد أيضـــاً بنفس المعنى في ثلاث سور فقد ورد في سورة يونس آيــة: (٨٥) ،وسورة الممتحنة : آية (٤) ،وسورة الملك آية (٢٩) .

ولفظ (نَتَوَكَّلَ) ورد في سورة ابراهيم آية (١٢) بمعنى اعتمد (٢) أيضـاً قال تعالى ﴿ وما لنا ألا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا ﴾

ولفظ (يَتَوَكَّلِ) ورد في اثنى عشر موضعاً مـن القرآن الكـــريم بمعنـى وثق (٣) وفوض واعتمد (٤) فقد ورد فـي سـورة آل عمـران آيـة (١٢٢) بهذا المعنى قال تعالى ﴿ إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا والله وليهما وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴾ وورد كذلك في الآيـة (١٦٠) مـن نفـس السـورة وفي سورة المائدة آية (١١) وسورة التوبة آية (٥١) وسورة الأنفال آية (٤٩) وفي سورة يوسف آية (٦٧) وفي سورة ابراهيم آيـة (١١ ، ١٢) وفي سورة الزمر آية (٣٨) وفي سورة المجـــادلة آية (١٠) وفـي سورة التغابن آية (١٣) وفي سورة الطلاق جاء بمعنى فوض في الآية (٣)

---

(١) صفوة التفاسير / محمد علي الصابوني جـ ٤ ص٣٠

(٢) المرجع السابق جـ ٦ ص ٥٩

(٣) انظر تفسير الجلالين ص ٢٤٦

(٤) تفسير النسفي المسمى بمدارك التنزيل وحقائق التأويل للإمام / عبد الله بن أحمد بن محمد النسفي دار القلـم بيروت طبعة ١٤٠٨هـ جـ٢ ص ٧٨١

ولفظ (يَتَوَكَّلُونَ) ورد بمعنى يعتمدون ويثقون (١) فقد ورد في سورة الأنفال آية (٢) بهذا المعنى قال تعالى ﴿ وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون ﴾
وبنفس المعنى ورد في سورة العنكبوت آية (٥٩) وفي سورة الشورى آية (٣٦) وفي سورة النحل آية (٤٢) وفي آية (٩٩) من نفس السورة .

ولفظ (تَوَكَّلْ) ورد بمعنى اعتمد ووثق وفوض (٢) فقد جاء بهذا المعنى في سورة آل عمران آية (١٥٩) قال تعالى ﴿ فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب الموتكلين﴾
وكذلك ورد بنفس المعنى في سورة هود آية (١٢٣) وفي سورة الفرقان آية (٥٨) وفي سورة النمل آية (٧٩) وفي سورة الأحزاب في الآيتين (٣ ، ٤٨)
وورد بمعنى فوض في سورة الأنفال آية (٦١) وفي سورة الشعراء آية (٢١٧) وورد بمعنى الكفاية في سورة النساء آية (٨١)
وأما لفظ (تَوَكَّلُوا) فقد ورد بمعنى اعتمدوا (٣) في سورة المائدة آية (٢٣) قال تعالى ﴿ وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين ﴾ وورد بنفس المعنى في سورة يونس آية (٨٤) .

---

(١) تفسير الجلالين تفسير الآية (٢) من سورة الأنفال

(٢) المرجع السابق تفسير الآية (١٥٩) من سورة آل عمران

(٣) صفوة التفاسير محمد علي الصابوني جـ٣ ص١٥

وأما لفظ (وَكِـيلُ) فقد ورد بمعنى حفيظ أو المفـوّض إليـه الأمـر (١) أو الكافي (٢) فقــد ورد بهذا المعنى في سورة آل عمران آيـة (١٧٣) قـال تعالى ﴿ الذين قال لهـم النـاس إن النـاس قـد جمعـوا لكـم فاخشـوهم فزادهـم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ﴾

وورد بنفس المعنى فـي سـورة الأنعـام فـي الآيـات (٦٦ ، ١٠٢ ، ١٠٧) وفـي سـورة يونـس آيـة (١٠٨) وفـي سـورة هـود آيـة (١٢) وفـي سـورة الزمر في الآيتين (٤١ ، ٦٢) وفي سورة الشورى آية (٦)

وورد بمعنى شهيد ورقيب (٣) فـي سـورة يوسـف آيـة (٦٦) وفـي سـورة القصص آية (٢٨) .

وورد لفظ (وَكِـيلاً) بمعنـى حافظـاً (٤) فقـد جـاء بهـذا المعنـى فـي سـورة النساء آية (١٣٢) قال تعـالى ﴿ ولـلـه مـا فـي السـموات ومـا فـي الأرض وكفى بالله وكيلاً ﴾

وكذلك ورد بنفـس المعنـى فـي الآيـة (١٠٩) والآيـة (١٧١) مـن نفـس السـورة وورد كذلك في سورة الإسراء في الآيـات (٢ ، ٥٤ ، ٦٥ ، ٨٦) وفي سـورة الفرقان آية (٤٣) وفي سورة الأحزاب في الآيتين (٣،٤٨)

وورد بمعنى كافياً وناصراً ومعيناً (٥) في سورة النساء آية (٨١)

وورد بمعنـــى يحفظـكم (٦) في سورة الإسراء آية (٦٨) ٠

---

(١) تفسير الجلا لين تفسير الآيـة ١٧٣ مـن سورة آل عمـران (٢) الرسـالة التدمريـة لشـيخ الإسـلام ص١٢٦

(٣) صفوة التفاسير ج٦ص٢٥ (٤)المرجع السابق ج٦ص١٣٠

(٥) المرجع السابق ج٦ ص١١٣ (٦) المرجع السابق ج٧ص٦٧

وورد في سورة المزمل آية (٩) بمعنى اعتمد وفوض (١)

وقد ورد لفظ (المُتَوَكِّلُونَ) بمعنى اعتمد في سورة يوسف آية (٦٧) قال تعالى ﴿ إن الحكم إلا لله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون ﴾ وورد أيضاً بنفس المعنى في سورة ابراهيم آية (١٢) وفي سورة الزمر آية (٣٨)

ولفظ (المُتَوَكِّلِينَ) ورد في سورة آل عمران بمعنى اعتمد (٢) في الآية (١٥٩) قال تعالى ﴿ فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين ﴾

وبعد بيان ما أوردته من مشتقات (وكل) وبيان معنى كل مشتق من مشتقاته ، نجد أن جميع معاني التوكل في القرآن الكريم ، موافقة لمعانيه في اللغة ، كاعتمد ، وفوض ، واستسلم ، وحفظ ، وشهد ، ونصر ، وكفى ، وكفل ، وإذا استقصينا المقصود من كل لفظ في كل آية وجدنا أنه يوافق المعنى الاصطلاحي من صدق اعتماد القلب ، ومن الثقة بالله والاعتماد عليه والطمأنينه ، إلى آخر المعاني الاصطلاحية للتوكل ونجد كذلك أن جميع الاشتقاقات تدور حول معنى واحد وهو الاعتماد والتفويض ، ولانجد في القرآن الكريم معنى للتوكل يدعو إلى ترك الأسباب بالكلية أو الاعراض المطلق عنها .

---

(١) صفوة التفاسير جـ ١٩ ص ٥٨

(٢) المرجع السابق جـ ٦ ص٦١

المبحث الثاني : التوكل في السنة الشريفة .

السـنة لغة : هي الطريقة أو القدوة كقول النبي - صلى الله عليه وسلم - : (من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها) (١)

والسنة اصطلاحاً : هي كل ما صدر عن النبي - صلى الله عليه وسلم - غير القرآن من قول أو فعل أو نظرية مما يصلح لأن يكون دليلاً لحكم شرعي (٢) أو ما روي عن رسو الله - صلى الله عليه وسلم - من قول أو فعل أو تقرير أو وصف (٣) وبجانب القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل العزيز الحكيم ، والمصدر الأول في التشريع الإسلامي جاءت السنة النبوية الشريفة ، مصدراً ثانياً للتشريع ، فهي تكشف غامض القرآن ، وتفسر مبهمه ، وتقيد مطلقه ، وتخصص عامه، وتفصل أغراضه،وتؤسس أحكاماً جديدة سكت عنها القرآن الكريم(٤)

---

(١) رواة مسلم في الصحيح كتاب العلم حديث رقم ١٣٥٧

(٢) كتاب تدوين السنة ابراهيم فوزي رياض الريس للكتب والنشر ط ١٩٩٤ ص ٢٩

وانظر هذا التعريف في كتاب علوم الحديث د / صبحي الصالح وكتاب المدخل لدراسة الفقه الإسلامي د / عبد الرحمن الصابوني وكتاب السنة قبل التدوين للخطيب دار الفكر الطبعة الخامسة ص١٦

(٣) انظر مذكرة أصول الفقة للشيخ محمد الأمين الشنقيطي دار القلم بيروت ص ٩٥

(٤) من بيان السنة لما أجمل في القرآن عدد الركعات وفرائض الصلاوات وكيفياتها وأوقاتها ومن بيان تقييد مطلق القرآن تقييد الرقبة الواردة في كفارة اليمين بالرقبة المؤمنة ، ومن بيانها لعام القرآن أي تخصيصة بيان أن السارق والسارقة الوارد في قوله تعالى ﴿والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالاً من الله والله عزيز حكيم ﴾ الانعام آية ٣٨ بأنه من سرق نصاباً قدره عشرة دراهم فأكثر وتأسيس حكاماً جديداً كتحريم الجمع في الزواج بين المرأة وعمتها وبين المرأة وخالتها .

فالسنة النبوية المطهرة جاءت موضحة لما أجمل في الكتاب العزيز من أحكام ، مفصلة لما غمض فيه ، مبرزة الصور والكيفيات بالإيضاح والبيان ، وقد يكون ذلك الإيضاح بالقول أو الفعل أو التقرير ونحو ذلك .

ولذلك جاء أمر الله صريحاً بوجوب الرجوع إلى كتابه العزيز وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم واعتبرهما المصدرين الأساسين لكل تشريعات الإسلام وتعاليمه ، ووجوب الالتزام بهما ، قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين أمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً ﴾ (١) وقوله جل شأنه : ﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون ﴾ (٢) فطاعة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ واتباع سنته واجب على كل من يعتنق دين الإسلام .

ولماكان التوكل من الأمور الهامة في الإسلام فقد حظي بنصيب وافر من العناية والاهتمام في السنة الشريفة ،وقد ورد التوكل في السنة النبوية بعدة ألفاظ منها :توكل ، المتوكل ، المتوكلون ، نتكل ، توكلتم ، توكلت ، يتوكلون ، يتكلوا ، وكل ، وكيل .

وألفاظ التوكل في السنة كل منها يدل على معنى يرمي إليه في المقام الموجود فيه .

وقد ذكر التوكل في عدة أحاديث منها الصحيح ومنها الحسن ومنها الضعيف . ومثل سائر جوانب العقيدة الإسلامية نال التوكل في السنة النبوية المطهرة اهتمام بعض العلماء فأوردوا بعض الأحاديث المتعلقة به .

---

(١) سورة النساء آية ٥٩

(٢) سورة الأنفال آية ٢٠

فقد ذكر الغزالي في كتابه " إحياء علوم الدين" : (١) مجموعة من الأحاديث منها الصحيح ، ومنها الحسن ، ومنها ما هو ضعيف ، بدأه بقول : وأما الأخبار فقد قال صلى الله عليه وسلم فيما رواه ابن سعود (أريت الأمم في الموسم فرأيت أمتي قد ملأوا السهل والجبل فأعجبتني كثرتهم وهيأتهم ، فقيل لي : أرضيت ؟ قلت : نعم ، قيل ومع هؤلاء سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب . قيل : من هم يا رسول الله ؟ ، قال : (الذين لا يكتوون ولا يتطيرون ولا يسترقون وعلى ربهم يتوكلون ٠٠٠) (٢) إلخ الحديث

وقال صلى الله عليه وسلم : (لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدوا خماصاً وتروح بطاناً) (٣) ثم ذكر بعض الأحاديث منها ما هو بإسناد حسن ومنها ما هو بإسناد ضعيف وذكر بعض الآثار والروايات في هذا الخصوص .

وكذلك ذكـــــــر الإمام ابن القيم عدة أحاديث أخذها من الصحيحين ومن

---

(١) انظر احياء علوم الدين للغزالي جـ ٤ ص ٢٦٠

(٢) متفق عليه من حديث أبو هريرة - رضي الله عنه (صحيح البخاري باب يدخل الجنة سبعون ألف بغير حساب حديث رقم ٦٥٤٢ صحيح مسلم باب بدء الوحي حديث رقم ١١٣)

(٣) أخرجه الامام أحمد في المسند ١ / ٥٢ والترمذي والحاكم عن عمر رضي الله عنه فيض القدير حديث رقم ٧٤٢٠

الترمذي ومن السنن أيضاً (١) وكذلك جمع الحافظ ابن أبي الدنيا (٢) كتاباً كاملاً عن التوكل بدأه بحديث عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - (لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله ..) ثم ذكر بعض الأحاديث منها ماروا‌ة ابن عباس - رضي الله عنهما - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يقول : (اللهم بك أسلمت ، وبك آمنت ، وعليك توكلت ، وإليك أنبت ، وبك خاصمت ، أعوذ بعزتك ، لا إله إلا أنت الحي الذي لا يموت والجن والإنس يموتون) (٣) إلا أن منهجه في إيراد الأحاديث كان شبيهاً بمنهج الغزالي فهو يورد بعض الأحاديث الضعيفة (٤) وفيما يلي بعض الأحاديث التي يدل كل منها على معنى من معاني التوكل لغة واصطلاحاً ، والتي ذكر فيها " التوكل " بأحد مشتقاته :

---

(١) انظر مدارج السالكين : ٢ / ١١ وما بعدها

(٢) هو أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن شعبان بن قيس المعروف بابن أبي الدنيا الحافظ المصنف من موالي بني أمية ولد سنة ثمان وستين هجرية كان يؤدب غير واحد من أبناء الخلفاء ألف كثيراً من المصنفات (البداية والنهاية ٦ / ٧٦ سير أعلام النبلاء ١٣ / ١٣٩٧)

(٣) كتاب التوكل على الله ص ١٨ والحديث رواه مسلم في صحيحه كتاب الذكر والدعاء حديث رقم ٦٧ باختلاف يسير في الألفاظ

(٤) انظر كتاب التوكل على الله لابن أبي الدنيا ص ١٩ مكتبة القرآن تحقيق مجدي السيد ابراهيم

روى الإمام أحمد (١) والبخاري (٢) عن سهل بن سعد (٣) قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : (من توكل لي ما بين رجليه وما بين لحييه توكلت له بالجنة) .

قال الحافظ بن حجر (*): قوله " من توكل لي " أي تكفل وأصل التوكل الاعتماد (٤). وهذا معنى من المعاني اللغوية للتوكل .

وروى البخاري عن عطاء بن يسار (٥) قال : لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - قلت : أخبرني عن صفة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في التوراة . قال : أجل والله أنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن

---

(١) مسند الامام أحمد بن حنبل : ٥ / ٣٢٣

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري كتاب الحدود باب فضل من ترك الفواحش : ١٢ / ١١٣ . انظر عمدة القاريء شرح صحيح البخاري كتاب الحدود بدر الدين العيني : ١٢ / ٢٨٧ الحدود .والجامع الصحيح حديث رقم ٦٨٠٧

(٣) هو سهل بن سعد بن مالك بن خالد بن ثعلبه بن حارثه بن عمر بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج الانصاري الساعدي . شهد قضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم في المتلاعنين ، وأنه فرق بينهما كان اسمه (حزنا) فسماه رسول الله (سهلاً) عاش سهل وطال عمره حتى أدرك الحجاج بن يوسف وتوفي سنة ٨٨ وقيل أنه أخر من بقى من الصحابة رضي الله عنهم بالمدينة . انظر أسد الغابة : ٢ / ٤٧٢

(*) هو الإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر السعلاني ولد سنة ٧٧٣ وتوفي سنة ٨٥٢ هـ

(٤) انظر فتح الباري جـ ١٢ ص ١١٥

(٥) هو أبو محمد المدني مولى أم المؤمنين ميمونة ، الفقية الواعظ ، روي عن زيد بن ثابت وأبي أيوب وعائشة وآخرون . وكان ثقه جليلاً من أوعية العلم يقال مات سنة ثلاثة ومائة وقيل توفي سنة بضع وتسعين انظر تذكرة الحفاظ للامام الذهبي أبو عبد الله شمس الدين : ١ / ٩٠ ، ٩١ ، دار احياء التراث العربي .

﴿ يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً ﴾ (١) وحرزاً للأميين ، أنت عبدي ورسولي سميتك " المتوكل " ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الأسواق ، ولا يدفع بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر ... الخ الحديث (٢). أي المتوكل على الله لقناعته باليسير والصبر على ماكان يكره (٣) ولاعتماده على الله وحده •

وروى الامام البخاري عن " ابن عباس رضي الله عنهما " (٤) قال : كان أهل اليمن يحجون ولا يتزودون ويقولون : نحن المتوكلون ، فإذا قدموا مكة سألوا الناس (٥) فأنزل الله تعالى : ﴿ وتزودوا فإن خير الزاد التقوى ﴾ (٦) أي معتمدون على الله وواثقون به في تأمين أرزاقنا •

---

(١) سورة الأحزاب ، آية ٤٥

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري كتاب البيوع ، باب كراهية السخب من الأسواق : ٤ / ٤٠٢ و كتاب التفسير / تفسير سورة الفتح ، وانظر أيضاً عمدة القاري شرح صحيح البخاري : ١١ / ٢٤٢ ، ٢٤٣ باب كراهية السخب في الأسواق .

(٣) فتح الباري جـ٨ ص ٤٥٠

(٤) عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ، ابو عباس الهاشمي ، الإمام البحر عالم العصر ، ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودعا النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لله له أن يفقهه في الدين ويعلمه التأويل ، توفي بالطائف في سنة ثمان وستين وقد ولد قبل الهجرة بثلاث سنين ، وقيل غير ذلك . انظر أسد الغابة لابن الأثير : ١٨٦/٣ - ١٩٠ ، والاصابة لابن حجر : ٢ / ٣٣٠،٣٣٤ وطبقات الحفاظ ، ص ١٠ .

(٥) رواة البخاري في صحيحه كتاب الحج حديث رقم ١٥٢٣

(٦) سورة البقرة ، آية (١٩٧)

عن علي ـ رضي الله عنه ـ (١) قال : كنا جلوساً مع النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومعه عود ينكت به في الأرض فنكس(*) ، وقال : (ما منكم من أحد إلا و قد كتب مقعده من النار أو من الجنه) فقام : رجل من القوم : ألا نتكل " يا رسول الله ؟ قال : (لا ، اعملوا فكل ميسر)، ثم قرأ ﴿ فأما من أعطى واتقى ﴾ (٢) .

وقول الرجل ألا نتكل ؛ أي ألانعتمد على أقدارنا المكتوبه .

وفي لفظ آخر عن علي رضي الله عنه : " أفلا نمكث على كتابنا " أي أفلا نعتمد على المقدر لنا في الأزل وندع العمل "(٣) وعن " أنس بن مالك "(٤) رضي الله عنه قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (إذا خرج من بيته فقال بسم الله توكلت على الله لا حول ولا قوة إلا بالله) قال:(يقال حينئذٍ هديت وكفيت ، ووقيت ، فتنحى له الشياطين ، فيقول له شيطان آخر ، كيف لك برجل قد هدي وكفي ووقي) (٥)

---

(١) صحيح البخاري حديث رقم ٦٦٠٥ ومسلم كتاب القدر حديث رقم ٦ واللفظ للبخاري

(*) بتشديد الكاف أي أطرق

(٢) سورة الليل ، آية (٥)

(٣) انظر صحيح مسلم كتاب القدر حديث رقم ٦ وعون المعبود شرح سنن أبي داود ، " باب القدر " : ١٢ / ٤٥٨ ، وانظر ابن ماجه : ١ / مقدمه .

(٤) هو أنس بن مالك بن النضر أبو حمزة الأنصاري المدني ، خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وله صحبه طويلة وحديث كثير ، مات في سنة ثلاث وتسعين (له ترجمة في أسد الغابة والأصابة انظر طبقات الحفاظ للسيوطي ، ص١١)

(٥) سنن أبي داود كتاب الأدب حديث رقم ٥٠٩٥ (اللفظ له) ، وأخرجه الترمذي في أبواب الدعوات ، حديث : ٣٤٢٢ باب ما يقول إذا خرج من بيته .

وقد ورد في هذا الحديث معنى من معاني التوكل ، وهو الكفاية ، أي كافينا الله ونعم الكافي "

عن أبي مالك الأشعري (١) قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (إذا ولج الرجل ـ في ـ بيته فليقل : اللهم إني أسألك خير المولج وخير المخرج ، بسم الله ولجنا ، وبسم الله خرجنا ، وعلى الله ربنا توكلنا ، ثم ليسلم على أهله) (٢) وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومعاذ رديفه على الرحل قال : (يا " معاذ بن جبل ") (٣) : قال : لبيك يا رسول الله وسعديك . قال : (يا معاذ) قال : لبيك يا رسول الله وسعديك (ثلاثاً) ، قال : (ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صدقاً من قلبه إلا حرمه الله على النار) ، قال : يا رسول الله أفلا أخبربه الناس فيستبشروا.قال: (إذاً يتكلوا)، وأخبربها معاذ عند موته تأثماً " (٤) فورد لفظ التوكل في هذا النص أيضاً بمعنى اعتمد ٠

---

(١) قدم في السفينة مع الأشعريين على النبي صلى الله عليه وسلم ، له صحبة اختلف في اسمه فقيل كعب بن مالك ، وقيل كعب بن عاصم ، وقيل عبيد ، وقيل عمر ، وقيل الحارث ، يعد من الشاميين . انظر أ سد الغابة في معرفة الصحابة لعز الدين بن الأثير أبي الحسن علي بن محمد الجزري : ٦ / ٢٧٢ ، ط (الشعب) .

(٢) سنن أبي داود كتاب الأدب :حديث رقم ٥٠٩٦

(٣) أبو عبد الرحمن الأنصاري الخزرجي شهد العقبة وهو ابن ثمان عشرة سنة أو دونها ، وشهد بدراً والمشاهد ، وكان من نجباء الصحابة وفقهائهم ، تحدث عنه أنس بن مالك ، وأبو مسلم الخولاني وطائفة ، استشهد معاذ في الطاعون بالأردن في سنة ١٨هـ وله ٣٥ سنة تقريباً انظر طبقات الحفاظ ، ص٦

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري :١ / ١٩٩ ـ ٢٠٠ وأخرجه البخاري أيضاً في كتاب العلم حديث ١٢٨.

وعن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ ، عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : (إن الله وكل في الرحم ملكاً فيقول : " يا رب نطفة ، يا رب مضغة ، فإذا أراد الله أن يخلقها ، قال : يا رب ذكر أم أنثى ؟ ، يارب أشقي أم سعيد ؟)(١) ووكل بالرحم هنا : معناه كفل بالرحم ملكاً. وهذا معنى من معاني التوكل في اللغة .

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة ، عيسى ابن مريم ، وصاحب جريج ... (٢) وبينا صبي يرضع من أمه ، فمر رجل راكب على دابة فارهة... ومروا بجارية وهم يضربونها ويقولون : زينب سرقت وهي تقول " حسبي الله ونعم الوكيل ...) (٣) وورد لفظ الوكيل في الحديث بمعنى " شهيد " .

وروي عن ابن عباس قال : (حسبنا الله ونعم الوكيل) قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقي في النار وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قالوا﴿إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناًوقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ﴾ (٤) فلفظ وكيل فيما روى عن ابن عباس ورد بمعنى حفيظ .

---

(١) صحيح البخاري كتاب أحاديث الأنبياء باب خلق آدم حديث رقم ٣٣٣٣

(٢) رجل عابد يتعبد في صومعه .

(٣) صحيح البخاري كتاب الأنبياء حديث رقم ٣٤٦٦ وصحيح مسلم كتاب البر والصلة والآداب حديث رقم ٨ واللفظ له .

(٤) صحيح البخاري : حديث رقم ٤٥٦٣ في تفسير آل عمران باب قوله تعالى : ﴿ الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم ﴾ آية ١٧٣ آل عمران

وعن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ ، عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : (إن الله وكل في الرحم ملكاً فيقول : " يا رب نطفة ، يا رب مضغة ، فإذا أراد الله أن يخلقها ، قال : يا رب ذكر أم أنثى ؟ ، يارب أشقي أم سعيد ؟)(١) ووكل بالرحم هنا : معناه كفل بالرحم ملكاً. وهذا معنى من معاني التوكل في اللغة .

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة ، عيسى ابن مريم ، وصاحب جريج ... (٢) وبينا صبي يرضع من أمه ، فمر رجل راكب على دابة فارهة... ومروا بجارية وهم يضربونها ويقولون : زينب سرقت وهي تقول " حسبي الله ونعم الوكيل ...) (٣) وورد لفظ الوكيل في الحديث بمعنى " شهيد " .

وروي عن ابن عباس قال : (حسبنا الله ونعم الوكيل) قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقي في النار وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قالوا﴿إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناًوقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ﴾ (٤) فلفظ وكيل فيما روى عن ابن عباس ورد بمعنى حفيظ .

---

(١) صحيح البخاري كتاب أحاديث الأنبياء باب خلق آدم حديث رقم ٣٣٣٣

(٢) رجل عابد يتعبد في صومعه .

(٣) صحيح البخاري كتاب الأنبياء حديث رقم ٣٤٦٦ وصحيح مسلم كتاب البر والصلة والآداب حديث رقم ٨ واللفظ له .

(٤) صحيح البخاري : حديث رقم ٤٥٦٣ في تفسير آل عمران باب قوله تعالى : ﴿ الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم ﴾ آية ١٧٣ آل عمران

فيظهرمن ذلك أن الاشتقاق الواحد لكلمة (وكل) يأتي بأكثر من معنى .

ونلاحظ أن المعاني التي ورد بها لفظ " وكل " ومشتقاته في الأحاديث النبوية الشريفة ، بعضها مقابل لمعنى من معانيه في اللغة ، وبعضها يوافق أحد المعاني الاصطلاحية وكل هذه المعاني تدور حول معنى واحد وهو الاعتماد والاستسلام لله. و ماسبق ليس حصراً لكل ما ورد في السنة من أحاديث تتناول التوكل وإنما لبيان المراد من لفظ التوكل وأكتفي بذلك لأني أعتقد أنه أوفى بالغرض ولأن تتبع المسألة في السنة النبوية الشريفة يحتاج إلى وقت وجهد كبيرين لست مالكاً لهما وليس في مقدوري فعل ذلك في هذا الموضع لما أسلفت والله المستعان .

الفصل الثالث

علاقة التوكل بالقضاء والقدر والأخذ بالأسباب
ويتضمن مبحثين :

الأول : علاقة التوكل بالقضاء والقـــــــــــــــدر ٠

الثاني : علاقة التوكل بالأخذ بالأســـــــــــــباب ٠

القضاء في اللغة :

لقد ورد القضاء في اللغة بعدة معان منها : الفصل في الحكم ، وبلوغ المراد ونواله وإحكامه ، والأداء والإنهاء ، والدلالة على الأمر ، وبمعنى الفراغ من الشيء ونفاذه ، وبمعنى مات ومضى ، ويأتي بمعنى الصنع والخلق .

وفي معنى الفصل في الحكم قيل: قضيت بين الخصمين وعليهما (١) أي حكمت .

ويأتي القضاء بمعنى الحكم والجمع الأقضية . والقضية مثله والجمع القضايا . وقضى يقضي ـ بالكسر ـ (قضاءً) أي حكم (٢) ومنه قوله تعالى ﴿ وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه ﴾ (٣)

وجاء القضاء بمعنى بلوغ المراد ونواله ، كما يقال : قضيت الحاجة قال تعالى ﴿ وقضينا إليه ذلك الأمر ﴾ (٤)

وورد بمعنى الأداء والإنهاء كما تقول : قضى دينه . ومنه قوله تعالى : ﴿ وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علواً كبيراً ﴾ (٥)

وفي الدلالة على الأمر كما يقال : اقتضي الأمر الوجوب أي دل عليه(٦)

---

(١) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير تأليف العالم العلامة أحمد بن محمد علي المقري الفيومي ٢ /١٦٦ ـ وانظر مقاييس اللغة : مادة (قضى)

(٢) مختار الصحاح للرازي مادة :(قضى) (٣) الإسراء : آية : ٢٣ (٤) الحجر آية : ٦٥

(٥) الإسراء : آية ٤ (٦) لسان العرب لابن منظور (باب الياء فصل القاف)

أما معنى الفراغ من الشيء : فكما قيل : قضيت واجبي ، وضربه فقضى عليه أي فرغ منه (١) ويقال : قضى فلان أي مات ومضى . وقوله : ﴿ ثم اقضوا إليّ ﴾ (٢) يعنى امضوا إليّ واقضوا إلىّ ولاتؤخروني ساعة واحدة ولاتمهلون ومنه قضى الميت ـ أي ـ مضى (٣) ويكون بمعنى الصنع والتقدير فيقال : قضاه أي صنعه وقدره ومنه قوله تعالى : ﴿ فقضاهن سبع سموات في يومين ٠٠٠﴾الأية (٤) ومنه القضاء المقرون بالقدر وهما أمران متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر ؛ لأن أحدهما بمنزلة الأساس وهو (القدر) والآخر بمنزلة البناء وهو (القضاء) فمن رام الفصل بينهما فقد رام هدم البناء (٥)

فالقضاء إذن له عدة وجوه في اللغة وهي ماسبقت الإشارة إليه ، ومنه القضاء المقرون بالقدر ، والمراد بالقدر التقدير وبالقضاء الخلق .

القضاء في الاصطلاح : هو شمول وقدم علم الله تعالى بما ينبغي أن يكون عليه الوجود وبما سيكون ، أو هو الأمر الكوني النافذ ، والقدر الحتمي الذي لا مرد له (٦) . ومنه قوله تبارك وتعالى : ﴿ ٠٠٠وإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون ﴾الأية (٧) أي إذا قدر أمراً وأراده ، فإنه لا بد أن ينفذ بمجرد قوله جل وعلا " كن " (٨)

---

(١) مقاييس اللغة مادة قضى

(٢) سورة يونس آية : ٧١

(٣) انظر فتح القدير ج٢ ص٤٦٢ ومختصر تفسير ابن كثير ج١ص٥٢٨

(٤) سورة فصلت جزء من آية : ١٢

(٥) انظر تاج العروس ١٠ /٣٩٦

(٦) مشيئة الله ومشيئة العباد تأليف عبد الكريم الخطيب بدون طبعه ص٨٨

(٧) سورة البقرة آية ١١٧

(٨) القضاء والقدر في الإسلام د: فاروق الدسوقي بدون طبعة : ٣٤٩/١

من معاني القضاء في القـــــــــرآن :

ورد لفظ القضاء بأكثر من معنى في القرآن ، و منه ما هو موافق لمعناه اللغوي :

١ - ورد بمعنى الحكم والقضاء بين المتخاصمين والمتنازعين(١)،وذلك مثل قوله تعالى﴿ ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً﴾ (٢)

٢ - ورد بمعنى الأمر التشريعي التكليفي مثل قوله تعالى ﴿ وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا ﴾ (٣) أي أمر بذلك (٤)

٣ - وجاء بمعنى الإخبار والإعلام مثل قوله تبارك تعالى : ﴿ وقضينا إليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين ﴾ (٥) أي أعلمنا وأوحينا وحياً جازماً ، ويكون أيضاً بمعنى الفصل والحكم (٦)

٤ ـ وأتى بمعنى أنهى وأتم وأنجز . مثل قوله تبارك وتعالى ﴿ ولكن ليقضي الله أمراً كان مفعولاً ﴾ (٧)

---

(١) مختصر تفسير ابن كثير ج١ ص ٢٠٩

(٢) سورة النساء آية ٦٥

(٣) سورة الإسراء آية ٢٣

(٤) المفردات في غريب القرآن ص٤٠٦

(٥) سورة الحجر آية ٦٦

(٦) المفردات في غريب القرآن ص٤٠٦

(٧) سورةالأنفال آية ٤٢

من معاني القضاء في القـــــــرآن :

ورد لفظ القضاء بأكثر من معنى في القرآن ، و منه ما هو موافق لمعناه اللغوي :

١ ـ ورد بمعنى الحكم والقضاء بين المتخاصمين والمتنازعين(١)،وذلكِ مثل قوله تعالى﴿ ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً﴾ (٢)

٢ ـ ورد بمعنى الأمر التشريعي التكليفي مثل قوله تعالى ﴿ وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا ﴾ (٣) أي أمر بذلك (٤)

٣ ـ وجاء بمعنى الإخبار والإعلام مثل قوله تبارك تعالى : ﴿ وقضينا إليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين ﴾ (٥) أي أعلمنا وأوحينا وحياً جازماً ، ويكون أيضاً بمعنى الفصل والحكم (٦)

٤ ـ وأتى بمعنى أنهى وأتم وأنجز . مثل قوله تبارك وتعالى ﴿ ولكن ليقضي الله أمراً كان مفعولاً ﴾ (٧)

---

(١) مختصر تفسير ابن كثير ج١ ص ٢٠٩

(٢) سورة النساء آية ٦٥

(٣) سورة الإسراء آية ٢٣

(٤) المفردات في غريب القرآن ص٤٠٦

(٥) سورة الحجر آية ٦٦

(٦) المفردات في غريب القرآن ص٤٠٦

(٧) سورة الأنفال آية ٤٢

٥ ـ وورد بمعنى حدد كما في قوله تعالى : ﴿ هو الذي خلقكم من طين ثم قضى أجلاً وأجل مسمى عنده ثم أنتم تمترون ﴾ (١) أي قدر وحدد زمناً ، فالأول قيل أنه أجل الحياة والثاني أجل البعث (٢) فهو قضاء حتمي ، وما يفيد الحتم في هذا المفهوم للقضاء فقوله تعالى : ﴿ ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمراً مقضياً ﴾ (٣) أي قدر مقدوراً ، وخلق مراداً له سبحانه وتعالى ، وفعلاً نافذاً لا مرد له (٤)

٦ ـ ويأتي بمعنى العهد (٥) كقوله تعالى : ﴿ وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى الأمر ﴾ (٦) فالأمر والخلق ، والحكم والفصل ، والإرادة والعهد ، والتقدير والتحديد كلها تدل على حسم الأمر وإنجازه قولاً وفعلاً .

---

(١) سورة الأنعام آية ٢

(٢) المفردات في غريب القرآن ص٤٠٦

(٣) سورة مريم آية ٢١

(٤) القضاء والقدر في الإسلام ١: ٣٤٨،٣٤٩

(٥) فتح القدير ج٤ ص ٧٧٥

(٦) سورة القصص آية ٤٤

القدر في اللغـــــــة :

مبلغ كل شيء يقال : قــدرُهُ كذا ، أي مبلغه وكذلك القدر ، وقَدَرتُ الشــيء أَقدُرُهُ ، وأقدره مـن التقدير ، وقدرتـه أقـدره ، والقـدر : قضـاء اللـه تعـالى الأشياء على مبالغها ونهايتها التي أرادها لها (١)

والقَدَر و (القدْر) ما يقدره الله من القضاء (٢) ويقال : مالى عليه مقدرة ـ بكسر الدال وفتحها ـ أي (قُدرة) . ومنه قولهم (المقِدَرة تُذهبُ الحفيظة) . ورجل ذو مَقدُرة بالضم أي ذو يسار .

(وقَدَر) الشيء أي قــدَّره مــن التقدير وبابه ضرب ونصر وفي الحديث (إذا غم عليكم الهلال فاقدروا له) (٣) أي أتموا ثلاثين .

وقدر الرزق يقدره قسمه ، وقدر القوم أمرهم يقدرونه قدراً ـ دبروه ـ قيـل : بمعنى على الموسع قدره ، أي طاقته ، وقدرت الشيء هيــأته ، وقـدْرُ كـل شيء ومقداره مبلغــه ، وقولـه :﴿ ومـا قـدروا اللـه حـق قـدْره ﴾ (٤) أي مـا عظموا الله حق تعظيمه (٥)

والمقدار اسم القدر ، إذا بلغ العبد المقدار مات (٦)

وقَدَر على عياله مثل قتر ومنه قوله تعالى :﴿ ومن قُدِرَ عليـه رزقـه ﴾(٧) ويقال (استقدر) الله خيراً و(تقدر) له الشيء أي تهيأ و(الاقتدار) علــى الشيء القدرة عليه (٨) و(قَدَرت) عليه الثوب فانقدر أي جاء على المقدار.

---

(١) مقاييس اللغة مادة (قدر) ولسان العرب باب الراء فصل القاف (٥) لسان العرب باب الراء فصل القاف

(٢) مختار الصحاح باب القاف (٦) لسان العرب باب الراء فصل القاف

(٣) فتح الباري جـ٤ ص١٤٣ (٧) سورة الطلاق آية ٦

(٤) سـورة الزمـر آيـة ٦٦ (٨) مختـار الصحـاح بـاب القـاف

القدر في الإصطـــــلاح :

ماسبق به العلم وجرى به القلم مما هو كائن إلى الأبد وأنـه عز وجل قدر مقادير الخلائق ، وما يكون من الأشياء قبل أن تكون في الأزل ، وعلم سبحانه أنها ستقع في أوقات معلومة عنده تعالى ، وعلى صفات مخصوصة فهي تقع حسب ماقدر لها (١) وقال ابن حجر في تعريفه :" المراد أن اللـه - تعالى - علم مقادير الأشياء وأزمانها قبل إيجادها ، ثم أوجد ماسبق في علمه أنه يوجد ، فكل محدث صادر عن علمه وقدرته وإرادته " (٢)

معنى القدر في القرآن الكريم :

هو تقدير كل شيء تقديراً مسبقاً على خلقه وحدوثه ، أي تحديده ، ماهيـة ، وخاصية ، وصفة ، كماً وكيفاً ، زماناً ومكاناً كذلك .

فدليل تقدير الخلق قوله تعالى : ﴿الذي له ملك السموات والأرض ولم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك وخلق كل شيء فقدره تقديراً ﴾ (٣)

ودليل تقدير الكم والكيف للمخلوق قولـــه : ﴿ وكل شيء عنده بمقدار ﴾(٤)

ودليل تقدير الماهية والخاصية قوله : ﴿ إنا كل شيء خلقناه بقدر ﴾ (٥)

ودليل تقدير المخلوقات زماناً وأجلاً قوله تعالى : ﴿ ولكل أمة أجل فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ﴾ (٦)

---

(١) لوامع الأنوار البهية للسفاريني طبعة قطر جـ ١ ص٣٤٨ وانظر شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية شرح د : صالح الفوزان الطبعة الخامسة الرياض ص١٦٢وشرح العقيدة الطحاوية للعلامة ابن أبي العز الحنفي تحقيق جماعة من العلماء طبعة المكتب الإسلامي ص١٣٦

(٢) فتح الباري ١/ ١١٨ (٣) سورة الفرقان آية : ٢ (٤) سورة الرعد آية ٨

(٥) سورة القمر آية : ٤٩ (٦) سورة الأعراف آية : ٣٤

والقضاء والقدر أصل من أصول الإيمـان التـي يجـب علـى المسـلم الإقـرار والتصديق بهـا حتـى يصـح إيمانـه ، وقـد أجمـع سـلف الأمـة علـى وجـوب الإيمان بالقضاء والقدر ، خيره وشره حلوه ومره ، والاعتقاد الجازم أنـــه لا يكون شيء إلا بإرادة الله سبحانه وتعالى وقضائـه وقـدره ولا يجـرى فـي ملكه شيء إلا بمشيئته خلق من شاء للسعادة والفلاح واستعمله بها فضـلاً ، وخلق من أراد للشقاء واستعمله بـه عـدلاً (١) فـالقدر سـر مـن أسـرار اللـه استأثر به ، وحجبه عمن سواه فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه عنه علي بن أبي طالب رضي الله عنـه (مـا منكـم مـن أحـد إلا وقـد كتب مقعده من النار ، أو من الجنة فقام رجل من القوم : ألانتكل يا رسول الله ؟ قال لا،اعملوا فكل ميسرثم قرأ ﴿ فأما من أعطى واتقى ﴾(٢)

وهذا الحديث يبين أن قضاء الله وقدره سابق علـى كـل شـيء وشـامل لكـل شيء ، وما يصيب المرء لم يكن ليخطـأه ، ومـا أخطـأه لـم يكـن ليصيبـه . قـال تعالى ﴿ ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير ﴾ (٣) وعن ابن عباس رضـي الله عنهما قال : كنت خلف رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يومـاً فقـــال : (ياغلام إني أعلمك كلمات : احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجـاهك ، إذا سألت فسأل اللـــــه ، وإذا استعنت فاستعن بالله ،

---

(١) عقيدة الحافظ تقي الدين بن عبد الواحد المقدسي ـ مطابع الفرزدق الرياض ط١ ١٤١١ ص٧٧

(٢) رواه البخاري عن علي رضي الله عنه في الصحيح كتاب القدر حديث رقم ٦٦٠٥ والآية هـي الآيـة رقم ٥ من سورة الليل

(٣) سورة الحديد آية ٢٢

والقضاء والقدر أصل من أصول الإيمان التي يجب على المسلم الإقرار والتصديق بها حتى يصح إيمانه ، وقد أجمع سلف الأمة على وجوب الإيمان بالقضاء والقدر ، خيره وشره حلوه ومره ، والاعتقاد الجازم أنه لا يكون شيء إلا بإرادة الله سبحانه وتعالى وقضائه وقدره ولا يجرى في ملكه شيء إلا بمشيئته خلق من شاء للسعادة والفلاح واستعمله بها فضلاً ، وخلق من أراد للشقاء واستعمله به عدلاً (١) فالقدر سر من أسرار الله استأثر به ، وحجبه عمن سواه فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه عنه علي بن أبي طالب رضي الله عنه (ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من النار ، أو من الجنة فقام رجل من القوم : ألانتكل يا رسول الله ؟ قال لا،اعملوا فكل ميسرثم قرأ ﴿ فأما من أعطى واتقى ﴾(٢)

وهذا الحديث يبين أن قضاء الله وقدره سابق على كل شيء وشامل لكل شيء ، وما يصيب المرء لم يكن ليخطأه ، وما أخطأه لم يكن ليصيبه . قال تعالى ﴿ ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير ﴾ (٣) وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كنت خلف رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يوماً فقال : (ياغلام إني أعلمك كلمات : احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، إذا سألت فسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ،

---

(١) عقيدة الحافظ تقي الدين بن عبد الواحد المقدسي ـ مطابع الفرزدق الرياض ط١ ١٤١١ ص٧٧

(٢) رواه البخاري عن علي رضي الله عنه في الصحيح كتاب القدر حديث رقم ٦٦٠٥ والأية هي الأية رقم ٥ من سورة الليل

(٣) سورة الحديد آية ٢٢

واعلم أن الأمة لو اجتمعت علـى أن ينفعوك بشئ لـم ينفعوك إلا بشـئ قـد كتبه الله لك ولو اجتمعوا على أن يضروك بشـئ لـم يضـروك إلا بشـئ قـد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف) (١) وإيمان المؤمن بالقضـاء والقدر لا يقعده عن العمل والسعي وراء طلب الرزق .

قال تعالى : ﴿ فامشـوا فـي مناكبهـا وكلـوا مـن رزقـه وإليـه النشـور ﴾ (٢) وقال تعالى : ﴿ فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضـل الله واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون ﴾ (٣) فهذه الآيات أمر من الله بالسعي والعمل طلباً للرزق فمن سعى واستجاب لأمر الله أطمأن قلبه ورضى بحكم الله تعالى لأنه حق وعدل وهذا على النقيض ممن أسـاءوا فهـم هذه العقيـدة على حقيقتها كما أراد الله فأنزلقوا في متاهات خطيرة وخرجوا بأقوالهم عن ملة الإسلام وأصبحوا يحتجون بالقضاء والقدر علـى كـل مـا يرتكبونـه مـن المعاصي والآثام ، وهذا الفهم الخاطيء لتلك العقيدة العظيمة جعلهـا تتحـول بالنسـبة لهـم مـن نعمـة عظيمـة إلـى نقمـة كبـيرة .

---

(١) حديث حسن صحيح رواة الترمذي في السنن أبواب صفة القيامة حديث رقم ٢٥١٨ و انظر العقيـدة الطحاوية ص٢٦٦ وكتاب السنة لابن أبي عاصم الشيباني حديث رقم ٣١٦

(٢) سورة الملك آية ١٥

(٣) سورة الجمعة آية ١٠

وقد حدث التطور البارز في قضية القضاء والقدر وأخذت أبعاداً جديدة في زمن المتأخرين من الصحابة فكان خلاف القدرية في القدر والاستطاعة من معبد الجهني (١) وغيلان الدمشقي (٢) والجعد بن درهم (*)، وتبرأ منهم الصحابة (٣) المعاصرون لهم وأوصوا أخلافهم بأن لا يسلموا على القدرية ، ولايصلوا على جنائزهم ولا يعودوا مرضاهم لشناعة جرمهم ولمخالفتهم لقول الله سبحانه ورسوله الكريم صلى الله عليه وسلم فقد ورد أن النبي صلى الله عليه وسلم سمع جمعاً من الصحابة يتباحثون في القدر فخرج مغاضباً قد أحمر وجهه يرميهم بالتراب ويقول : (مهلاً يا قوم ! بهذا أهلكت الأمم من قبلكم ، باختلافهم على أنبيائهم ، وضربهم الكتب بعضها ببعض ، إن القرآن لم ينزل يكذب بعضه بعضاً ؛ بل يصدق بعضه بعضاً فما عرفتم فاعملوا به وما جهلتم منه فردوه إلى عالمه) (٤)

وقوله عليه السلام لمن اختصموا في القدر من الصحابة بعد أن غضب غضباً شديداً (بهذا أمرتم أو لهذا خلقتم ؟ تضربون القرآن بعضه ببعض؟ بهذا هلكت الأمم قبلكم) (٥) وفيما يلي بيان هذه القضية :

---

(١) معبد بن خالد الجهني القدري ويقال إنه ابن عبد الله بن عكم ويقال اسم جده عويمر أول من أظهر القدر بالبصرة قتل سنة ثمانين هجرية (تقريب التهذيب للحافظ بن حجر طبعة دار العاصمة الترجمة رقم ٦٨٢٥)

(٢)هو أبو مروان غيلان بن مسلم أخذ القول في القدر عن معبد بن خالد الجهني وفي عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز جاء به واستتابه ، ثم قتله هشام بن عبد الملك بن مروان (انظر الملل والنحل ص٤٧)

(*) انظر ترجمتة ص ١٩٢

(٣) منهم عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما وجابر بن عبد الله وأبي هريرة وابن عباس وأنس بن مالك وعبد الله بن أبي أوفى وعقبه بن عامر الجهني (انظر الفرق بين الفرق للبغدادي ص١٩)

(٤) صحيح أخرجه البغوي في شرح السنة طبعة المكتب الإسلامي برقم (١٢١)

(٥) صحيح رواه ابن ماجة في السنن ـ المقدمة ـ باب في القدر حديث رقم ٨٥

حكم الإيمان بالقضاء والقـــــدر : .

الإيمان بالقضاء والقدر واجب على كل مسلم ، لأنه ركن من أركان الإيمان الستة ، وأصل من أصول أهل السنة والجماعة فوجب على كل مسلم مكلف عاقل بالغ الإيمان بالله ، وبملائكته وكتبه ورسله ، واليوم الآخر ، والإيمان بالقدر خيره وشره .

ويتضمن الإيمان بالقدر الإقرار والتصديق أن الله سبحانه وتعالى علم مقادير الأشياء وأزمانها قبل وجودها ، ثم كتبها في اللوح المحفوظ ، ثم أوجدها بقدرته ومشيئته في مواعيدها المقدرة . فكل محدث من خير أو شر صادر عن علمه وتقديره ومشيئته وإرادته ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن(١) ودليل ذلك حديث جبرائيل عليه السلام وسؤاله للنبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان ، فقال (٠٠٠أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره ٠٠٠) (٢) فهذه الأصول التي اتفقت عليها الانبياء والرسل صلوات الله عليهم وسلامه ولم يؤمن بها حقيقة الإيمان إلا أتباع الرسل عليهم السلام . ومن لم يتبع الرسل عليهم السلام ولم يقف عند حدود ما أبانوا وأوضحوا فقد ضل سواء السبيل وانحرف عن الصراط المستقيم نسأل الله لهم الهداية والتفقه في الدين

---

(١) انظر شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية تأليف د / صالح فوزان الفوزان ط٥ الرياض المملكة العربية السعودية ١٤١١ ص١٢

(٢) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .البخاري في الصحيح كتاب الإيمان حديث رقم ٥٠ ومسلم في الصحيح كتاب الإيمان حديث رقم ٨ واللفظ له ٠

مراتب القضاء والقـــــــدر :

يتضمن الإيمان بالقضاء والقدر أربع مراتب (١) حددها علماء الأمة واستنبطوها من الأدلة الشرعية وهي كما يلي : -

المرتبة الأولى : الإيمان بعلم الله الأزلي بكل شيء قبل وجوده ، ومن ذلك علمه بأعمال العباد قبل أن يعملوها ، وعلمه الشامل للكليات والجزئيات وإحاطة علمه بكل شيء أزلاً وأبداً ومن ذلك علمه بأعمال الخلق من الطاعات والمعاصي وعلمه بأحوالهم من الأرزاق والآجال وغيرها .
ودليل هذه المرتبة قوله تعالى : ﴿ ألم تعلم أن الله يعلم مافي السماء والأرض إن ذلك في كتاب إن ذلك على الله يسير ﴾ (٢) وقوله تعالى ﴿ ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير﴾ (٣)

---

(١) انظر في ذلك شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل لابن قيم الجوزية دار التراث القاهرة ص ٣٦ وشرح العقيدة الطحاوية للعلامة ابن أبي العز حققها جماعة من العلماء خرج أحاديثها محمد ناصر الدين الألباني المكتب الإسلامي ط٩ ص٢٧٢ وشرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية تأليف الدكتور - صالح فوزان الفوزان ط٥ الرياض ١٤١١ ص ١٦٤ والإرشاد إلى صحيح الإعتقاد د / صالح فوزان الفوزان الرياض ١٤١٢ جـ٢ ص٢٧١

(٢) سورة الحج آية ٧٠

(٣) سورة الحديد آية ٢٢

المرتبة الثانية : مرتبة الكتابة وهي أن الله كتب في اللوح المحفوظ مقادير الخلق كلها فما يحدث من شيء في هذا الكون إلا وقد علمه الله علماً مفصلاً ومجملاً وكتبه قبل حدوثه وقبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة.ودليله حديث الرسول صلى الله عليه وسلم الذي رواه

عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (قدر الله تعالى مقادير الخلق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء) (١)

---

(١) صحيح مسلم ورواه أحمد في مسنده والترمذي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما وقال حديث صحيح (فيض القدير حديث رقم ٦١٠٥)

المرتبة الثالثة : الإيمان بمشيئة الله سبحانه الشاملة والمحيطة بكل حادث وقدرته التامة والمطلقة عليه : فلا يخرج شيء عن مشيئته ولا يحدث حادث من غير إرادته ، وأنه ما في السماوات وما في الأرض من حركة ولا سكون إلا بمشيئة الله سبحانه وتعالى فما من مخلوق في الأرض ولا في السماء إلا وهو تحت مشيئة الله خاضع لها لا يخرج عنها بأي حال من الأحوال . ودليل هذه المرتبة قوله تعالى : ﴿ وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين ﴾ (١) وقوله سبحانه:﴿ ...إن الله يفعل ما يريد ﴾الأية (٢)

المرتبة الرابعة : الإيمان بإيجاد الله لكل المخلوقات وأنه الخالق وحده ، وما سواه مخلوق ، فلا يوجد حادث إلا والله له محدث ولا يوجد مخلوق إلا والله له خالق فكل الممكنات خرجت للوجود بإيجاده لها سبحانه

ودليل هذه المرتبة قوله تعالى : ﴿ ...الله خالق كل شيء ... ﴾الأية (٣) وقوله تعالى ﴿ والله خلقكم وما تعملون ﴾ (٤)

هذه هي مراتب القضاء والقدر وهذا ما عليه أهل السنة والجماعة وسلف هذه الأمة الذين فهموا هذه المسألة فهماً صحيحاً موافقاً لما جاء في كتاب الله وسنة رسوله عليه السلام، فلم يضلوا أو تنحرف بهم السبل عن الصراط المستقيم .

---

(١) سورة التكوير آية ٢٩

(٢) سورة الحج جزء من الآية ١٤ وتمامها ﴿ إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار إن الله يفعل ما يريد ﴾

(٣) سورة الرعد جزء من الآية ١٦ وتمامها ﴿ قل من رب السموات والأرض قل الله قل أفاتخذتم من دونه أولياء لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً قل هل يستوي الأعمى والبصير أم هل تستوي الظلمات والنور أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار ﴾

(٤) سورة الصافات آية ٩٦

أنواع القضاء والقـــــــــدر : ـ

وكما أن للقضاء والقدر مراتب فله أيضاً أنواع ، فهو يتكون من نوعين رئيسين ثم يتفرع أحدهما إلى عدة فروع وبيان ذلك فيما يلي :

النوع الأول : تقدير عام شامل لكل كائن وهو المكتوب في اللوح المحفوظ ، فقد كتب الله فيه مقادير كل شيء إلى أن تقوم الساعة ، كما جاء في الحديث الشريف عن الرســـول ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال: (إن أول ما خلق الله القلم فقال له: اكتب ، قال رب وماذا أكتب ؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة) (١) وهذا التقدير يعم ويشمل جميع المخلوقات والكائنات من بدء الخلق أزلاً ويبقى أبداً .

النوع الثاني : تقدير مفصل للتقدير العام وهو أنواع :

النوع الأول : التقدير العمري ، وهو ما يُكتب للجنين ، وهو في بطن أمه من كتابة أجله ، ورزقه ، وعمله ، وشقاوته أو سعادته ، ودليله حديث الرسول الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (إن أحدكم يُجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً ، ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يبعث الله ملكاً يؤمر بأربع كلمات ؛ ويقال له اكتب عمله ورزقه وشقي أو سعيد ثم ينفخ فيه الروح فإن الرجل منكم ليعمل حتى ما يكون بينه بين الجنة إلا ذراع ، فيسبق عليه كتابه يعمل بعمل أهل النار ويعمل حتى ما

---

(١) حديث صحيح رواه أبو داود في السنن كتاب السنة حديث رقم ٤٧٠٠ وانظر سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني حديث رقم ١٣٣

مايكون بينه وبين النار إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة) (١)

النوع الثاني : التقدير الحولي وهو مايقدر من حوادث العام ووقائعه ويكون ذلك في ليلة القدر المباركة ، ودليله ما قاله سبحانه وتعالى في محكم التنزيل ﴿ فيها يفرق كل أمر حكيم ﴾ (٢)

النوع الثالث : التقدير اليومي (٣) وهو ما يقدر من حوادث اليوم من حياة وموت ، وعز وذل ، وفرح وحزن ، وغير ذلك من الحوادث اليومية كما في قوله تعالى:﴿ يسأله من في السموات والأرض كل يوم هو في شأن﴾ (٤)

وبهذا تنتهي أنواع التقدير وهي شاملة لكل الحوادث والمراحل وفي كل الأحوال والأوقات ، فلا يخرج الكائن من مرحلة إلا ويدخل في الأخرى ، وهكذا تستمر الحال .

---

(١) متفق عليه (أخرجه البخاري في الصحيح كتاب بدء الخلق باب ذكر الملائكة حديث رقم (٣٢٠٨) ومسلم في الصحيح كتاب القدر حديث رقم (١٣٤٧) واللفظ للبخاري).

(٢) سورة الدخان آية ٤

(٣) انظر الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد د / صالح الفوزان جـ ٢ ص ٢٧٢

(٤) سورة الرحمن آية ٢٩

من ثمرات الإيمان بالقضاء والقدر :

الثمرة الأولى :

إن من أعظم ثمرات الإيمان بالقضاء والقدر صحة إيمان الإنسان بتكامل أركانه ؛ لأن الإيمان بذلك من أركان الإيمان الستة .

الثمرة الثانية :

الفوز بالرضا والقبول من الله سبحانه ؛ لأنه امتثل لأمره واجتنب نهيه .

الثمرة الثالثة :

اتباع طريق الحق والصواب المنجي من المهالك والمزالق كما كان عليه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وصحابته ـ رضي الله عنهم ـ وسلف هذه الأمة .

الثمرة الرابعة :

طمأنينة القلب وارتياحه ، وعدم القلق في هذه الدنيا عندما يتعرض الإنسان لمشاق الحياة وصعوباتها ؛ لأن عدته قوية وسلاحه حاسم .

الثمرة الخامسة :

الثبات عند مواجهة الأزمات ، ورسوخ اليقين ؛ لأنه يعلم أن هذه الحياة دار ابتلاء واختبار وتقلب مستمر .

الثمرة السادسة :

ومن ثمرات الإيمان بالقضاء والقدر تسلية النفس عندما تتعرض لخسارة جسيمة أو فقد عزيز ؛ لأن الحوادث كلها بقضاء الله وقدره ، وعدله وحكمته .

مذاهب بعض الفرق في القضاء والقدر :

أ ـ الجبرية الخالصة :

الجبر هو نفي الفعل حقيقة عن العبد وإضافته إلى الرب تعالى ، والجبرية الخالصة هم أتباع الجعد بن درهم (١) والجهم بن صفوان الراسبي (٢) الذي ثار على الدولة الأموية فقتله والي (٣) الأمويين بخرسان ، وقد نفى الجهم بن صفوان القدرة الإنسانية والاستطاعة كلياً ، ففي رأيه أنه ليس للإنسان أي قدرة أو إرادة أو إختيار ؛ بل هو مجبر على أفعاله ، وليس له حرية الفعل أو الترك ، والله يخلق فيه الأفعال كما يخلقها في الحيوان والجماد ونسبتها إلى الإنسان على سبيل المجاز كما تنسب إلى الجمادات والنباتات ، فتقول : تغذى النبات وتحرك الحجر ، والثواب والعقاب جبر والتكاليف الشرعية كلها جبر (٤) فالجهم بن صفوان ومن اعتنق مذهبه ينفون أن يكون للعبد فعلاً أو أن تكون له قدرة على الفعل أصلاً ، فهو مجبر على كل شيء فليس له الخيار ألبتة في فعل أو ترك (٥) فهؤلاء يقولون بإلغاء

---

(١) هو الجعد بن درهم من الموالي مبتدع له أخبار في الزندقة سكن الجزيرة الفراتية وأخذ عنه مروان بن محمد قتل في العراق يوم النحر قتله أمير العراق خالد القسري سنة ١٢٤هـ لزندقته وإلحاده وهو أول من ابتدع القول بخلق القرآن وتعطيل الله عن صفاته (انظر الأعلام للزركلي جـ١٠ ص٢٢٤ والملل والنحل ص ٨٦)

(٢) هو الجهم بن صفوان السمرقندي الراسبي جبري خالص ظهرت بدعته في ترمذ فقتله أسلم بن أحوز أواخر ملك بني أمية وإليه تنسب فرق الجهمية (انظر مقالات الإسلاميين للأشعري جـ١ ص ٢٢٤ والانتصاروالرد على ابن الروندي الملحد لأبي الحسن المعتزلي ص ٨٠ والبداية والنهاية لابن كثير جـ١٠ ص٢٧)

(٣) هو أسلم بن أحوز المازني والي خرسان في عهد الأمويين

(٤) الملل والنحل للشهرستاني ص ٨٦

(٥) انظر تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام للدكتور محمد علي أبو ريان دار النهضة العربية بيروت ص ١٤٦

الحرية الإنسانيــــــة بشكل كامل وأنه لا اختيار للعبد في أفعاله ، ولا قدرة له في ذلك ، وقد استدلوا على مذهبهم بالآيات التي تسند الفعل إلى الله ـ سبحانه وتعالى ـ مثل قوله تعالى: ﴿... فعال لما يريد ﴾الأية (١) وقوله تعالى ﴿ ... يضل من يشاء ويهدي من يشاء ...﴾ الأية (٢)

ب ـ القدرية الخالصة : (٣)

ذهبت القدرية إلى أن العباد خالقون لأفعالهم ، وكل حيوان محدث لأعماله ، ليس لله في شيء من أعمال الحيوانات صنع ، وذكروا أن الله عز وجل غير قادر على مقدور غيره ـ تعالى الله عما يقولون ـ وإن كان هو الذي أقدر القادرين على مقدراتهم (٤) وأن أفعال العباد غير مخلوقة فيهم ، وأنهم المحدثون لها (٥) وهم بذلك يميلون إلى القول بالحرية المطلقة للإنسان تحقيقاً لمعنى العدل الإلهي ، لأنه ـ حسب زعمهم ـ لو لم يكن العبد مختاراً لأفعاله ، ومحدثاً لها لما كان هناك معنى للثواب والعقاب والتكاليف الشرعية ، وإن من قال أن الله سبحانه خالق أفعال العباد ومحدثها فقد عظم خطؤه وأحالـــوا حدوث فعل من فاعلين (٦)

---

(١) سورة هود جزء من آية ١٠٧

(٢) سورة فاطر جزء من آية ٨

(٣) عرف القائلون بحرية الإرادة والإختيار باسم (القدرية) من قبيل الاشتقاق من الضد ، فهم سموا قدرية لأنهم أنكروا القدر الإلهي بمعنى أنهم أثبتوا للعبد قدرة توجد الفعل بانفرادها واستقلالها دون الله تعالى والمعتزلة صاروا يسمون بالقدرية لأنهم أسندوا أفعال العباد إلى قدرتهم وأنكروا القدر فيها (انظر الملل والنحل ٤٣ ودراسات في الفرق والعقائد الإسلامية ص ٢٦٤)

(٤) أصول الدين للإمام أبي منصور عبد القاهر بن طاهر التميمي البغدادي ص ١٣٥

(٥) شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار أحمد الهمذاني مكتبة وهبة الطبعة الأولى ١٣٨٤هـ ص ٣٢٣

(٦) المغني في أبواب العدل والتوحيد للقاضي عبد الجبار أحمد الهمذاني دار الثقافة والإرشاد مطبعة الكتب ط١ ١٣٨٠هـ ج٨ ص٣

ومما دفعهم لسلوك هذا الاتجاه رؤيتهم للكون وأنه مليء بالشرور والآثام وأنواع المعاصي والمفاسد ، ولا يجوز - من وجهة نظرهم - أن تكون هذه الأشياء مرادة لله تعالى ، ولا مخلوقة له ؛ لأنه لو كان خالقها لكان متصفاً بها ، والله لا يتصف بالظلم والشر ؛ لأنه منزه عن ذلك واستدلوا على ذلك بالأدلة التي تسند الفعل للعبد كقوله تعالى :﴿ إنما تجزون ما كنتم تعملون ﴾ (١) وقوله تعالى : ﴿ اعملوا ما شئتم ﴾ (٢) وهم بهذا أرادوا أن يثبتوا العدل الألهي والحكمة المقصودة من الثواب والعقاب ، والأمر والنهي ولكنهم في سبيل ذلك هدموا أهم قواعد الدين فأنكروا بذلك القضاء والتقدير الأزلي ، وأنكروا أن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وعلى مذهبهم هذا يلزمهم أن يقع في ملك الله سبحانه ما لا يريده ولا يرضاه (٣) وهذا بلا شك اعتقاد فاسد وباطل وكل مايبنى عليه باطل مثله وحاولوا الفرار مما وقعت به الجبرية فوقعوا بمثل ما وقعوا به إن لم يكن أشر منه لأنهم اعتمدوا على جانب واحد من الأدلة الشرعية فأصبحوا على طرفي نقيض .

جـ - الأشاعرة (٤)

وقف الجبرية والقدرية على طرفي نقيض ؛ لأن كل طرف منهما تطرف

---

(١) سورة التحريم آية ٧

(٢) سورة فصلت آية ٤٠

(٣) الإمام ابن تيمية وموقفه من التأويل محمد السيد الجلنيد ص ٤١٩ "بتصرف"

(٤) أصحاب أبي الحسن علي بن اسماعيل الأشعري ؛ المنتسب إلى أبي موسى الأشعري ولهم آراء كلامية ومن شخصياتهم : أبو بكرالباقلاني وعبد القاهر البغدادي وأبو المعالي الجويني و الغزالي والشهرستاني انظر (في علم الكلام تأليف الدكتور أحمد محمود صبحي دار النهضة العربية ج٢)

في مقولاته تطرفاً خطيراً ، واعتمد على جانب واحد من الأدلة الشرعية والتي توافق ما يدور في أذهانهم من تصورات ، وتركوا الأدلة التي تعارض آراءهم وتصوراتهم ، وتكشف ضلالهم ، وإزاء موقف هؤلاء أراد الأشاعرة أن يكونوا وسطاً بينهما ، فذهبوا إلى القول بالكسب ؛ ويعنون بالكسب ؛ أن أفعال العباد ، فعل الله ، وليست للعبد ، ولكنها تسند إلى العبد لكسبه إياها ، فهي مكتسبة للعبد وليست فعلاً له ، وقالوا إن قدرة العبد لاتأثير لها في فعله ، ولافي صفة من صفاته ، وأن الله سبحانه أجرى العادة بخلق مقدور العباد ، مقارناً لقدرتهم ، فيكون الفعل مخلوقاً ومفعولاً لله وكسباً للعبد ، وفرقوا بين الكسب الذي قالوا به وبين الخلق والفعل بقولهم : (إن الكسب عبارة عن اقتران المقدور بالقدرة الحادثة ، والخلق عبارة عن اقتران المقدور بالقدرة القديمة) (١) ثم قالوا إن إرادة الله واحدة قديمة أزلية ، أراد من العباد ما علم وأمر القلم حتى كتب في اللوح المحفوظ ، فذلك قدره وقضاؤه وحكمه (٢) ولا يكون في الأرض شيئاً من خير ولا شر إلا ما شاء الله ، وأن الأشياء تكون بمشيئة الله وأن أحداً لا يستطيع أن يفعل شيئاً قبل أن يفعله الله ، ولا نستغني عن الله ولا نقدر على الخروج عن علم الله عز وجل وأنه لا خالق إلا الله (٣)

---

(١) الإمام ابن تيمية وموقفه من التأويل محمد السيد الجلنيد ص ٤٢٠ وانظر شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار ص ٢٢٣

(٢) الملل والنحل للشهرستاني ص ٩٦

(٣) الابانة عن أصول الديانة للإمام أبي الحسن علي بن اسماعيل الأشعري المطبعة المنيرية بالقاهرة ص٩

فبهذا يرى الأشاعرة أن العبد لا يقدر إلا على ما يقوم بذاته ، ولا يقدر على شيء منفصل عنه ، كما يرون أن الأفعال ، فعل الله تعالى وليست أفعالاً للعباد ، بل هي كسب لهم ، وقدرة العبد لا تأثير لها في حدوث مقدورها ولا في صفة من صفاته ، والله عز وجل أجرى العادة بخلق مقدورها مقارناً لها ، فيكون الفعل خلقاً من الله إبداعاً وإحداثاً ، وكسباً من العبد (١)

لقد حاول الأشاعرة تجنب ما وقع به الجبرية والقدرية من أخطاء في مسألة القدر وحاولوا التوسط بين الفريقين ، إلا أنهم لم يوفقوا في ذلك فهم وإن قالوا أن أفعال العباد خلق لله إلا انهم ألمحوا أن هناك جبراً خفياً لأنهم لم يقروا أن العبد قادر على فعله ومستطيع له بل قالوا : إنه كسب له وهذا لا معنى له (٢) ولا طائل تحته .

---

(١) انظر شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل لابن قيم الجوزية ص١١٢

(٢) شفاء العليل ص ١١٠

٤ = الصوفيـــــــــة :

يرى الصوفية أن الله تعالى خالق لأفعال العباد كلها ، كما أنه خالق لأعيانهم ، وأن كل ما يفعلونه من خير وشر فبقضاء الله وقدره وإرادته ومشيئته ، واستدلوا بقوله تعالى: ﴿...قل الله خالق كل شيء ...﴾الأية (١) وقوله تعالى : ﴿ إنا كل شيء خلقناه بقدر ﴾ (٢) ويرون أنهم لا يتنفسون نفساً ولا يطرفون طرفه عين ولا يتحركون حركة إلا بقوة يحدثها الله تعالى فيهم واستطاعه يخلقها لهم ، و أن لهم أفعالاً واكتساباً على الحقيقة هم بها مثابون وعليها معاقبون ، ولذلك جاء الأمر والنهي وعليه ورد الوعد والوعيد (٣) ويقولون أنهم مختارون لاكتسابهم مريدون له ، وليسوا بمحمولين عليه ولا مجبرين فيه ، ولا مستكرهين له ، قال سهل بن عبد الله التستري (إن الله تعالى لم يقوِّ الأبرار بالجبر ، إنما قواهم باليقين)
وقال بعض الصوفية (من لم يؤمن بالقدر فقد كفر ، ومن أحال المعاصي على الله فقد فجر) (٤)
ويتبين لنا من هذا أن من اعتقد ذلك من الصوفية قولاً وعملاً واعتقاداً فهو على مذهب أهل السنة والجماعة في هذه المسألة لأنهم أثبتوا قدرة الله سبحانه وتعالى ومشيئته وأنه خالق كل شيء ومليكه وخالق أفعال العباد

---

(١) سورة الرعد آية ١٦

(٢) سورة القمر آية ٤٩

(٣) انظر التعرف لمذهب أهل التصوف للكلاباذي ص ٤٨ وما بعدها

(٤) انظر التعرف لمذهب أهل التصوف للكلاباذي ص ٥٢

كما هو خالق لأعيانهم وأن العباد فاعلون لأفعالهم حقيقة وغير مكرهين ولا مجبورين عليها وأنهم مثابون على الخير ومعاقبون علـى الشر بفضـل اللـه ورحمته وعدله ولكن مع ذلك فيهم من فيه نوع بدع مع إعراض عن بعض الأمر والنهي والوعـد والوعيـد حتـى يجعـل بعض مبتدعهم أن الغايـة هـي مشـاهدة توحيد الربوبيـة والفنـاء فـي ذلـك ويصـيرون معـتزلين لجماعـة المسلمين وسنتهم (١) وقد كثر هؤلاء فيمن يدعي الحقيقة من المتصوفة (٢)

هذا باختصار موقف بعض الفرق من القدر ، فمنهم مـن زل وضـل ومنهـم من لديه بعض الانحرافات نتيجة لعدم تقيدهم بما نص عليه الشرع المطهـر وخصوصاً في هذه المسألة •

---

(٢) انظر الرسالة التدمرية مجمل اعتقاد السلف لشيخ الإسلام ابن تيمية طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ص ١٤٤

(٣) الرسالة التدمرية ابن تيمية ص ١٣٠

من أسباب ضلال بعض الفرق في مسألة القضاء والقدر :

أهل الضلال الخائضون في القدر انقسموا إلى ثلاث فرق : مجوسية ، ومشركية ، وإبليسية .

الفرقة الأولى : المجوسية - الذين كذبوا بقدر الله وإن آمنوا بأمره ونهيه ، فغلاتهم أنكروا العلم والكتاب ، ومقتصدوهم أنكروا عموم مشيئته وخلقه وقدرته وهؤلاء هم المعتزلة ومن وافقهم (١) ويسموا عموماً بالقدرية لنفيهم القدر الإلهي . (٢)

الفرقة الثانية : المشركية - الذين أقروا بالقضاء والقدر وأنكروا الأمر والنهي ، فمن أحتج على تعطيل الأمر والنهي بالقدر فهو من هؤلاء (٣) ، ويسموا عموماً بالجبرية لنفيهم قدرة العبد على الفعل والترك وحريته في اختيار الأفعال . (٤)

الفرقة الثالثة : الإبليسية - الذين أقروا بالأمرين ، ولكن جعلوا هذا متناقضاً من الرب سبحانه وتعالى وطعنوا في حكمته وعدله كما يذكر ذلك عن إبليس مقدمهم (٥)

---

(١) الرسالة التدمرية لشيخ الإسلام ابن تيمية ص ١٣

(٢) الملل والنحل للشهرستاني ص٤٣

(٣) الرسالة التدمرية ابن تيمية ص١٣

(٤) انظر الفرق بين الفرق للبغدادي ص١١٤

(٥) الرسالة التدمرية ابن تيمية ص١٣

وبعد أن بينت الفرق التي ضلت في القدر سأبين فيما يلي أسباب ضلالها وبالله التوفيق : -

السبب الأول : عدول هذه الفرق عن الصراط المستقيم ، الذي أمرنا الله باتباعه (١) ، قال تعالى : ﴿ وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ﴾ (٢) وقال تعالى :﴿ قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعن ﴾ (٣)

السبب الثاني : الأخذ بطرف الاستدلال ومحاولة ضرب القرآن بعضه ببعض فالجبرية استدلوا فقط بالأدلة التي تثبت الفعل لله سبحانه وتعالى كقوله جل وعلا: ﴿ فعّال لما يريد ﴾ (٤) وقوله سبحانه : ﴿ يضل من يشاء ويهدي من يشاء ﴾ (٥)
والقدرية استدلوا بالأدلة التي تثبت الفعل للعبد وحده كقوله - سبحانه -: ﴿ اعملوا ماشئتم ﴾ (٦) وقوله تعالى : ﴿ إنما تجزون ما كنتم تعملون ﴾ (٧)

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية ص ٥٢٠

(٢) سورة الأنعام آية ١٥٣

(٣) سورة يوسف آية ١٠٨

(٤) سورة هود آية ١٠٧

(٥) سورة فاطر آية ٨

(٦) سورة فصلت آية ٤٠

(٧) سورة التحريم آية ٧

فالجبرية والقدرية ومن ماثلهم مع كل طائفة خطأ وصواب ، وبعضهم أقرب إلى الخطأ ، وأدلة كل منهم وحججه إنما تنهض على بطلان خطأ الطائفة الأخرى لا على إبطال ما أصابوا فيه ، فكل دليل صحيح للجبرية إنما يدل على إثبات قدرة الرب تعالى ومشيئته وأنه لا خالق غيره وأنه على كل شيء قدير ، لا يستثني من هذا العموم فرد واحد من أفراد الممكنات ، وهذا حق ولكن ليس معهم دليل صحيح ينفي أن يكون العبد قادراً مريداً فاعلاً بمشيئته وقدرته وأنه هو الفاعل حقيقة وأفعاله قائمه به ، وكل دليل صحيح يقيمه القدرية فإنما يدل على أن أفعال العباد فعل لهم قائم بهم واقع بقدرتهم ومشيئتهم وإرادتهم وأنهم مختارون غير مضطرين ولا مجبورين ، وليس معهم دليل صحيح ينفي أن يكون الله سبحانه وتعالى قادراً على أفعالهم وهو الذي جعلهم فاعلين (١) فلو جمع كل فريق منهما أدلته إلى أدلة الفريق الآخر لأصابوا الحق وبعدوا عن طريق الضلال ، ولما لم يفعلوا ذلك فقد لزمهم ذلك الزاماً ، فإما أن يأخذوا الأدلة كاملة وإما أن يتركوها كاملة ؛ لأن ما يلزمهم بما أخذوه يلزمهم بما تركوه .

السبب الثالث : كان من ضمن الأسباب التي دعتهم إلى الإنحراف في مسألة القدر تنزيه الله عن فعل القبيح .

---

(١) انظر شفاء العليل لابن قيم الجوزية ص ١١٢

السبب الرابع : عدم التفرقة بين أنـواع الإرادة الإلهيـة ، فـإرادة اللـه تنقسـم إلى نوعين هما :

أ ـ إرادة قدرية كونية خلقية : وهي المشيئة الشاملة لجميع الموجـودات قـال تعالى : ﴿ فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضلـه يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصّعد في السماء ﴾ (١)
وهذه الإرادة هي المذكور في قول المسلمين : ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن .

ب ـ إرادة دينيـة أمريـة شـرعية وهـي المتضمنـة للمحبـة والرضـى قـال تعالى:﴿ يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ﴾ (٢)
وهي المذكورة في مثل قول الناس لمن يفعل القبائح ، هذا يفعل مـالا يريـده اللـه ولا يحبـه ، أي لا يحبـه ولا يرضـاه ولا يـأمر بـه . (٣) مـع أنـه شـاءه وأوجده سبحانه وتعالى ، فلو فُهم ذلك لما حدث أي ضلال في القدر .

---

(١) سورة الانعام آية ١٢٥

(٢) سورة البقرة آية ١٨٥

(٣) شرح العقيدة الطحاوية للعلامة ابن أبي العز الحنفي ص ١١٤

السبب الخامس : تأثر هذه الفرق بمذاهب الكفرة والملحدين من خلال اطلاعهم على كتبهم (١) أو مخالطتهم ·

السبب السادس : أن بعض من دخل الإسلام من الأمم الأخرى ضل محتفظاً بمذهبه وحاول بثه بين المسلمين إما جهلاً وإما لحاجة في نفسه(٢)

السبب السابع : اتخاذ القضاء والقدر حجة وذريعة لارتكاب المعاصي والآثام وتحقيق بعض الرغبات المنحرفة والمخالفة لشريعة الإسلام (٣).

السبب الثامن : سوء الفهم والخوض بغير دليل ولا برهان في مسألة القضاء والقدر ، فهناك من احتج بسابق القدر وقال : إنه قد مضى الأمر ، والشقي شقي ، والسعيد سعيد ، وأن ذلك مكتوب علينا ، وما لنا في الأفعال قدرة ، ولم يعلم هؤلاء أن الله علم الأمور وكتبها على ماهي عليه (٤) في الأزل ، ولا يؤدي هذا التقدير إلى الجبر بأي حال من الأحوال ؛ لأن الله ـ سبحانه ـ يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون ·

هذه أهم الأسباب التي جعلت من ضل في مسألة القضاء والقدر ينحرف عن الطريق القويم والصراط المستقيم نسأل الله الهداية والثبات إنه ولي ذلك .

---

(١) انظر شرح العقيدة الطحاوية ابن أبي العز الحنفي ص ٥٢٦

(٢) انظر الفرق بين الفرق للبغدادي ص ١٨ (الحاشية)

(٣) انظر فتاوى ابن تيمية جـ ٨ ص٢٦٨

(٤) نظر فتاوى ابن تيمية جـ ٨ ص٢٦٢و ٢٦٥

علاقة التوكل بالقضاء والقـــــــدر :

١ ـ العلاقة الأساسية بين القضاء والقدر والتوكل أنهما من أساسيات الدين وقد أمر الله ـ جل وعلا ـ ورسوله الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ بهما ٠

٢ ـ القضاء والقدر سابق للتوكل ، فإذا صح إيمان العبد بقضاء الله وقدرة وعدله وحكمته ، صح توكله على الله سبحانه ، وإذا لم يتم الإيمان بالقضاء والقدر السابق ، فإنه لا معنى للتوكل ولا يصح .

٣ ـ القدر أشمل وأعم من التوكل ، فالتوكل جزء من القضاء والقدر فمن قدر الله سبحانه وتعالى بعلمه الأزلي وعدله وحكمته أنه من المتوكلين فسيكون كذلك وإن لم يقدر الله له ذلك فلا يمكن أن يكون من المتوكلين .

٤ ـ القضاء والقدر والتوكل من المسائل الدينية التي لبس الشيطان على كثير من الناس فيهما ، وسلك بهم طريق الضلال ، حتى زلت أقدامهم وحَرّموا ما أحل الله وارتكبوا المعاصي ، وتركوا ما أحل الله وأباح .

٥ ـ القضاء والقدر والتوكل بينهما علاقة في كونهما جالبان للراحة والطمأنينة والسعادة وسلوك الصراط المستقيم للمؤمن وهما كذلك شقاء وهم وغم وضلال لمن لا يؤمن بهما .

٦ ـ التوكل داخل في الإرادة الدينية الأمرية الشرعية ؛ لأن العمل به مما يحبه الله ويرضاه ومما أمر الله به ،

والقضاء والقدر داخل في الإرادة القدرية الكونية الخلقية ؛لأن الله جل وعلا قد قدر جميع الموجودات والمخلوقات بإرادته ومشيئته الشاملة فكلاهما داخل في إرادة الله ومشيئته وأمره .

٧ ـ التوكل على الله سبحانه وتعالى والأخذ بالأسباب المعينة من أسباب دفع القدر لأن الله سبحانه أمر أن تُدفع السيئة وهي من قدره بالحسنة وهي من قدره وكذلك الجوع من قدره أمر برفعه بالأكل وهو سبب من الأسباب التي أمر بها عند التوكل (١) ، فالتوكل واتخاذ الأسباب يدفعان القضاء والقدر (٢) .

هذا ما استطعت التوصل إليه من علاقة بين التوكل والقضاء والقدر وعلاقة كل منهما بالآخر ، فمتى عرف العبد هذه العلاقة على الوجه الصحيح فاز برضا الله ومحبته وهدايته وإن خاض في ذلك على غير هدى زلت قدمه وأصبح من الهالكين نسأل الله الهداية والثبات .

---

(١) انظر مدارج السالكين ابن قيم الجوزية جـ١ ص ٢٢١

(٢) انظر مجموع فتاوي شيخ الإسلام ابن تيمية جـ ٨ ص ٥٤٠

المبحث الثاني : علاقة التوكل بالأخذ بالأسباب:ـ

الأسباب جمع سبب : ومنه سمى الحبل سبباً ، والطريق سبباً لإمكان التوصل بها إلى المقصود (١)

والسبب في اللغة ، عبارة عما يتوصل به إلى مقصود ما ، ولهذا نرى الفيروزابادي يقول : (٢)

" السبب ما يتوصل به إلى غيره " والسبب الحبل ويقول أيضاً : أسباب السماء مراتبها أو نواحيها وأبوابها

ويقول ابن منظور :

السبب كل شيء يتوصل به إلى غيره (٣) ، وقال السبب : الحبل وقال في معنى الأسباب في قوله تعالى : ﴿ وتقطعت بهم الأسباب ﴾ (٤) الوصل والمودات .

وخلاصة هذا : أن السبب يطلق على كل ما يتوصل به إلى مقصود ما (٥)

---

(١) الإحكام في أصول الأحكام الأمدي ١ / ١٢٧

(٢) القاموس المحيط باب الباء فصل السين

(٣) لسان العرب : باب الباء فصل السين

(٤) سورة البقرة آية ١٦٦

(٥) شرح المنار لابن مالك ١/٤٠٣ ٢/٨٩٨

أما تعريف السبب في الاصطلاح فهو :

عبارة عما يكون طريقاً للوصول إلى الحكم غير مؤثر فيه (١) ومن أمثلته: جعل زوال الشمس إمارة معرفة لوجوب الصلاة في قول الله: ﴿ وأقم الصلاة لدلوك الشمس ﴾ (٢) كما جعل طلوع هلال رمضان إمارة معرفة لوجوب صومه في وقوله تعالى :﴿ فمن شهد منكم الشهر فليصمه ﴾ (٣)
وإذا زاد اجتهاد الإنسان في تحصيل السبب كان حصول المقدور أدنى إليه
فالله سبحانه وتعالى قد يسر كل من خلقه لما خلقه له في الدنيا والآخرة فهو مهيأ له ، ميسر له ، فإذا علم العبد أن مصالح آخرته مرتبطة بالأسباب الموصلة إليها ، كان أشد إجتهاداً في فعلها من القيام بها منه في أسباب معاشه ومصالح دنياه (٤)
وقد حث سبحانه على الأخذ بالأسباب فقال : ﴿ فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى ﴾ (٥)
فلا يطمع العبد في ثمرة عمل دون أن يقدم الأسباب التي توصله إلى تلك الثمرة .

---

(١) التعريفات للجرجاني طبعة مكتبة لبنان ١٩٩٠م باب السين

(٢) سورة الإسراء آية ٧٨

(٣) سورة البقرة : آية ١٨٤

(٤) شفاء العليل لابن القيم ص ٥٦ – ٥٨

(٥) سورة الليل من آية ٥-١٠

الأخذ بالأسباب في القرآن الكريـــم :.

لا تكاد تخلو سورة من سور القرآن الكريم من ذكر الأسباب ذكراً صريحاً أو الإشارة إليها ، فقد جاء ذكر لفظ (الأسباب) صريحاً في أربعة مواضع من القرآن الكريم ؛

قال تعالى : ﴿ إذ تبرأ الذين اتُّبِعُوا من الذين اتَّبَعُوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب ﴾ (١)

كما جاء هذا اللفظ صريحاً في قوله تعالى : ﴿ أم لهم ملك السموات والأرض وما بينهما فليرتقوا في الأسباب ﴾ (٢) و جاء في قوله تعالـــى : ﴿ وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحاً لعلي أبلغ الأسباب ﴾ (٣) كما جاء لفظ (أسباب) في قوله تعالى : ﴿ أسباب السماوات فأطلع إلى إله موسى وإني لأظنه كاذباً وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل وما كيد فرعون إلا في تباب ﴾ (٤)

وكذلك ورد لفظ (بسبب) في القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ من كان يظن أن لن ينصره الله في الدنيا والآخرة فليمدد بسبب إلى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ ﴾ (٥)

وجاء لفظ (سبباً) خمس مرات في سورة الكهف

---

(١) سورة البقرة آية ١٦٦

(٢) سورة ص آية ١٠

(٣) سورة غافر الآية ٣٦

(٤) سورة غافر آية ٣٧

(٥) سورة الحج آية ١٥

في قوله تعالى : ﴿ إنا مكنا له في الأرض وأتيناه من كل شيء سبباً ﴾(١) وفي قوله تعالى :﴿ فأتبع سبباً ﴾ (٢) وجاء كذلك في قوله تعالى :﴿ ثم أتبع سبباً ﴾ (٣) وفي قوله تعالى : ﴿ ثم أتبع سبباً ﴾ (٤)

هذا ما ورد صريحاً في القرآن الكريم من ذكر الأسباب وأما ما ورد ذكره من الأسباب بصيغ مختلفة فكثير و اكتفى بإيراد بعض الأمثلة . والله المستعان :

فقد قال تعالى :﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون ﴾ (٥)

فهذه الآية الكريمة جاء فيها ذكر أكثر من سبب ، فالإعداد سبب من الأسباب والقوة سبب من الأسباب كذلك ، والخيل سبب من الأسباب أيضاً ، والإنفاق سبب من الأسباب وإرهاب العدو سبب من الأسباب وجاء ذكر الأسباب كذلك في قوله تعالى : ﴿ واتقوا الله ويعلمكم الله ﴾(٦) فالتقوى سبب من أسباب العلم وجاء ذكر الأسباب في قوله تعالى : ﴿ ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين ﴾ (٧) فالقرآن سبب من أسباب هداية المتقين . هذا والله أعلم .

(١،٢،٣،٤) سورة الكهف الأيات ٨٤،٨٥،٨٩،٩٢

(٥) سورة الانفال الآية ٦٠

(٦) سورة البقرة جزء من الآية ٢٨٢

(٧) سورة البقرة آية ٢

الأخذ بالأسباب في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم :

إن بعثة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وتشريف الله له بحمل رسالة الإسلام هي من أعظم وأهم الأسباب في هداية الثقلين إلى الهدى والصواب وقد اتخذ الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم من الأسباب ما يعينه على إبلاغ دين الله ودفع الأذى والضرر عنه صلى الله عليه وسلم وعن المسلمين فكل من يقدح في اتخاذ الأسباب مخالف لما جاء به أبو القاسم صلى الله عليه وسلم .

ويتضح ذلك بجلاء في هجرته صلى الله عليه وسلم فقد اتخذ من الأسباب ما يعينه على نجاح هذه الهجرة الكريمة على الرغم من كونها تمت بناء على أمر الله جل وعلا وهو حافظ رسوله من كل مكروه وأذى ، وقد أحكم الرسول صلى الله عليه وسلم خطة هجرته وأعد لكل أمر عدته ، وشأن المؤمن مع الأسباب المعتادة ، أن يقوم بها كأنها كل شيء في النجاح ثم يتوكل – بعد ذلك – على الله ؛ لأن كل شيء لا قيام له إلا بالله . فإذا استفرغ المرء جهوده في أداء واجبه فأخفق بعد ذلك ، فإن الله لا يلومه ، وكثيراً ما يرتب الإنسان مقدمات النصر ترتيباً حسناً ثم يجيء عون أعلى يجعل هذا النصر مضاعف الثمار وهجرة الرسول صلى الله عليه وسلم من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة جرت على هذا الغرار ، وقد جاءت ترتيبات الهجرة كما يلي :

١ = أذن صلى الله عليه وسلم لسائر المسلمين بالهجرة قبلة حتى يسلموا من أذى قريش .

٢ = اختياره الرفيق المناسب وهو أبو بكر الصديق رضي الله عنه .

٣ = التموية على الأعداد وتكليفه صلى الله عليه وسلم لعلي بن أبي طالب

لينام في فراشه .

٤ = إعداد الراحلة وتجهيزها قبل الرحلة الميمونة بأربعة أشهر (١)

٥ = اصطحاب عبد الله بن أريقط ليدله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر رضي الله عنه على الطريق وكان ماهراً خرتياً (*).

٦ = التموية على كفار قريش وذلك عندما بات في غار ثور ثلاث ليال.

٧ = إعداد الطعام اللازم لهذه الرحلة (٢)

٨ = تكليف عبد الله بن أبي بكر رضي الله عنه لينقل له صلى الله عليه وسلم أخبار مكة وهو في الغار صلى الله عليه وسلم .

٩ = اختيار من يمده صلى الله عليه وسلم وصاحبه بالطعام في الغار واختياره لهذه المهمة عامر بن فهيره .

١٠ = سلوكه صلى الله عليه وسلم طريق غير متوقع لكفار قريش (٣)

وكذلك فقد تجلى وبوضوح اتخاذ الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم الأسباب المعينة على النصر في معركة الأحزاب عندما أمر بحفر الخندق فكان هذا من أهم الأسباب بعد نصر الله التي حققت النصر للمسلمين (٤) . وكما تبين لنا فقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يتخذ لكل أمر عدته ومن الأسباب ما يعينه على نجاح مهمته وهو إمام المتوكلين .

---

(١) انظر فتح الباري في شرح صحيح البخاري جـ٥ ص٨٨

(*) الخريت : قال الاصمعي سمي خريتاً لأنه يهدي بمثل خرت الإبرة أي ثقبها (فتح الباري في شرح صحيح البخاري ١٥/ ٩٢)

(٢) انظر فتح الباري في شرح صحيح البخاري جـ٥ ص٩٠

(٣) انظر هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم وصاحبه في القرآن والسنة أحمد عبد الغني الجمل الوفاء للطباعة والنشر الطبعه الأولى ١٤٠٩هـ ص١٧٩ وانظر سيرة ابن هشام جـ٢ ص٤٨

(٤) المرجع السابق ص١٧٥

الأخذ بالأسباب في الــــــرزق:-

الأخذ بالأسباب لا يتنافى مع التوكل على الله جل وعلا بل هو واجب بنص القرآن والحديث وحسب كل واحد من الأنبياء أنهم كانوا يعملون إما في التجارة وإما في الرعي وإما في الصناعة وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على ضرورة الأخذ بالأسباب في طلب الرزق إذ يجب على المرء أن يطلبه ويطلب سببه ، وإن كان الرزق بيد الله تعالى لكن يلزم منا طلب أسبابه التي توصل إليه (١) فالمرء إذا أراد الحصول على الطعام يجب عليه أن يعمل ليحصل على المال الذي يمكنه من شراء الطعام .

وإذا أراد الرزق من الأرض عليه أن يحرثها ويزرعها ويضع فيها البذور ويسقيها ويقاس على ذلك طلب الرزق في كل شيء وقد أمر الله تعالى مريم باتخاذ الأسباب في طلب الرزق فقال تعالى :﴿ وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً ﴾ (٢) وهو القادر على أن يسقط الرطب عليها بدون أن تتخذ الأسباب ولكنها سنة الله في طلب الرزق .

---

(١) مجموع الفتاوي الكبرى لابن تيمية تحقيق محمد عبد القادر ومصطفى عبد القادر دار الريان للتراث القاهرة الطبعة الأولى ٥٢٤/٨ - ٥٢٥

(٢) سورة مريم آية ٢٥

الأخذ بالأسباب في الدعاء :

أمرنا الله سبحانه وتعالى في أكثر من موضع في القرآن الكريم بدعائه ووعدنا بالإجابة فقد قال الله تعالى في التنزيل الحكيم : ﴿وقال ربكم ادعوني استجب لكم﴾ (١) وقال تعالى: ﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها﴾ (٢) وجاء في السنة عن النبي عليه السلام أنه قال : (القلوب بعضها من بعض فإذا سألتم الله عز وجل أيها الناس فسلوه وأنتم موقنون بالإجابة فإن الله لا يستجيب لعبد دعاه عن ظهر قلب غافل) (٣) ، وقال صلى الله عليه وسلم : (يقول الله تعالى أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا دعاني) (٤) فالعباد مفتقرون إلى الله عز وجل ولذا أجاز لهم الدعاء وطلبه منهم ، فالدعاء إذن وسيلة من الوسائل التي توصل إلى غاية من الغايات المادية أو المعنوية . وإن لم تحصل له هذه الغاية مادياً فإنها تحصل معنوياً ، كحصول السكينة والهدوء والرضا بما قدرة الله عز وجل

---

(١) سورة غافر آية ٦٠

(٢) سورة الاعراف آية ١٨٠

(٣) مجموع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمي ١٤٨/١٠

(٤) حديث حسن صحيح أخرجه الترمذي في جامعة باب حسن الظن بالله انظر الأحاديث القدسية طبعة دار الهجرة حديث رقم ٤٨ وانظر كشف الخفاء حديث رقم ٦١٣ وروى البخاري ومسلم نحوه (انظر اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان حديث رقم ١٧١٣)

الأخذ بالأسباب في العبادات : ـ (*)

أولاً : في الصلاة :

الصلاة عماد الدين وروحها النية والإخلاص فهي تشتمل على أذكار ومناجاة فهي سبب من الأسباب التى توصل العبد إلى غاية مطلوبة ألا وهي رضا الله عز وجل (١) ومن هنا كانت الصلاة سبب من الأسباب التي توصل صاحبها إلي مراده كما ذكر ذلك أئمة الفقه والحديث من السلف الصالح والأخذ بها كسبب لا يعارض التوكل الحقيقي على الله تعالى لأنها عبادة وقد قرن التوكل بالعبادة ؛ ولأن تارك الصلاة عمداً كافر(٢) لقوله صلى الله عليه وسلم:(أن بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة) (٣) والكفر سبب للخلود في النار ٠

(*)انظر التعريف ص٢٨٣ وما بعدها من هذا البحث

(١) منهاج القاصدين لابن قدامه ص٢٨ – ٢٩

(٢) انظر فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء المجلدالثاني (العقيدة) جمع وترتيب الشيخ أحمد عبد الرزاق الدويش طبعة دار أولي النهى الطبعة الأولى ١٤١١هـ ص٢٦

(٣) أحمد في مسنده ٣/٣٧٠ وابن مندة في الإيمان رقم ٢١٩ والدارمي في السنن ١/٢٨٠ وأبو داود والترمذي وابن ماجة وقال الترمذي حسن صحيح (كشف الخفاء حديث رقم ٩٣٤) ورواه مسلم في الصحيح كتاب الإيمان حديث رقم ١٣٤واللفظ لمسلم ٠

ثانياً الأخذ بالأسباب في الزكاة :

الزكاة ركن من أركان الإسلام ودليل وجوبها (١) قـــــوله تعالى: ﴿ وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين﴾ (٢) و فضلها كالصلاة ، وهي وسيلة من الوسائل التي ينال بها العابد مطلوبه وهو رضا الله عز وجل وقد روي (أن أعرابياً أتى النبي ــ عليه السلام ــ فقال : دلني على عمل إذا عملته دخلت الجنة • قال : تعبد الله ولاتشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة المكتوبة وتؤدي الزكاة المفروضة وتصوم رمضان • قال: والذي نفسي بيده لا أزيد على هذا • فلما ولى قال النبي صلى الله عليه وسلم : من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا) (٣) فهذا دليل على أن دفع الزكاة لمستحقيها يجلب للعبد الراحة والسكون ؛ لأنه أدى حق الله تعالى في ماله فالله سبحانه وتعالى يرضى عنه ويهديه إلى سواء السبيل ويدخله الجنة لأنه اتخذ الأسباب المعينة له على ذلك وكذا فالزكاة من أسباب عصمة الدم لأن من يمتنع عن أداءها يقاتل حتى يقر بها ويؤدها كما فعل ذلك خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر الصديق رضي الله عنه عند ما قاتل مانعي الزكاة •

---

(١)انظر العمدة في الأحكام في معالم الحلال والحرام للمقدسي تحقيق مصطفى عطا دار الكتب العلمية بيروت لبنان ص ٢٣٢

(٢) سورة البقرة أية ٤٣

(٣) انظر صحيح البخاري كتاب الزكاة حديث رقم ١٣٩٩ و ١٤٠٠

ثالثاً : الصـــــــوم :

الصوم من الأسباب التي يحصل بها الرضا والقرب من الله عز وجل ، لأن في الصوم خصيصة ليست في غيره من العبادات ، وهي إضافته إلى الله عز وجل ، حيث يقول جل وعلا في حديث قدسي عن أبي هريرة رضي الله عنه ـ أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (قال الله عز وجل : (كل عمل ابن آدم له ، إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به ...، و الذي نفس محمد بيده لخلفوف فم الصائم أطيب عند الله يوم القيامة من ريح المسك وللصائم فرحتان يفرحهما إذا أفطر فرح بفطره وإذا لقي ربه فرح بصومه)(١)

وإنما فضل الله الصوم لأنه سر وعمل باطن لا يراه الخلق ولا يدخله رياء وكذلك الصيام هو سبب دخول الجنة من باب الريان لقوله صلى الله عليه وسلم : (إن في الجنة باباً يقال له الريان يدخل منه الصائمون يوم القيامة لايدخل معهم أحد غيرهم ...) (٢) وأيضاً فالصيام سبب من أسباب البعد عن النار وذلك لما روي عن الرسول صلى الله عليه وسلم إنه قال :(مامن عبد يصوم يوماً في سبيل الله إلا باعد الله بذلك اليوم وجهه عن النار سبعين خريفاً) (٣) إذن فالصوم من أهم الأسباب التي تجلب السعادة والفوز في الدنيا والآخرة .

---

(١) صحيح مسلم كتاب الصيام حديث رقم ١٦٣

(٢) صحيح مسلم كتاب الصيام حديث رقم ١٦٦

(٣) صحيح مسلم كتاب الصيام حديث رقم ١٦٧

رابعاً : الأخذ بالأسباب في الحج :

أمر الله بالحج من استطاع فقال: ﴿ ...ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً﴾ (١) وقال تعالى: ﴿وتزودوا فإن خير الزاد التقوى ﴾(٢) وقد فسر عليه الصلاة والسلام :(السبيل بالزاد والراحلة) (٣) وقد قال عبد الله بن عباس رضي الله عنه وقد تلى قوله تعالى : ﴿ وتزودوه فإن خير الزاد التقوى ﴾ كان الناس يتكل بعضهم على بعض في الزاد فأمروا أن يتزودوا وكان أهل اليمن يحجون ولا يتزودون ويقولون نحن متوكلون ، فإذا جاءوا مكة سألوا الناس (٤) وقد لبس على قوم يدعون التوكل ، فخرجوا بلا زاد وظنوا أن هذا هو التوكل وهو غاية الخطأ . فقد قال رجل للإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه(أريد أن أخرج إلى مكة على التوكل من غير زاد فقال له : أحمد بن حنبل : فأخرج في غير القافلة ؟ قال لا إلا معهم قال : فعلى جراب الناس توكلت)(٥) فهذا توكل في شيء ، واعتمد في شيء آخر ، وهذا يدل على أن الإنسان لا غنى له عن الأخذ بالأسباب التي تكفل له تمام حجه على الوجه المطلوب ، ويوصله إلى تحصيل مراده لذلك شاءت حكمته جل وعلا أن يعلق الأسباب على مسبباتها ، والحج سبب من أسباب اكتمال أركان الإسلام فمن لم يقر

---

(١) سورة آل عمران جزء من الآية ٩٧ (٢) سورة البقرة جزء من الآية ١٩٧

(٣) فقه السنة السيد سابق ص ٥٣٢ (٤) انظر صحيح البخاري ج١ ص٤٧١ وفتح الباري ج٣ ص٤٤٩ والمنهاج في شعب الإيمان لأبي عبد الله الحليمي ج٢ ص٤٢٦ (٥) تلبيس ابليس ص ٢٠٤

به فلا يصح إسلامه وكذا سائر أركان الإسلام لأنها من الفرائض التي عُلمت من الدين بالضرورة فلو أنكر أحد وجوب الحج أو أحد أركان الإسلام الأخرى ارتد عن الإسلام (١) والحج من أهم الأسباب التي تؤدي إلى نقاء الإنسان من الذنوب ويرجع نقياً كيوم ولدته أمه لقوله صلى الله عليه وسلم (من حج ولم يرفث ولم يفسق يرجع كيوم ولدته أمة) (٢) .

الأخذ بالأسباب في الجهاد :

الجهاد من أعظم القرب إليه تعالى لأنه من أفضل الأسباب التي أمر الله بها خلقه ، ويعد من الأمور الإيمانية التي يجب أن يؤخذ فيها بالأسباب، وقد رغب عليه السلام فيه فقال (رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها) (٣)

والإعداد للجهاد يكون بإحضار الوسائل التي تساعد على دفع المكروه فقال جل وعلا ﴿ ٠٠٠وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم ٠٠٠﴾ (٤)

---

(١) انظر فقه السنة ج١ ص ٥٢٧

(٢) صحيح البخاري كتاب الحج حديث رقم ١٥٢١

(٣) حديث صحيح رواه أحمد والبخاري والترمذي (فيض القدير حديث رقم ٤٣٩٥)

(٤) سورة الأنفال آية ٦٠

فواجب على المسلمين أن يعدوا من السلاح ما يفي باحتياجاتهم لإعلاء كلمة الله ونشر العدل والخير والرحمة في الأرض (١) ومن ثم فإنهم يفوضون أمر نصرهم إلى الله عز وجل لإنه تعالى حسب من توكل عليه ، فمن تولاه واستنصر به وتوكل عليه تولاه وحفظه ومن خافه واتقاه آمنه مما يخاف ويحذر وجلب إليه كل ما يحتاج من المنافع (٢) قال جل ذكره ﴿ إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴾ (٣)

نخلص مما سبق : أن العبد في حاجة إلى القرب من الله تعالى باتخاذ الأسباب التي تعينه على ذلك لأن القرب منه لايتحقق إلا باتخاذ الأسباب التي شرعها لعباده ولأن القرب من الله تعالى ينير له الطريق ويوضح له معالم الحق وغاية كل مؤمن وهدفه هو الإيمان بالله وعبادته وإخلاص العمل له والتوكل عليه لأن في ذلك راحة للنفس وقرة للعين وسروراً للقلب ونعيم للروح .

التوكل وعلاقته بالأخذ بالأسباب في الصحة :

إن مباشرة الأسباب الدافعة للضرر لا تتنافى مع التوكل ؛ لأنه ليس من شروط التوكل تركها . وقد أثنى الشرع على المتوكلين الساعين لأن تأثير

---

(١) منهاج المسلم لأبي بكر الجزائري ص٣٠٣

(٢) تيسر العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد للشيخ محمد السلمان ص٥٠٣

(٣) سورة آل عمران : آية ٦٠

التوكل يظهر في حركة العبد وسعيه إلى مقاصده فيكون سعيه إما لجلب نفع مفقود أو حفظ موجود أو لدفع ضرر قد نزل أو إزالته كالتداوي من الأمراض فيتوكل في ذلك كله على المسبب لا على السبب ويكون راضياً بكل ما يقضي الله عليه ويعلم أن القدر له كالطبيب إن قدم إليه ما ترتاح إليه النفس فرح وإن قدم له مايعارض رغيته فرح ، وأن كل من لا يعتقد في لطف الله تعالى لم يصح توكله ، فالرسول صلى الله عليه وسلم قد تداوى وأمر بالتداوي فقد روى مسلم في صحيحه عن جابر بن عبد الله عن رسول الله عليه السلام أنه قال (لكل داء دواء فإذا أصيب دواء الداء برئ بإذن الله عز وجل) (١) وقد تداوى خلق كثير من المسلمين ، وامتنع عنه أقوام تواكلاً ، وما الأدوية إلا أسباب مسخرة بإذن الله تعالى ، وهذا يقودنا إلى بيان الأسباب المزيلة للضرر وعلاقتها بالتوكل :

الأسباب المزيلة للضرر ثلاثة :

١ ـ مقطوع به : كالماء المزيل لضرر العطش فهذا النوع ليس تركه من التوكل في شيء

٢ ـ مظنون فيه : كالفصد (٢) والحجامة (٣) وهذا النوع لا ينقض التوكل .

٣ ـ أن يكون موهوماً : كالكي فإنه يخرج عن التوكل ؛ لأنه صلى الله عليه وسلم وصف المتوكلين بأنهم لا يكتوون

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ١٣/١٩٠-١٩١وصحيح مسلم كتاب السلام حديث رقم ١٢٠٨

(٢) الفصد : قطع العرق (مختار الصحاح مادة فصد)

(٣) الحجامة : المداواة والمعالجة بالحجم (قاموس المنجد مادة حجم)

فقد روى عن عمران بن حصين قال : قال : رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ (يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفاً بغير حساب ٠٠٠هم الذين لايكتوون ولايسترقون وعلى ربهم يتوكلون ٠٠٠) (١) والكي المنهي عنه ما كانوا يفعلونه في الجاهلية فهم يكتوون في زمن العافية لئلا يمرضوا ، وقد كوى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ سعد بن زرارة ـ رضي الله عنه ـ وقت المرض (٢) فعن أنس رضي الله عنه : (أن النبي صلى الله عليه وسلم كوى أسعد بن زرارة ٠٠٠) (٣) وروى عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ما أنزل الله داء إلا أنزال له شفاء) (٤)

وفي السنن عن أبي خزامة قال : سئل رسول الله : أرأيت أدواية نتداوى بها ورقى نسترقي بها وتقى نتقيها ، هل ترد من قدر الله شيئاً ؟ قال : (هي من قدر الله) (٥)

فهذا وغيره من الأحاديث (٦) أثبت أن هناك أسباباً مشروعة أمرنا بالأخذ بها ، وأسباباً غير مشروعة نهانا الله عنها ، فقد أمرنا بالتداوي الذي فيه جلب نفع ، ودفع ضرر عن النفس التي هي مناط التكليف فإن عجزها

---

(١) صحيح مسلم كتاب الإيمان حديث رقم ٣٧١

(٢) مختصر منهاج القاصدين لابن قدامه ص٣٣٣

(٣) سنن الترمذي أبواب الطب حديث رقم ٢٠٥١ وهو حسن صحيح

(٤) صحيح البخاري كتاب الطب حديث رقم ٥٦٧٨

(٥) سنن ابن ماجه ـ كتاب الطب : حديث رقم ٣٤٣٧

(٦) انظر سنن الترمذي أبواب الطب باب ماجاء في كراهية التداوي بالكي حديث رقم ٢٠٥٠

بسبب المرض يعطلها عن القيام بالتكاليف الشرعية التي تحتاج إلى مجهود ولا يتأتى هذا المجهود إلا بدفع الضرر عنها بالأسباب المشروعة كالتداوي في الحدود المشروعه وهو لا ينافي التوكل ولا يقدح فيه لأن فيه نفعاً للأمة عند إنجازه لدفع الضرر عنها أو لتقويتها على تحمل مسؤولية الدعوة فإنها تحتاج إلى المسلم القوي الذي يستطيع الذب عن هذا الدين لتحقيق هدف الرسالة فقد روى عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ (المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف) (١) وليس معنى هذا الحديث أن الله يحب المؤمن الصحيح دون المريض ولكن المقصود أن المؤمن القوي الذي يأخذ بجميع الوسائل المشروعة التي تكفل له دوام صحته وقوته بإذن الله ليستطيع النهوض بأمور دينه ودنياه فلا يفوض أمره إلا لله بعد أخذه بالأسباب المشروعة يكون أحب إلى الله من المؤمن الضعيف المتكاسل العاجز الذي يكل أموره إلى الغير فيكون متواكلاً في حياته عالة على غيره من الناس وخلاصة ما تقدم أن المؤمن مأمور بالأخذ بالأسباب مع التوكل على الله تعالى والإيمان بأن الأسباب لا تعطي النتائج إلا بإذن الله ، لأن الله هو الذي خلق الأسباب وهو الذي خلق النتائج ، ويحرم على المسلم ترك الأخذ بالأسباب ، ولو ترك إنسان السعي في طلب الرزق كان آثماً مع أن الأرزاق بيد الله تعالى ، والرسول صلى الله عليه وسلم لما سئل : أرأيت رقى نسترقي بها وتقى نتقي بها وأدوية نتداوى بها هل ترد من قدر الله

---

(١) صحيح مسلم كتاب القدر حديث رقم ١٣٥١

شيئاً ؟ قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (هي من قدر الله) (١)
فالالتفات إلي الأسباب شرك في التوحيد ، ومحو الأسباب أن تكون أسباباً نقص في العقل والإعراض عن الأسباب المأمور بها قدح في الشرع ، فعلى العبد أن يكون قلبه معتمداً على الله لا على سبب من الأسباب ، والله ييسر له من الأسباب ما يصلحه في الدنيا والآخرة ، فإن كانت الأسباب مقدورة له وهو مأمور بها فعلها مع التوكل على الله كما يؤدي الفرائض وكما يجاهد العدو ويحمل السلاح ومن يترك الأسباب المأمور بها فهو عاجز مفرط مذموم (٢) فالذي يسرق ويزني أحسن حالاً من الذي يترك الأسباب (٣)
وحين أراد المسلمون تغيير الواقع بالجهاد أخذوا بأسباب الجهاد (كلها ثم توكلوا على الله ولم يقولوا إن الله قدر نصر المؤمنين وهزيمة الكافرين واكتفوا بذلك عن الاستعداد والجهاد والصبر وخوض المعارك بل فعلوا كل هذه الأمور فنصرهم الله وأعز بهم الإسلام ؛ لأن إسقاط الأسباب ليس من التوحيد ، بل القيام بها ، وإعتبارها وإنزالها منازلها التي أنزلها الله فيها هو محض التوحيد والعبودية)(٤)
فبهذا تتضح العلاقة بين التوكل والأخذ بالأسباب والتي جمعها وبينها حديث الرسول الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ الذي رواة أنس بن مالك ـ

---

(١) سنن ابن ماجة كتاب الطب حديث رقم ٣٤٣٧
(٢) القدر لابن تيمية ص٥٢٨
(٣) الرسالة القشيرية ص ٤٣٠
(٤) مدارج السالكين ابن القيم جـ٣ ص٤٩٥

رضي الله عنه ـ فقال : جاء رجل إلى رسـول اللـه صلـى اللـه عليـه وسـلم فقال يا رسول الله أعقلها وأتوكل أو أطلقها وأتوكل ـ يعني ناقتة ـ ؟ قـال ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (اعقلها وتوكل) (١)

فالأخذ بالأسباب لا ينافي التوكل ولا يتعـارض معـه فكلاهمـا مـن أمـر اللـه وسنة رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

(١) كتاب التوكل لابن أبي الدنيا ص٢٧وكشف الخفاء حديث رقم ٤١٨

الباب الثالث

التوكل ومظاهرة عند الصوفية وموقف العلماء منه

ويتضمن ثلاثة فصول : -

الفصل الأول : - التوكل عند الصـــــــــــوفية .

الفصل الثاني : - مظاهر التوكل عند الصـــــــوفية .

الفصل الثالث : - موقف العلماء من التوكل عند الصوفية .

الفصل الأول

التوكل عنـــد الصوفيـــــة

ويتضمن ثلاثة مباحث :

الأول : البداية التاريخية لقضية التوكل حسب المفهوم الصوفي .

الثاني : التوكل وأنواعه عند الصوفية .

الثالث : أعمال المتوكلين وأحوالهم عند الصوفيـــــــــة .

المبحث الأول :

البداية التاريخية لقضية التوكل حسب المفهوم الصوفي :

المتتبع لقضية التوكل وعدم الفهم الصحيح له يجد أنها بدأت في عهد النبوة الزاهر ، حيث حج اليمنيون أو بعض منهم بدون زاد وأخذوا يسألون الناس في الطريق ، وزعموا أن هذا هو التوكل ، فنزل القرآن مبيناً لهم الطريق الصحيح في قوله تعالى : ﴿ ٠٠٠وتزودوا فإن خير الزاد التقوى ٠٠٠﴾الأية (١) فكان هذا الأمر من الله سبحانه وتعالى رداً لدعواهم أن هذا من التوكل وبين لهم أن الطريق الصحيح هو الأخذ بالأسباب والتزود بما يكفون به وجوههم عن الناس (٢)

وفي عهد الرسول الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ أيضاً نجد ذلك الرجل الذي التبس عليه التوكل والتواكل يسأل الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ هل يعقل ناقته أو يتركها بدون عقال ، ويتوكل على الله فيحرسها له ؟ ، فكان جواب الرسول صلى الله عليه وسلم حاسماً ومصححاً لهذا الفهم الخاطيء فقال له صلى الله عليه وسلم : (اعقلها وتوكل) (٣) وبين له صلى الله عليه وسلم أن التوكل لا يتعارض والأخذ بالأسباب ، بشرط عدم

---

(١) سورة البقرة آية ١٩٧

(٢) انظر فتح الباري في شرح صحيح البخاري جـ٣ ص٤٤٩ ومجلة الحرس الوطني السنة الرابعة عشر العدد ١٣٣ (التوكل على الله) للدكتور حمد عبد الرحمن الجنيدل .

(٣) كتاب التوكل للحافظ ابن أبي الدنيا ص٢٧وكشف الخفاء حديث رقم ٤١٨

الظن بالأسباب والاعتماد عليها ، ونسيان التوكل على الله فهما موضوعان متلازمان دائماً ، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم بوصفه غارساً للعقيدة الصحيحة حارساً لها من الانحراف والزيغ يبادر إلى تصحح كل خطأ يحصل من المسلمين أو سوء فهم ، وكان المسلمون بدورهم يتقيدون بالتوجيه النبوي الشريف ، ويسارعون إلى الاستجابة لأن الإيمان في قلوبهم لايزال غضاً طرياً ولأنهم أهل لتنفيذ قول الله سبحانه لهم ﴿ وما أتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا ﴾ (١) ولأنهم لم تكن لهم مصادر أخرى يأخذون منها كما حدث بعد أن اتسعت الثقافة وترجمت ثقافات الأمم الأخرى وأصبحت تزاحم الفكر الإسلامي وثقافته ، وبقيت صورة من الانحراف كذلك إلى عهد الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه ولكنه تصدى لها بكل حزم وقوة ، فقد لقي عمر بن الخطاب رضي الله عنه ناساً لم يتخذوا للسفر عدته ، فقال من أنتم ؟ قالوا نحن المتوكلون ، فقال بل أنتم المتكلون ، إنما المتوكل الذي يلقي حبه في الأرض ، ويتوكل على الله (٢) وقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا رأى الشاب فأعجبه يسأل هل له حرفة ؟ فإن لم يكن له حرفة سقط من عينة ، وقد وقف أمير المؤمنين ضد هذه الدعوى بقوة حتى وصل به الأمر إلى طرد أهل الصفة وقمعهم بدرته قائلاً لهم : قوموا اطلبوا الرزق فإن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة ، وأمرهم بالعمل والانتاج وعدم القعود والكسل والتواكل ، وكان رضي الله عنه يقول: لايقعد أحدكم عن طلب الرزق يقول اللهم ارزقني فقد علمتم أن السماء لاتمطر ذهباً ولا فضة ، ويقول رضي الله عنه لمن يغرس أرضه:

---

(١) سورة الحشر جزء من الأية ٧ (٢) انظر كتاب التوكل لابن أبي الدنيا ص٢٦

أصبت ، استغن عن الناس يكن أصون لدينك وأكرم لك عليهم (١) وإزاء تشدد الفاروق رضي الله عنه وتتبعه لخطى النبي - صلى الله عليه وسلم - خفت هذه الظاهرة أو كادت أن تختفي حتى جاء القرن الثاني الهجري وظهرت الصوفية فوجد بعضهم في إحياء هذا الفهم المنحرف للتوكل ضالتهم وحولوا التوكل إلى تواكل ضمن أسس وقواعد وضعوها حتى أفتى بعض الصوفية بحرمة الكسب والعمل إلا عند الضرورة ؛ لأن الكسب في عرفهم ينفي التوكل على الله أو ينقص منه ، وقد أمرهم الله بالتوكل ، ورزقهم في السماء وما يوعدون ، (٢) فالعمل والكسب عند بعض الصوفية حرام ويرون أن من أهم صفات الصوفي ترك الأسباب والتجرد

---

(١) انظر إحياء علوم الدين جـ ٢ ص ٧١ و التصوف في الإسلام وأهم الاعتراضات الواردة عليه د/ عبد اللطيف محمد العبد ص٢٠

(٢) الاكتساب في الرزق المستطاب محمد بن الحسن الشيباني تحقيق سهيل زكار طبعة دمشق ١٩٨٠م ص٣٧ وانظر عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان بدر الدين محمود بن أحمد العيني (مخطوط في مكتبة سليم آغا تركيا برقم ٨٣٤) جـ٢٣ ص٣٨

عنها بالكلية حتى لايكون له عند الله حاجة ـ تعالى الله عما يقولــون ـ (١) ونظراً للعواقب الوخيمة التي تترتب على هذه الدعوى تصدى لها مجموعـة من العلماء ومنهم من علماء الصوفية ذاتها . فهاهو محمد بن الحسن الشيباني (٢) يقف ضد هذه الدعوى فيؤلف كتاباً ســـماه (الاكتساب في الرزق المستطاب) وهو أول كتاب - عرفته - يرد عليهم بالنصوص الواضحة من الكتاب والسنة ومن خلال التطبيق العملـي من سيرة الأنبياء أنفسهم في العمل والكسب وقد سار بعض العلماء (٣) على هذا المنهج في الرد عليهم وتفنيد أقوالهم وأثبتوا بالدليل والبرهان أن الاكتساب لا ينافي التوكل ، وممن استفاض في هذا الشأن وتوسع فيه شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ فقد تحدث عن الصوفية وما سببته من فقر للمجتمع الإســلامي وظنهم أن الزهد ملازم للفقر فـــرد عليهم وبين خطأهم وأوضـــح لهم الصواب (٤) ومع ذلك لا تزال هذه الدعوى تملأ جنبات العالم الإسلامي (٥) وتجد من يتبناها ويدافع عنها ؛ لأنها تحقق لمن يقول بها الراحة وعدم التعب والسعي في طلب الرزق •

---

(١) انظر الرسالة القشيرية ص ٢٧٢ ، ٢٧٧ ، ٢٨٣

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن فرقد الشيباني بالولاء ولد سنة ١٣٢هـ بواسط ونشأ بالكوفة مع والده صاحب الإمام أبي حنيفة النعمان وتولى القضاء في عهد الرشيد وله مصنفات كثيرة بلغت تسعمائة وتسعين كتاباً في الدين (انظر الاكتساب في الرزق المستطاب ص ١٠ وما بعدها)

(٣) منهم الخلال في كتابة (الحث على التجارة والصناعة والعمل) والحارث المحاسبي في كتابه (المكاسب)

(٤) انظر الفتاوي لشيخ الإسلام جـ١١

(٥) مجلة الحرس الوطني التوكل على الله د / حمد عبد الرحمن الجندل

المبحث الثاني : ـ التوكل وأنواعه عند الصوفية.

أ ـ حقيقة التوكل عند الصوفية :

لقد كثر تداول كلمة التوكل على ألسنة كثير من الصوفية وقبل البدء في أعمالهم خاصة فلابد من وقفة أمام هذه الكلمة .

فالتوكل مشتق من الوكالة يقال وكل أمره إلى فلان أي فوضه إليه واعتمد عليه فيه ويسمى الموكول إليه وكيلاً ويسمى المفوض إليه متكلاً عليه ومتوكلاً عليه ، فالتوكل عبارة عن اعتماد القلب على الوكيل وحده (١)

والتوكل على الله يعني الثقة به والاعتماد عليه والإيقان بأن قضاءه ماضٍ واتباع سنة النبي صلى الله عليه وسلم في السعي فيما لابد منه من الأسباب من مطعم ومشرب واستعمال كل ما تقتضيه سنة الله المعتادة قال تعالى ﴿ وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين ﴾ (٢)

والعزم في هذه الآية قدم على التوكل والعزم هو الأمر المروي المنقح وليس ركوب الرأي دون روية عزماً ، فالأمر بالتوكل جاء بعد إعلان المشاورة والتروي والتنقيح وهذا ما يكون في طاقة الإنسان وفي حدود مقدرته أما ما وراء ذلك من تنفيذ الأمر وتحقيق النصر فإن ذلك خاص بالعلي القدير الذي نتوكل عليه في إنجازه وتحقيقه (٣)

---

(١) الاحياء جـ٤ ص٢٧٦ وانظر ص ١٣٥ من هذا البحث

(٢) آل عمران آية ١٥٩

(٣) الحب بين العبد والرب أحمد نصيب المحاميد دمشق دار الفكر الطبعة الثانية ١٤٠٠ هـ ص٧٥

والمشي مع الأسباب والسير على سنة الله المعتادة لا ينافي التوكل غير أن المطلوب من العاقل أن لا يعتمد على الأسباب بل يأتي بها ويعتمد على مسببها ولو كان فعل شيء من هذه الأسباب ينافي التوكل لكان أمر الله لرسوله - صلى الله عليه وسلم - بالمشاورة في قوله : ﴿ وشاورهم في الأمر ﴾ (١) منافياً للتوكل وقد دلت الآية على أنه ليس التوكل أن يهمل الإنسان نفسه كما يقول بعض الجهال وإلا لكان الأمر بالمشاورة منافياً للتوكل بل التوكل هو أن يراعي الإنسان الأسباب الظاهرة ولكن لا يعول بقلبه عليها بل يعول على عصمة الحق ؛ لإن الله يحب المتوكلين ومن أجل ذلك أجاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الأعرابي الذي سأله حين أراد دخول المسجد ومعه ناقته . أتركها وأتوكل ؟ أم أعقلها وأتوكل ؟ أجابه عليه السلام بقوله : (اعقلها وتوكل) (٢)

وموسى وأخوه هارون عليهما السلام قد شعرا بالخوف عندما أمرهما سبحانه أن يذهبا إلى فرعون وينصحاه فقالا : ﴿ ربنا إننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى قال لا تخافا إنني معكما أسمع وأرى ﴾ (٣) إن الشعور بصحبة الله هو المؤنس في هذه الوحشة ، وهو المشجع في هذه الرهبة وذاك معنى التوكل في مثل هذه المواقف ،

وسئل الإمام أحمد رضي الله عنه عن رجل جلس في بيته أو في مسجده

---

(١) سورة آل عمران آية ١٥٩

(٢) كشف الخفاء حديث رقم ٤١٨ والتوكل على الله لابن أبي الدنيا ص ٢٧

(٣) سورة طه آية ٤٥ - ٤٦

وقال لا أعمل شيئاً حتى يأتيني رزقي ! فقال أحمد هذا رجل جهل العلم ! أما سمعت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : (جعل رزقي تحت ظل رمحي) . وحديثه الآخرفي ذكر(الطير تغدوا خماصاً) فذكر أنها تغدوا في الرزق (١)

فالسعي لطلب الرزق بما يقدر عليه العبد وتفويضه بما لا يقدر عليه إلى الله تعالى هو التوكل الحقيقي المحمود قال تعالى :﴿ ...ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهوحسبه...﴾الأية (٢)

وقد قرأ النبي - صلى الله عليه وسلم - هذه الأية على أبي ذر - رضي الله عنه - وقال له : (لو أن الناس كلهم أخذوا بها لكفتهم) (٣)

يعني لو حققوا التقوى والتوكل لاكتفوا بذلك في مصالح دينهم ودنياهم وقد أخطأ قوم ظنوا أن ترك العمل والخروج إلى البراري والصحاري والجبال بغير زاد ولا دابة داخل في التوكل (٤) فقالوا : نخرج على التوكل تحقيقاً لقوله تعالى : ﴿ وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ﴾ (٥)

---

(١) تلبيس إبليس ص٣٦١ والحديث أخرجه أحمد في مسنده ١/٣٠ وابن المبارك في الزهد ١٩٦ - ١٩٧ وحديث الطير تغدوا سبق تخريجه ص ١٤٣

(٢) سورة الطلاق جزء من الآيتين (٢ ، ٣)

(٣) حديث صحيح رواه الحاكم في المستدرك كتاب التفسير باب تفسير سورة الطلاق طبعة دار المعرفة بيروت ج٢ ص٤٩٢

(٤) دراسات عن التصوف ص٣٢٣

(٥) سورة هودآية ٦

وقد كان الأولى بهم أن يحققوا قوله تعالى:﴿ فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور﴾(١) وقوله تعالى :﴿ فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله ﴾(٢)

ويعتبر الصوفية التوكل أحد مقاماتهم التي يمرون بها في معراجهم الصوفي (٣) وقد اختلفت عباراتهم في بيان حد التوكل وتكلم كل واحد عن مقام نفسه وأخبر عن حده كما أن لهم اختلافاً في عدد المقامات وترتيبها (٤) ؛ لذا كان لابد من بيان المقام والحال عندهم قبل أن أتناول الحدود التي وضعوها للتوكل .

---

(١) سورة الملك آية ١٥

(٢) مجلة الأصالة السنة الثامنة صفر ربيع الأول ١٣٩٩هـ توفيق بن عامر والأية هي الأية ١٠ من سورة الجمعة

(٣) الاحياء جـ٤ ص٢٥٩

(٤) انظر التصوف ماسينيون ومصطفى عبد الرازق ص٧٠

المقام والحال عنـــــد الصوفية :

اختلف الصوفية في تحديد مفهوم المقام والحال والفرق بينهما وسأبين بعض أقوالهم في ذلك :

فالمقام - بفتح الميم - هو في الأصل موضع القيام - وبضمها - موضع الإقامة وقد يكون كل منهما بمعنى الإقامة وبمعنى القيام والمقام - بالفتح والضم - ما يتحقق به المزيد من الصفات المكتسبة بالرياضة والعبادة كمقام الخوف من الله الذي يحصل بترك الكبائر فالصغائر فالمكروهات فالشبه فالتوسع في الحلال إلى أن ينتهي إلى ترك كل ما يشغل عن الله .

والحال معنى يرد على القلب من غير تعمد ولا اجتلاب كالطرب والحزن والشوق والهيبة ، فالأحوال مواهب والمقامات مكاسب بمواهب لأنها إنما تنال بالكسب مع الموهبة ، والعبد بالأحوال يترقى إلى المقامات ولا يلوح له حال من مقام أعلى من مقامه إلا وقد قرب ترقية إليه . وليس للمريد أن يتشوف إلى مقام فوق مقامه ما لم يستوف أحكام ذلك المقام وأحواله . (١)

ومنهم من يقول : الأحوال من نتائج المقامات ، والمقامات نتائج الأعمال ، فكل من كان أصلح عملاً كان أعلى مقاماً وكل من كان أعلى مقاماً كان أعظم حالاً . (٢)

ويقول صاحب اللمع : " إن معنى المقام مقام العبد فيما يقام فيه من العبادات والمجاهدات والرياضات والانقطاع إلى الله عز وجل ، أما معنى الأحوال فهو ما يحل بالقلوب أو تحل به القلوب وليس الحال من طريق المجاهدات والرياضات كالمقامات " (٣)

---

(١) التصوف ص٧١

(٢) التصوف ص٧٢ - ٧٣

(٣) اللمع للسراج الطوسي ص٦٥

أما ابن القيم فيقول : والصحيح أن هذه الواردات والمنازل لها أسماء باعتبار أحوالها فتكون لوامع وبوارق ولوائح عند ظهورها وبدؤها كما يلمع البارق ويلوح على بعد فإذا نازلته وباشرها فهي أحوال فإذا تمكنت منه وثبتت له عن غير انتقال فهي مقامات وهي لوامع ولوائح في أولها وأحوال في أوسطها ومقامات في نهايتها فالذي كان بارقاً هو بعينه الحال والذي كان حالاً هو بعينه المقام وهذه الأسماء له باعتبارتعلقه بالقلب وظهوره له وثباته فيه) (١)

إذن ...

الحال : هو مايرد على القلب فجأة ودون تعمد ثم يزول بسرعة وهو أوائل المقام (٢)

المقام : هو استمرار الحال واستقراره ودوامه بحيث يصبح صفة دائمة لصاحبة (٣)

قال ابن عربي : ـ فإن قيل ما معنى المقامات ؟ يقال : معناه مقام العبد بين يدي الله عز وجل فيما يقام من العبادات والمجاهدات والرياضات والانقطاع إلى الله عز وجل (٤)

وقال الله تعالى :﴿ ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد ﴾ (٥) وقال

---

(١) مدارج السالكين لابن القيم ص ١٥٢

(٢) الكشف عن حقيقة الصوفية ص٣٨٠

(٣) الكشف عن حقيقة الصوفية ص٣٨٠

(٤) اللمع ص ٦٥

(٥) سورة ابراهيم آية ١٤

تعالى : ﴿ وما منا إلا له مقام معلوم ﴾ (١)
وقال – ابن عربي – وأما معنى الأحوال فهو ما يحل بالقلوب أو تحل به القلوب : من صفاء الأذكار (٢) وليس الحال من طريق المجاهدات والرياضات والعبادات كالمقامات ٠

وبعدهذه عجالة سريعة عن الحال والمقام أردت توضيح الفرق بينهما قبل الحديث عن حد التوكل عند الصوفية ٠

---

(١) سورة الصافات آية ١٦٤

(٢) اللمع ص٦٦

ب = الحدود التي وضعها المتصوفة للتوكل :

لقد كثر الخائضون في بيان حد التوكل فكل واحد أخبر عن حده كما جرت عادة أهل التصوف وأذكر منها : مايلي : -
يقول سري السقطي : (التوكل الانخلاع من الحول والقوة) (١) ويقول ابن مسروق : (التوكل الاستسلام لجريان القضاء في الأحكام)(٢) ويقول التستري : التوكل الاسترسال بين يدي الله (٣)
قال أبو عبد الله القرشي : التوكل ترك الإيواء إلا إلى الله (٤)
ونقل الغزالي في الإحياء عن أبي عبد الله القرشي أنه سئل عن التوكل فقال: التعلق بالله تعالى في كل حال ، فقال : السائل زدني ، فقال : ترك كل سبب يوصل إلى سبب حتى يكون الحق هو المتولي لذلك (٥)
وقال الجنيد : حقيقة التوكل أن يكون لله تعالى كما لم يكن فيكون الله له كما لم يزل (٦)
قال سهل : كل المقامات لها وجه وقفا غير التوكل فإنه وجه بلا قفا (٧) يريد توكل العناية لا توكل الكفاية ، وهو ألا يطالبه بالأعواض
وقال بعضهم : التوكل سر بين العبد وبين الله ومعناه كما قال آخرون : (حقيقة التوكل ترك التوكل ، وهو أن يكون الله لهم حيث كان لهم إذ لم يكونوا موجودين)(٨) قيل لإبراهيم الخواص إلى ماذا أدى بك التصوف ؟ فقال إلى التوكل فقال : ويحك بعد أن تسعى في عمران بطنك ! (٩)

---

(١) التعرف ص١١٨ (٢)الرسالة القشيرية ص١٦٦ (٣) التعرف ص١١٩ (٤) اللمع ص٧٩
(٥) الاحياء جـ٤ ص٢٨١ الرسالة القشيرية ص١٦٥ (٦) التعرف ص١١٩ (٧) اللمع ص٧٩
(٨) التعرف ص١٢٠ (٩) التعرف ص١٢٠

ومعناه إن توكلك عليه لأجل نفسك احترازاً من مكروه يصيبها •

ويذكر الغزالي عن المتوكل أنه :

إن كان مشتغلاً بالله وملازماً لمسجد أو بيت وهو مواظب على العلم والعبادة فالناس لا يلومونه في ترك التكسب ولا يكلفونه ذلك ، بل انشغاله بالله تعالى يقدر حبه في قلوب الناس حتى يحملوا إليه فوق كفايته وإنما عليه أن لا يغلق الباب ولا يهرب إلى جبل من بين الناس .

ومن اشتغل بالله عز وجل ألقى الله حبه في قلوب الناس وسخر له القلوب كما سخر قلب الأم لولدها (١)

ثم يقول " إذن عليك بالقناعة بالنزر القليل والرضا بالقوت فإنه يأتيك لا محالة وإن فررت منه وعند ذلك على الله أن يبعث إليك رزقك على يدي من لا تحتسب (٢)

إذن هذا النوع من التوكل هو توكل على الناس واعتماد على كرمهم وانتظار لحصول الرقة والمحبة في قلوبهم بما يحثهم على بذل المال للمتواكل وهو غاية ما ينشده الصوفية من هذه الأقوال والدعاوي لأنهم يريدون الخلود إلى الراحة ويدعون غيرهم يعمل ويتعب ثم يتصدق عليهم

---

(١) الاحياء جـ ٤ص٢٩٠

(٢) الإحياء جـ ٤ص٢٩١

وأرى فيما قاله الغزالي وهو أن على المتوكل ان لا يفارق الناس ولا يهرب بل يبقى بينهم ما يناقض التوكل عند الصوفية ؛ لأنه إذا جلس في مكان منعزل قد يموت جوعاً ولكن وجوده بين الناس أنقذه من ذلك ، لأن هذا المتوكل توكل على الناس لا على الله وثقة بما عند الفقراء لا بما عند الغني الحميد (١)

وهذا مناقض لرأي الغزالي في إعطائه المرتبة الأولى للذي يخرج إلى البراري على التوكل ، وقد انقلب مفهوم التوكل عند الصوفية حتى صار مقام المكتسب أدنى من مقام هذا المتواكل وصار عندهم التسول بمعنى التوكل والتكسب والاهتمام بالرزق شرك في التوحيد !

(فالاهتمام بالرزق قبيح بذوي الدين وهو بالعلماء أقبح فإن الكسب يمنع عن السير بالفكر الباطن) (٢) فإنه يستقبح للعلماء التكسب وطلب الرزق أما القعود في البيوت وانتظار من يدق الأبواب ممن يتقرب إلى الله بدفع الصدقات فإنه أرفع مقام في التوكل وقد حاول الصوفية أن يطبقوا في حياتهم هذه المبادئ والآراء فوصلوا من ذلك إلى محو كل إرادة شخصية واستقبحوا الاعتماد على النفس واعتبروه تقصيراً في جنب الله وجعلوا أول مقام التوكل أن يكون العبد بين يدي الله عز وجل كالميت بين يدي الغاسل (٣)

---

(١) انظر دراسات عن التصوف ص٣٢٥

(٢) الاحياء ٤/٢٧٥

(٣) انظر الرسالة القشيرية ص١٦٣ وما بعدها

وأحسن دليل على هذه العقيدة وما تجسدت فيه من تصرف ما رواه الهجويري من أن درويشاً وقع في دجلة فرآه رجل وأدرك أنه لا يعرف السباحة فقال له (أتريد أن أرسل إليك من ينقذك ؟ فقال : لا . فقال له الرجل : أفتريد أن تغرق ؟ فقال لا . فقال له فأي شيء تريد ؟ فقال : أي شيء أريد ؟ أريد ما يريده الله لي) (١) وبعضهم يرى (أن التوكل محله القلب وأنه لا ينافي السعي والحركة لأن ما تعسر من الكسب فبتقدير من الله وما أنفق فبتقدير منه) (٢) وهؤلاء يتمثلون قول الرسول صلى الله عليه وسلم (اعقلها وتوكل) (٣) وذهب بعضهم : (إلى أن الأرزاق قد كتبت في اللوح المحفوظ وخلقت قبل خلق الأجسام بألفي عام) (٤)

وهكذا فهم بعض الصوفية واعتقدوا أن العلي القدير كفيل بأن يكفيهم حاجتهم دون اتخاذ الأسباب التي أمر بها وشرعها لعباده فلم يمارسوا تجارة ولا تعاطوا دواء في مرضهم وأيقنوا أن حظهم الذي كتب لهم سيصيبهم حتماً كما يصيب الطير ، وقد خاطب شقيق البلخي (٥) أحد مريديه قائلاً : (ليس لك بد من أن تجعل عملك كله لله لا لغيره وأنت لا تجعل عملك لغيره إلا طمعاً فيه أو حياء أو خوفاً منه فإذا خفت أو طمعت في غيره وهو مالك الأشياء ورازقها قد اتخذت إلها غيره) (٦)

---

(١) كشف المحجوب ص١٨٠ - ٣٧٩ والصوفية في الإسلام ص٤٥

(٢) الرسالة القشيرية ص١٦٤

(٣) سبق تخريجه ص ٢٢٤

(٤) قوت القلوب جـ٢ ص٧

(٥)هو أبو علي شقيق بن ابراهيم البلخي توفي سنة ١٩٤ هـ من مشائخ خراسان (الرسالة القشيرية ص ٣٩٧)

(٦) حلية الاولياء جـ٨ ص٦٤

ولا يسعنا إلا أن نستنتج أن الصوفي قد صار إنساناً ضعيفاً هائماً على وجهه في البلاد بدون زاد حتى لا يفسد التزود اتكاله على الله فكان يحج إلى مكة ما شياً على القدمين فارغ الجراب •

لا يبالي بأن يهلك تعباً وجوعاً ومن المرجح على حد قول نيلكسون (أن يكون بعض هؤلاء المتوكلين قد قضى نحبه على هذا النحو) (١) وهو ما دعا سفيان الثوري إلى القول بأن (من رفض السؤال فمات جوعاً ألقى الله به في النار) (٢)

إلا أن بعض الصوفية قد عدلوا بمرور الزمن من معنى التوكل – حسب المفهوم الصوفي – نظراً لظروف حياتهم القاسية ولما يمكن أن ينجر عنه من آفات فصاروا يرون أنه لا يتنافى مع الكسب وأمسى بعضهم يرى ضرورة التداوي من الأمراض بعد أن كانوا يرفضون التطبب لكن مذهب التوكل قد أدى في عصور الانحطاط وعند انتشار الفرق الصوفية إلى استفحال ظاهرة الحتمية والاستسلام ومما أعان على انتشار هذه الآفة إكرام جمهور العامة لأهل الطرق وإسعافهم لهم بالولائم وولع الناس باستضافتهم(٣) كما وصف بعض المتأخرين تهالكهم على الطعام حتى أمسوا مشهورين بالنهم في الأكل بعد أن كانوا معروفين بالتقلل منه (٤)

---

(١) في التصوف الإسلامي ص٥٥ (٢) في التصوف الإسلامي ص٥٥

(٣) أحسن التقاسيم للمقدسي ص٤١٧ وانظر الموفي بمعرفة التصوف والصوفي تأليف كمال الدين أبي الفضل حققه الدكتور محمد عيسى صالحيه الكويت ص٦ وما بعدها

(٤) الحضارة الإسلامية تأليف آدم.متز ترجمة عربية د : محمد عبد الهادي أبو ريدة طبعة القاهرة ١٩٤٨هـ جـ٢ ص٣٣ – ٣٤ وانظر الموفي بمعرفة التصوف والصوفي ص ٩

وغدا الصوفي على الأغلب رجلاً أكولاً كثير الفضول (١)

وبعض الصوفية جعلوا من عقيدة التوكل طريقة في العيش اتبعهم فيها غيرهم وأصبغوا عليها لوناً دينياً واعتبروها من طقوس العبادة حتى ظن العوام أنها من صميم الديانة وانعكس هذا الاعتقاد في لغة الخطاب فلهم عبارات هي من وحي الجبر الدال على اعتبار الرزق هبة من السماء .

وقد أنكر الإمام أحمد وغيره على من ترك الكسب وعلى من دخل المفازة بغير زاد وخشى عليه التعرض للسؤال وقد روى عن ابن عباس رضي الله عنه قال : كان أهل اليمن يحجون ولا يتزودون ويقولون نحن متوكلون فيأتون مكة ويسألون الناس فأنزل الله هذه الآية ﴿ وتزودوا فإن خير الزاد التقوى ﴾ (٢) وظاهر كلام أحمد أن الكسب أفضل بكل حال فإنه سئل عمن يقعد ولا يكتسب ويقول توكلت على الله ، فقال ينبغي للناس كلهم أن يتوكلوا على الله ولكن يعودون على أنفسهم بالكسب (٣) وروى الخلال بإسناده عن الفضيل بن عياض أنه قيل له : لو أن رجلاً قعد في بيته زعم أنه يثق بالله فيأتيه رزقه قال : إذا وثق بالله حتى يعلم منه أنه قد وثق به لم يمنعه شيء أراده لكن لم يفعل ذلك الأنبياء ولا غيرهم وقد كان الأنبياء يؤجرون أنفسهم ولم يقولوا نقعد حتى يرزقنا الله عز وجل (٤) قال تعالى ﴿ فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله ﴾ (٥) فلابد من طلب المعيشة لأن ذلك من سنن الله الكونية •

---

(١) الموفي بمعرفة التصوف والصوفي ص ٧ (٢) سورة البقرة ١٩٧ (٣) جامع العلوم والحكم ص٤١٣

(٤) جامع العلوم والحكم ص٤١٣ (٥) سورة الجمعة آية ١٠

جـ - أنواع التوكل عند الصوفيـــــة: .

قسم الصوفية التوكل إلى عدة أقسام تتفاوت في الدرجـة والمكانـة والشـروط وبيان ذلك فيمايلي:

١ ـ **التوكل الذي هو من المنجيات** يقول الغزالـي فـي إحيائـه عـن هـذا النـوع مـن التوكل قال أبو موسى الديلى (١) : قلت لأبي يزيد (٢): ما التوكل ؟ فقـال : ما تقول أنت ؟ قلت : إن أصحابنـا يقولـون : لـو أن السبـاع والأفـاعي عـن يمينك ويسارك ، ما تحرك لذلك سرك . فقال أبو يزيـد : نعـم ، هـذا قريـب ولكن لو أن أهل الجنة في الجنة يتنعمون ، وأهل النار في النار يعذبـون ثـم وقع بك تمييز بينهما خرجت من جملة التوكل (٣)

فهذه صورة من مقام التوكل عندهم ، والذي يعدونه من المنجبـات ولا أرى حاجة لمناقشته بالتفصيل ؛ لأنه قول ضـال ومعـول وهـدم للأمـر والنهـي والثواب والعقاب الذي جاءت به شرائع الإسلام فمن زعـم أن (أهـل النـار وأهل الجنة سيان !) (٤) فقد ساوى بين المسلمين والكفار واستـهان بـالنعيم الذي أعده الله لعبادة المؤمنين وبالجحيم الذي أعدة للكفرة والمشركين .

٢ ـ **توكل المنفرد** ويسـمى مقـام الخـواص(٥) ونظرائـه وهـو أعلـى مقـام فـي التوكل وهو أن يـروض الرجـل نفسـه ويجاهدهـا علـى الصـبر عـن الطعـام

---

(١) لم أعثر على ترجمته

(٢) يظهر أنه أبو يزيد البسطامي

(٣) الاحياء ٤ / ٢٢٧

(٤) الكشف عن حقيقة الصوفية ص٣٩٠

(٥) أبو اسحاق ابراهيم بن أحمد بن اسماعيل الخواص توفي سنة ٢٩١ من أقران الجنيد ولـه فـي التوكل حظ كبير كان مبطوناً وقد مات بالري (الرسالة القشيرية ص٤١١)

أسبوعاً وما يقاربه بحيث يصبر عنه بلاضيق قلب وتشوش خاطر وتعذر في ذكر الله ويقوى على التقوت بالحشيش وما يتفق من الأشياء الخسيسة ويدور في البوادي بغير زاد ثقة بفضل الله عليه (١)

وقد كان إبراهيم الخواص مجرداً في التوكل يدقق فيه وكانت لا تفارقه (إبرة وخيوط وركوة ومقراض فقيل له : يا أبا اسحاق لماذا تحمل هذا وأنت تمتنع من كل شيء ؟ فقال مثل هذا لا ينقض التوكل لأن لله علينا فرائض والفقير لا يكون عليه إلا ثوب واحد فربما يتمزق ثوبه فإن لم يكن معه إبرة وخيوط تبدو عورته فتفسد صلاته وإذا لم يكن معه ركوة تفسد طهارته فإذا رأيت الفقير بلا ركوة ولا إبرة ولا خيوط فاتهمه في صلاته) (٢) وهذا التوكل لا يتم إلا بأمرين :

١ ـ قدرته على الجوع أسبوعاً من غير استشراف وضيق نفس •

٢ ـ أن يطيب نفساً بالموت إن لم يأته رزقه علماً بأن رزقه الموت والجوع وهو إن كان نقصاً في الدنيا فهو زيادة في الآخرة فيرى أنه سبق إليه خير الرزقين له : وهو رزق الآخره وأن هذا هو المرض الذي به يموت ويكون راضياً بذلك وأنه كذا قُضي وقُدر له (٣) و كما أن طلب المال فرض على المؤمنين كذلك ترك الحلال فرض على العارفين (٤) •

وحسبي أن أقول لوكان هذا هو المنهج الشرعي المطلوب في الإسلام لما قامت لهذا الدين قائمة ولو أن أهل الأرض كلهم اعتنقوا هذا الدين ومشوا

---

(١) الاحياء ٤/ ص٢٨٣ (٢) الرسالة القشيرية ص١٦٧ (٣) الاحياء ج٤ / ص٢٨٩

(٤) المواهب السرمدبه ص٢٤٠ – الأنوار القدسية ص٢١٣

على هذا الفهم المنحرف للتوكل لما توا جميعاً جوعاً وعطشاً عقب إسلامهم بأيام قليلة (١) فالدوران في البوادي بغير زاد ليس من الإسلام وهو بذلك موزور لا مأجور وإن مات فهو كالمنتحر (٢) وبعض الصوفية يميل إلى القناعة والتوكل فيخوض في البوادي من غير زاد ليصحح التوكل وليس يدري أن ذلك بدعة لم تنقل عن الصحابة وسلف هذه الأمة ـ وقد كانوا أعلم بالتوكل منه ـ ما فهموا أن التوكل هو المخاطرة بالروح وترك الزاد بل كانوا يأخذون الزاد وهم متوكلون علىالله لا على الزاد (٣)

٣ ـ توكل المعيل (من له عيال)

يجب أن يلزم نفسه الصبر على الجوع مدة وعلى الإعتداد بالموت على الجوع رزقاً وغنيمة في الآخرة وذلك بمساعدة العيال له ، وله أن يتوكل في حقهم ونفسه أيضاً وعياله عنده ولا يجوز له أن يضيعها إلا أن تساعده على الجوع مدة فإن كان لا يطيقه لم يجزله التوكل أما من دخل البوادي وترك العيال توكلاً في حقهم أو القعود عن الاهتمام بأمرهم توكلاً في حقهم فهذا حرام لأنه قد يؤدي إلى هلاكهم ويكون هو مؤاخذاً بهم (٤) ولذلك روى أن أبا تراب النخشبي (٥) نظر إلى صوفي مديده إلى قشر بطيخ ليأكله بعد ثلاثة أيام فقال له لا يصلح لك التصوف إلزم السوق (٦) أي لا تصوف إلا مع التوكل ولا يصح التوكل إلا لمن يصبر عن الطعام أكثر من ثلاثة أيام .

---

(١) النقشبندية عرض وتحليل عبد الرحمن دمشقية ص٤٠ "بتصرف" (٢) الكشف عن الحقيقة الصوفية ص٣٩١

(٣) الكشف والتبين في غرور الخلق أجمعين ص٢٢١ (٤) الاحياء ج٤ص٢٨٩

(٥) عسكر بن حصين أو ابن محمد بن حصين النخشبي شيخ عصره في الزهد أخذ عنه الإمام أحمد بن حنبل وقف خمسة وخمسون وقفة بعرفات ومات بالبادية سنة ٢٤٥هـ (الأعلام ٥/٢٥،٢٦)

(٦) الرسالة القشيرية ص٢٠٨

وقال أبو علي الروذباري (*): إذا قال لك الصوفي بعد خمسة أيام أنا جائع فألزموه السوق ومروه بالعمل وبالكسب (١)

والفرق بين توكل المنفرد وتوكل المعيل هو أن صاحب المقام الثاني لا يصح توكله إلا بمساعدة عياله بخلاف المقام الأول أما من حيث ترك الكسب فلا فرق بين المقامين فإن الاثنين معرضان عن الكسب . (٢)

٤ ـ توكل المكتسب

وهو أن يخرج العبد ويكتسب مع الاكتفاء بقدر الحاجة من غير استكثار وتفاخر وادخار ومن غير أن يكون درهمه أحب إليه من درهم غيره فهو حريص على الدنيا ومحب لها (٣) فإن كان المكتسب مكتسباً لعياله أو ليفرق على المساكين فهو ببدنه مكتسب وبقلبه عنه منقطوع أي منقطوع عن الرغبة في طلب الكسب .

والدليل على أن الكسب لا ينافي حال التوكل أن الصديق رضي الله عنه لما بويع بالخلافة نزل إلى السوق وقد وضع أثواباً تحت حضنه والذراع في يده وصار ينادي لبيعها فاعترضه عمر وأبو عبيده رضي الله عنهما وقالا له : كيف تفعل ذلك وقد وليت أمور المسلمين؟ قال: فمن أين أطعم عيالي ؟ فنهياه عن الاشتعال بالتجارة لأنه تولى أمر المسلمين وفرضوا له في كل سنة ستة آلاف درهم (٤) وهذا يدل على أن أبا بكر رضي الله عنه كان متوكلاً لا باعتبار ترك الكسب والسعي بل باعتبار قطع الالتفات إلى

(*) أحمد بن محمد بن مقسم انتقل إلى مصر وتوفي بها سنة ٣٢٢ وقيل سنة ٣٢٣هـ صحب الجنيد والنوري وابن الجلاء وأسند الحديث (انظر الحلية ١/ ٣٥٦ والطبقات ١/ ١٠٦)

(١) الرسالة القشيرية ص١٦٩

(٢) دراسات في التصوف ص٣٣١ (٣) الاحياءج٤ ص٢٨٥

(٤) تاريخ الطبري ٥٤/٣ طبقات ابن سعد ٣ / ١٨٤ وتلبيس ابليس ص ٣٦٠

قوته وكفايته والعلم بأن الله هو ميسر الاكتساب ومدبر الأسباب وهذا هو أدنى مقام في التوكل على حد زعم أهل التصوف ٠

والغزالي يجعل مقام الميت جوعاً أعلى بدرجتين من مقام أبي بكر رضي الله عنه في التوكل !! في حين لو وضع إيمان أهل الأرض في كفة وإيمان أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ في أخرى لرجحت كفة أبي بكر رضي الله عنه والغزالي يقدح في توكل أبي بكر رضي الله عنه لأنه قام بالكسب والعمل لأهله واطعام عياله وكفايتهم ، ولو كان التكسب من أدنى مقامات التوكل لما طلبه الأنبياء ولما فعله نبينا صلى الله عليه وسلم (١) فقد قال صلى الله عليه وسلم (ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده وأن نبي الله داود ـ عليه السلام ـ كان يأكل من عمل يده)(٢)

والأنبياء كانوا يرعون الغنم كما قال عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم (ما بعث الله نبياً إلا وقد رعى الغنم ، فقال أصحابه وأنت ؟ فقال نعم كنت أرعى على قراريط لأهل مكة) (٣)

فهل نعرض عن هدى الأنبياء ونأخذ بقول الداراني (*): (من طلب المعاش فقد ركن إلى الدنيا) (٤)

٥ ـ التوكل العام : على الشفاعة (٥)

وهو التوكل في المضمون من الرزق المعلوم ، فالله قد أقسم بنفسه أن

---

(١) دراسات عن التصوف ص٣٣٢ (٢) أخرجه البخاري في الصحيح كتاب البيوع حديث رقم ٢٠٧٣

(٣) أخرجه البخاري في الصحيح كتاب الإجارة حديث رقم ٢٢٦٢ (٤) الاحياء ٢٤/٢

(*)أبو سليمان عبد الرحمن بن أحمد بن عطية العبسي أو العنسي أو الداراني وداريا قرية من قرى دمشق توفي سنة ٢٠٥ وقال السلمي سنة ٢١٥ (صفوة الصفوة ١٨٩/٤ والحلية ٩/ ٢٥٤ والطبقات ١/ ٧٩)

(٥) سراج القلوب ص١٤

الرزق في السماء كما أن كلامه حق وقد جمع بينهما في القسم بالذات لتسكن بذلك نفوس الخليقة عن النظر إلى الأداوات ليرتفع الشك ويحصل اليقين (١) فقال تعالى:﴿ فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون ﴾ (٢)

والتوكل العام له بعض الشروط ذكرها الصوفية ، قال:أبو تراب النخشي حين سئل عن التوكل فقال: التوكل طرح البدن في العبودية ، وتعلق القلب بالربوبية ، والطمأنينة إلى الكفاية فإن أعطى شكر وإن منع صبر راضياً موافقاً للقدر (٣)

وقال أبو بكر الزقاق (٤) عن التوكل : رد العيش إلى يوم واحد وإسقاط هم غد وسئل رويم (٥) عن التوكل فقال : الثقة بالوعد (٦) وترك كل سبب يوصل إلى سبب حتى يكون الحق هو المتولي لذلك (٧) .

فهؤلاء أشاروا إلى التوكل العام كلاً حسب حاله ومقامه .

---

(١) قوت القلوب ص٨

(٢) سورة الذاريات : آية ٢٣

(٣) اللمع ص٧٨

(٤) هو أحمد بن النصر الزقاق الكبير كان من أقران الجنيد ومن أكابر مصر (الرسالة القشيرية ص ٤١٧)

(٥) هو أبو الحسن رويم بن أحمد وفي طبقات الشعراني أبو محمد رويم بن أحمد وفي صفوة الصفوة رويم بن أحمد ويقال ابن محمد أبو الحسن بغدادي الأصل فقيهاً على مذهب داود الأصفهاني توفي سنة ٣٠٣ في بغداد ودفن بالشونيزية (الطبقات ١/ ٨٨ صفوة الصفوة ٢/ ٢٨٥ الحلية ١٠/ ٢٩٧)

(٦) اللمع ص ٧٨

(٧) الرسالة القشيرية ص ١٦٥

٦ ـ توكل أهل الخصوص : على الطاعة (١)

وهو شغل الخصوص بأعمال الآخرة وبالخدمة للمولى الذي وكل إليهم فإن يقوموا به لم يقم به غيره لهم ولم ينب غيره من الدنيا منابة (٢) لقوله تعالى : ﴿ وأن ليس للإنسان إلا ما سعى ﴾ (٣) وقوله سبحانه : ﴿ من كان يريد حرث الآخرة نزدله في حرثه ٠٠٠﴾ (٤)

وهو كما قال أبو العباس بن عطاء (٥): من توكل على الله لغير الله لم يتوكل على الله في توكله حتى يتوكل على الله بالله لله ويكون متوكلاً على الله في توكله لا لسبب آخر، أو كما قال أبو يعقوب النهرجوري (٦)، وقد سئل عن التوكل ، فقال : موت النفس عند ذهاب حظوظها من أسباب الدنيا والآخرة ،

وقد قال أيضاً أبو بكر الواسطي : أصل التوكل الفاقة والافتقار ، وأن لا يفارق التوكل في أمانيه ولا يلتفت بسره إلى توكله لحظة في عمره وهذا توكل المتوكلين وهم أهل الخصوص (٧).

---

(١) سراج القلوب ص١٤

(٢) قوت القلوب ص٨

(٣) سورة النجم : آية ٣٩

(٤) سورة الشورى :جزء من آية ٢٠

(٥)أحمد بن محمد بن سهل بن عطا الأدمي كان من ظراف مشائخ الصوفية له لسان في القرآن مختص به صحب الجنيد وإبراهيم المارستاني وكان أبو سعيد الخراز يعظم شأنه مات سنة ٣١١وقيل ٣٠٩ وقال ابن الجوزي توفي سنة ٣٠٩ هـ (الطبقات ١/ ٩٥ وصفوة الصفوة ٢/٢٨٧ الحلية ١٠/ ٣٠٢)

(٦)أبو يعقوب اسحق بن محمد بن أيوب النهرجوري صحب الجنيد وعمر بن عثمان المكي وأبا يعقوب السوسي وأقام بالحرم مجاوراً سنين كثيرة توفي سنة ٣٣٠ هـ (الطبقات ١/ ١١١ الحلية ١٠/ ٣٥٦)

(٧) اللمع ص٧٩

٧ ـ توكل خصوص الخصوص : على العناية (١)

وهو ما قاله الشبلي (٢) حين سئل عن التوكل فقال : أن تكون لله كما لم تكن ويكون الله تعالى لك كما لم يزل .

وكما قال بعضهم : حقيقة التوكل لا يقوم له أحد من خلقه على الكمال لأن الكمال بالكمال لا يكون إلا لله جل جلاله وسئل أبو عبد الله بن الجلاء (٣) عن التوكل فقال : الايواء إلى الله وحده في جميع الأحوال وسئل الجنيد عن التوكل فقال : اعتماد القلب على الله تعالى .

وقد حكى عن أبي سليمان الداراني أنه قال لأحمد بن أبي الحواري (٤): يا أحمد ، إن طرق الآخرة كثيرة وشيخك عارف بكثير منها إلا هذا التوكل المبارك فإني ما سمعت منه رائحة وليس لي منه مشام الريح .

وقال بعضهم : من أراد أن يقوم بحق التوكل فليحفر لنفسه قبراً ويدفنها فيه وينسى الدنيا وأهلها ؛ لأن حقيقة التوكل لا يقوم له أحد من الخلق على كماله (٥) فهذه إشارات إلى حقيقة توكل أخص الخصوص .

---

(١) سراج القلوب ص١٤

(٢) اختلف في ا سمه فقيل دلف بن جعفر وقيل دلف بن جحدر وقيل اسمه جعفر بن يونس أصلة خرساني من أهل سروسة من قرية يقال لها شبلية ومولده بسر من رأي صحب الجنيد وتفقه على مذهب الإمام مالك عاش سبعاً وثمانين سنة ومات سنة ٣٣٤ ودفن ببغداد (صفوة الصفوة ٢/ ٢٩٤ الطبقات ١٠٣/١ الحلية ١٠/ ٣١٦)

(٣) أبو عبد الله أحمد بن يحيى الجلاء من أهل بغداد لكنه انتقل فسكن الشام توفي سن ٣٠٦ (صفوة الصفوة ٢٨/٢ الطبقات ٨٧/١)

(٤) أحمد بن الحواري يكنى أبا الحسن واسمه ميمون سكن دمشق وكان له ابن يقال له عبد الله من الزاهدين توفي سنة ٢٠٣ (الصفوة ٤/ ٢٠١ الطبقات ٨٢/١)

(٥)اللمع ص٧٩

المبحث الثالث : أحوال المتوكلين وأعمالهم عند الصوفية :

إن أحوال المتوكلين تتفاوت في قوة الطمأنينة والثقة تفاوتاً لا ينحصر إلى أن ينتهي إلى اليقين الذي لا ضعف فيه ، ولا يتم التوكل إلا بقوة القلب وقوة اليقين جميعاً إذ بهما يحصل سكون القلب وطمأنينته فالسكون في القلب شيء واليقين شيء آخر فكم من يقين لا طمأنينة معه (١) كما قال تعالى لإبراهيم عليه السلام : ﴿ أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي ﴾ (٢) والتوكل حالة في القلب وهي الثقة بالوكيل الحق وقطع الالتفات إلى غيره (٣) وهذه الحالة لها في القوة والضعف ثلاث درجات :-

الدرجة الأولى : الثقة في الوكيل بعد اعتقاد كماله في الهداية والقدرة .

الدرجة الثانية : وهي أقوى أن يكون حاله مع الله تعالى كحال الطفل مع أمه فإنه لا يعرف غيرها ولا يفزع إلى أحد سواها فهو قد وثق بكفالتها وكفايتها وشفقتها ثقة ليست خالية عن نوع إدراك بالتمييز الذي له (٤) ولكنه في توكله فان عن توكله فإنه ليس يحصله بفكر وكسب وإن كان لا يخلو توكله عن نوع إدراكه (٥) والفرق بين الأول والثاني هو :-

أن الثاني متوكل وقد فني في توكله عن توكله إذ ليس يلتفت قلبه إلى التوكل وحقيقته ؛ بل إلى المتوكل عليه فقط فلا مجال في قلبه لغير المتوكل عليه .

أما الأول فيتوكل بالتكلف والكسب وليس فانياً عن توكله لأن له التفاتاً إلى توكله وشعورا به ، وذلك شغل صارف عن ملاحظة المتوكل عليه وحده وإلى هذه الدرجة أشار سهل حيث سئل عن التوكل : ما أدناه ؟ قال : ترك

---

(١) الاحياء ج٤ص٢٧٧ (٢) سورة البقرة أية : ٢٦٠

(٣) حياة القلوب في كيفية الوصول إلى المحبوب ص١٤٣ (٤) الاحياء ج٤ ص٢٧٨(٥) حياة القلوب ص١٤٣

الأماني قيل وأوسطه ؟ قال : ترك الاختيار وهو إشارة إلى الدرجة الثانية وسئل عن أعلاه فلم يذكره وقال : لا يعرفه إلا من بلغ أوسطه (١)

الدرجة الثالثة : أن يكون بين يدى الله تعالى كالميت بين يدي الغاسل لا كالصبي فإن الصبي يزعق بأمه ويتعلق بذيلها ؛ بل هذا كصبي علم أنه وإن لم يزعق بأمه فإنها تطلبه وإن لم يتعلق بذيلها تبتدئ بإرضاعه وإن لم يطلب منها ذلك فيكون هذا الشخص في حق الله تعالى ساقط الاختيار ليس بقلبه اضطراب بل يتلقى القدر والأحكام بالرضا والتسليم مع التفويض (٢) وهذا المقام في التوكل يثمر ترك الدعاء والسؤال منه ثقة بكرمه وعنايته ، وأنه يعطى ابتداء أفضل مما يسأل فكم من نعمه ابتدأها قبل السؤال والدعاء وبغير الاستحقاق ، والمقام الثاني لا يقتضي ترك الدعاء والسؤال منه وإنما يقتضي ترك السؤال من غيره (٣)

بيان ما قاله الصوفية في أحوال التوكل :

سئل ذو النون المصري : ما التوكل ؟ فقال : خلع الأرباب وقطع الأسباب ، فقال السائل زدني فقال إلقاء النفس في العبودية وإخراجها من الربوبية (٤) وهذا إشارة إلى التبري من الحول والقوة والمقصود بخلع الأرباب هو خلع ما سوى الله ـ تعالى ـ مما يتملك القلب ويسيطر على

---

(١) الاحياء ج٤ص٢٧٨

(٢) حياة القلوب ص١٤٤

(٣)الاحياء جـ٤ ص٢٧٨

(٤) الرسالة القشيرية ص١٦٥

شخصية الإنسان ويجعل الإنسان مسخراً له كالدرهم والدنيا وغيرها

وسئل حمدون القصار(١) عن التوكل ؟ فقال : إن كان لك عشرة آلاف درهم وعليك دانق دين لم تأمن أن تموت ويبقى دينك في عنقك ، ولو كان عليك عشرة آلاف درهم دين من غير أن تترك لها وفاء لا تيأس من الله أن يقضيها عنك وهذا إشارة إلى مجرد الإيمان بسعة القدرة وأن في المقدورات أسباباً خفية سوى هذه الأسباب الظاهرة (٢) وسئل أبو عبد الله القرشي عن التوكل ؟ فقال : التعلق بالله تعالى في كل حال ، فقال السائل زدني ؟ فقال : ترك كل سبب يوصل إلى سبب حتى يكون الحق هو المتولى لذلك ، فالأول عام للمقامات الثلاث والثاني إشارة إلى المقام الثالث خاصة ، وهو مثل توكل ابراهيم صلى الله عليه وسلم إذ قال له جبريل عليه السلام ألك حاجة ؟ فقال أما إليك فلا ، إذ كان سؤاله سبباً يفضي إلى سبب وهو حفظ جبريل له فترك ذلك ثقة بأن الله تعالى إن أراد سخر جبريل لذلك فيكون هو المتولى لذلك ، وهذا حال مبهوت غائب عن نفسه بالله تعالى فلم ير معه غيره وهو حال عزيز في نفسه ودوامه إن وجد أبعد منه وأعز (٣)

وقال أبو علي الدقاق (٤): التوكل ثلاث درجات : التوكل ثم التسليم ثم

---

(١) أبو صالح حمدون بن أحمد بن عمارة القصار توفي سنة ٢٧١ هـ بنيسابور انتشر عنه مذهب الملامتية بنيسابور صحب سلمان الباروسي وأبا تراب النخشبي (الرسالة القشيرية ص ٤٢٦)

(٢) الاحياء جـ٤ ص٢٨١

(٣) الاحياء جـ٤ ص٢٨١

(٤) انظر ترجمته في الطبقات الكبرى للشعراني ج١ص٨٩

التفويض ، فالمتوكل يسكن إلى وعده وصاحب التسليم يكتفي بعمله وصاحب التفويض يرضى بحكمه فالتوكل بداية ، والتسليم واسطة ، والتفويض نهاية ، فالتوكل صفة المؤمنين والتسليم صفة الأولياء والتفويض صفة الموحدين ، التوكل صفة العوام . والتسليم صفة الخواص والتفويض صفة خاصة الخاصة ، التوكل صفة الأنبياء والتسليم صفة إبراهيم الخليل والتفويض صفة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم (١)

ومعنى هذا التوكل : اعتماد الموكل على الوكيل وقد يعتمد الرجل على وكيله مع نوع اقتراح عليه وإرادة وشائبة منازعة ، فإذا سلم إليه زال عنه ذلك ورضى بما يفعله وكيله وحال فوق هذا فإنه طالب مريد ممن فوض إليه ملتمس منه أن يتولى أموره فهو رضى واختيار وتسليم واعتماد (٢)

---

(١) مدارج السالكين جـ ٢ص١٢٢

(٢) مدارج السالكين جـ ٢ص١٥٣

وبعد فهذا بعض كلام الصوفية عن أحوال المتوكلين وسأعرض بعض هذه الأحوال : ـ

أولاً : ـ التعرض لأسباب الادخار:

لمن حصل له مال بإرث أو كسب أو سؤال أو سبب من الأسباب فله في الادخار عند الصوفية ثلاثة أحوال : ـ

أ ـ أن يأخذ قدر حاجته فيأكل إن كان جائعاً ويلبس إن كان عارياً ويشتري مسكناً مختصراً إن كان محتاجاً ويفرق الباقي في الحال ، ولا يأخذه ولا يدخره إلا بالقدر الذي يدرك به من يستحقه ويحتاج إليه فيدخره على هذه النية فهذا هو الوفي بموجب التوكل تحقيقاً وهي الدرجة العليا .

ب ـ أن يدخر لسنة فما فوقها فهذا ليس من المتوكلين أصلاً ؛ وقد قيل لا يدخر من الحيوانات إلا ثلاثة : الفأرة.والنملة وابن آدم ـ على حد زعمهم ـ

جـ ـ أن يدخر لأربعين يوماً ؛ فهذا يوجب حرمانه من المقام المحمود الموعود في الآخرة للمتوكلين (١) وكلما قلّت مدة الإدخار كانت الرتبة أعظم شأناً وقدراً (٢) ورداً على ذلك أقول وبالله التوفيق :

---

(١) الاحياء ج٤ ص٢٧٦

(٢) الأربعين في أصول الدين أبي حامد الغزالي طبعة دار الآفاق الجديدة بيروت ص ١٨٧

إذا كان العبد يستشعر في نفسه اضطراباً يشغل قلبه عن العبادة والذكر والفكر فالادخار له أولى ، فالرسول عليه الصلاة والسلام بعث إلى أصناف الخلق وفيهم التجار والمحترفون وأهل الحرف والصناعات فلم يأمر التاجر بترك تجارته ولا المحترف بترك حرفته ، بل إنه أمر من ليس له حرفه بالعمل والكسب فقال صلى الله عليه وسلم : (لأن يحتطب أحدكم حزمة على ظهره خير من أن يسالأ أحداً فيعطيه أو يمنعة) (١) ودعا الكل إلى الله تعالى وأرشدهم إلى أن فوزهم ونجاتهم فى انصراف قلوبهم عن الدنيا زهداً وورعاً لا ترك العمل بالكلية وإنما السعي والتوجيه إلى الله تعالى لأنه هو مقدر الأرزاق والصواب في ذلك أن الادخار قدر الحاجه لا ينافي الشريعة وما ذهب إليه الصوفية فلا يعتد به وما أوردوه من تقسيمات في هذا الشأن ليس لها سند ولا يعضدها دليل ويتأكد الادخار في حق المعيل أكثر من غيره ولا يخرج عن حد التوكل بادخار قوت سنة لعياله جبراً لضعفهم وتسكيناً لقلوبهم وقد اضطربت أقوال الصوفية في ذلك حتى إن بعضهم قال بأفضلية عدم جمع المال ورأى أن من جمع المال أو قال به فقد خالف سنة الرسول صلى الله عليه وسلم •

(١) رواه البخاري في الصحيح كتاب البيع حديث رقم ٢٠٧٤

ومن كلام الحارث المحاسبي في هذا أنه قال : أيها المفتون متى زعمت أن جمع المال الحلال أعلى وأفضل من تركة فقد أزريت بمحمد صلى الله عليه وسلم والمرسلين وزعمت أن محمداً لم ينصح الأمة إذ نهاهم عن جمع المال وقد علم أن جمعه خيراً لهم (١) والتحقيق في هذا نجد أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ادخر لأهله قوت سنة (٢)

فهل يخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مقام المتوكلين بناء على المنهج الصوفي الفاسد في التوكل (٣) وكلام المحاسبي فخطأ و يدل على جهل بالعلم وقوله : إن الله ـ عز وجل ـ نهى عباده عن جمع المال وإن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ نهى أمته عن جمع المال فهذا محال إنما النهي عن سوء القصد بالجمع أو عن جمعه من غير حله (٤)

ثانياً : أحوال المتوكلين في مباشرة الأسباب الدافعة للضرر المعرض للخوف (٥) •

يقف بعض الصوفية من الأخطار والأسباب المؤدية لها موقفاً سلبياً لاعتقادهم أن ذلك يخالف التوكل ، ولذلك يلقون أنفسهم بالمهالك ويتعرضون لمخاطر الوحوش الكاسرة ولا يصاحبون من يخافها أو يتخذ

---

(١) الأربعين في أصول الدين أبي حامد الغزالي دار الآفاق الجديدة بيروت ص١٨٧ وهذا الكلام المنسوب للمحاسبي يخالف ما ذكره في كتابه (المكاسب) تحقيق عبد القادر أحمد ، مؤسسة الكتب الثقافية ص ٦١ إذ أنه يعيب على بعض الصوفية جلوسهم عن الكسب،وهذا يبن اضطراب القوم وتضاد أقوالهم في كثير من المسائل •

(٢) تلبيس ابليس ص٢٤٠ - ٢٤١ وحديث (ادخر لعيله قوت سنة) رواه البخاري في الصحيح كتاب النفقات حديث رقم ٦٨٨٣

(٣) درا سات عن التصوف ص ٣٣٠

(٤) تلبيس إبليس ص ٢٤٤

(٥) الاحياء جـ ٤ ص ٢٩٦

الوسائل والأسباب المعينة له لحماية نفسه من أضرارها (١) ولا يقتلون العقارب والحيات حتى لو سعت على أجسادهم ويمنعون من يريد أن يقتلها (٢) ومنهم من ينزل إلى المياه وسط التماسيح متعمداً لذلك الفعل دون أن يأخذ أدنى احتياط (٣) ويدعون أنهم لا يخافون من المؤذيات جميعاً ؛ لأنهم في مقام اليقين (٤) •

أقول إن هذه الأعمال والأفعال ليست من التوكل في شيء ؛ لأن صيانة النفس من الأذى واجب على كل إنسان قال ـ تعالى ـ : ﴿ وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة وأحسنوا إن الله يحب المحسنين ﴾ (٥) ثم إن الخوف أمر فطري وقد خاف الأنبياء والرسل عليهم السلام وهم قطعاً أفضل وأعز من الصوفية قال تعالى : عن خليله إبراهيم ﴿ فلما رأى أيديهم لاتصل إليه نكرهم وأوجس منهم خيفة ﴾ (٦) وقال تعالى عن موسى عليه السلام : ﴿ فأوجس في نفسه خيفة موسى ﴾ (٧) وقال ـ تعالى ـ عن داود ـ عليه السلام ـ ﴿إذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا لاتخف ﴾ (٨) وكذلك ليس من التوكل عدم دفع ما فيه ضرر في النفس

---

(١) انظر اللمع ص ٢٣٦

(٢) المرجع السابق ص ٢٥٠

(٣) انظر كرامات الأولياء جـ ٢ ص٢٧٨

(٤) المرجع السابق جـ ٢ص ٢٧٩

(٥) سورة البقرة آية ١٩٥

(٦) سورة هود جزء من الآية ٧٠

(٧) سورة طـه الآية ٦٧

(٨) سورة ص جزء من الآية ٢٢

كالنوم في الأرض المسبعة أو تحت الجدار المائل فكل ذلك منهى عنه وصاحبه قد عرض نفسه للهلاك من غير فائدة •

وتبعاً لذلك فتنقسم الأسباب الدافعة للضرر إلى : مقطوع بها ومظنونة وإلى موهومه فترك الموهوم منها من شرط التوكل وهي التي نسبتها إلى دفع الضرر نسبة الكي والرقية فإن الكي والرقية قد تقدم به على المحذور دفعاً لما يتوقع وقد يستعمل بعد نزول المحذور للإزالة ورسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم يصف المتوكلين إلا بترك الكى والرقية والطيرة .

وأما ترك الأسباب الدافعة للضرر ففيها تفصيل حتى وإن كانت مقطوعة فإذا ناله الضرر من إنسان فإنه إذا أمكنه الصبروهو قادر على الدفع والتشفي فشرط التوكل الاحتمال والصبر خصوصاً إذا كان في ذلك تحقيق مصلحة دينية أو دنيوية مشروعة قال الله تعالى : ﴿ •••فاتخذه وكيلاً واصبر على ما يقولون ﴾ (١) وقال سبحانه وتعالى ﴿ فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل •••﴾ (٢) وقال تعالى : ﴿ •••نعم أجر العاملين الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون ﴾ (٣) هذا في أذى الناس ، وأما الصبر على أذى الحيات والسباع والعقارب فترك دفعها ليس من التوكل في شيء إذ لا فائدة فيه •

أما الأسباب الدافعة للأذى المحقق أو المتوقع فلا ينقص التوكل باتخاذها كإغلاق باب البيت عند الخروج ولا بأن يعقل ثم يتوكل على الله لقوله ـ

---

(١) سورة المزمل جزء من الأيتين ٩،١٠

(٢) سورة الأحقاف جزءمن الأية ٣٥

(٣) سورة العنكبوت جزء من الأيتين ٥٨، ٥٩

صلى الله عليه وسلم ـ : (اعقلها وتوكل) (١) كما أن اتخاذ الحذر والحيطة لايقدح بالتوكل لأمر الله به إذ قال تعالى : ﴿ ٠٠٠خذوا حذركم ٠٠٠ ﴾ (٢) وقد شرع الله صلاة الخوف بعدة صفات تتناسب مع الأحوال التي يكون فيها القتال (٣) قال تعالى في كيفية صلاة الخوف :﴿ ٠٠٠وليأخذوا أسلحتهم ٠٠٠ ﴾ (٤) حذراً من مباغتت الأعداء وقال ـ سبحانه ـ: ﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ٠٠٠ ﴾ (٥) لصد أي خطر قادم وقال تعالى لموسى عليه السلام : ﴿ فأسربعبادي ليلاً إنكم متبعون ﴾ (٦) لأن السير بالليل سبب للاختفاء عن أعين الأعداء وهذه الأسباب التي أمر الله بها أما أسباب مقطوع بها أومظنونه وأما السبب الموهوم هو الذي يقتضي التوكل تركه وإذا أخذ المتوكل سلاحه حذراً من العدو وأغلق بابه حذراً من اللص وعقل بعيره حذراً من أن ينطلق يكون متوكلاً بالعلم والحال فأما العلم فهو علمه بأنه لا يندفع شيء إلا بدفع الله ـ تعالى ـ إياه وأما الحال فهو أن يكون راضياً

---

(١) سبق تخريجه ص٢٢٤

(٢) سورة النساء جزء من الأية ٧١

(٣) انظر حاشية الروض المربع ج٢ ص٤١١

(٤) سورة النساء جزء من الأية ١٠٢

(٥) سورة الأنفال جزء من الأية ٦٠

(٦) سورة الدخان الأية ٢٣

والمتوكل لا يخلو بيته من ضرورات الحياة ومن أثاث البيت وقد يدخل في يده مال وهو يمسكه ليجد محتاجاً فيصرفه إليه فلا يكون ادخاره على هذه النية مبطلان لتوكلة (١)

ويرى الصوفية أن للمتوكل أربعة آداب في متاع بيتة إذا خرج عنه:

الأول : أن يغلق الباب ولا يستقصي في أسباب الحفظ كالتماسك من الجيران بالحفظ مع الغلق أو كجمعه أغلاقاً كثيرة فقد كان مالك بن دينار(٢) لا يغلق بابه ولكن يشده بشريط ويقول : لولا الكلاب ما شددته أيضاً .

الثاني: ألا يترك في البيت متاعاً يحرص عليه السراق فيكون هو سبب معصيتهم .

الثالث : أما ما يضطر إلى تركه في البيت فينبغي أن ينوي عند خروجه الرضا بما يقضي الله فيه من تسليط سارق عليه ويقول : ما يأخذه السارق فهو في حل أو في سبيل الله تعالى وإن كان فقيراً فهو عليه صدقة .

الرابع : أنه إذا وجد المال مسروقاً فينبغي أن لا يحزن بل يفرح إن أمكنه ويقول : لولا أن الخيرة كانت فيه لما سلبه الله تعالى ،ثم إن لم يكن قد جعله في سبيل الله عز وجل فلا يبالغ في طلبه وفي إساءة الظن بالمسلمين وإن كان قد جعله في سبيل الله عزو جل فيترك طلبه فإنه قد قدمه ذخيرة لنفسه إلى الآخرة فإن أعيد عليه فالأولى أن لا يقبله بعد أن كان قد جعله في سبيل الله عز وجل وإن قبله فهو في ملكه في ظاهر العلم

---

(١) الاحياء جـ٤ ص٢٩٧

(٢) مالك بن دينار يكنى أبا يحيى مولى لامرأة من بني سامة بن لوي وكان ثقة قليل الحديث وكان يكتب المصاحف أسند عن أنس بن مالك وعن جماعة مَن كبار التابعين وتوفي قبل الطاعون سنة ١٣١ (طبقات ابن سعد ٧/ ١٨٠ طبقات الشعراني ١/٧٧ صفوة الصفوة ٣/١٨٤)

لأن الملك لا يزول بمجرد تلك النية ولكنه غير محبوب عند المتوكلين (١) وليس من التوكل أن يتعقب المرء الجناة لينالوا على يد الوالي جزاء ما قدمت أيديهم بل التوكل هو أن لا يحزن بل يفرح حين يسرق ، وأن يغتم لأن هذا السارق المسكين عصى الله وتعرض لعذابه ، وأن يشكر الله أن جعله من المظلومين لا من الظالمين (٢)

وأن يجعل الرجل ما سرق منه ذخيرة له في الآخرة وإن أعيد إليه فالأولى أن لا يقبله.(٣)

ثانياً : حالة المتوكلين في إزالة الضار الذي قد نزل به كالتداوي من المرض وأمثاله .

يقول الغزالي : اعلم أن الأسباب المزيلة للمرض تنقسم إلى مقطوع به كالماء المزيل لضرر العطش وإلى مظنون كالفصد والحجامة وشرب الدواء المسهل وسائر أبواب الطب وهي الأسباب الظاهرة وإلى موهوم كالكي والرقية . أما المقطوع فليس من التوكل تركه ؛ بل تركه حرام عند خوف الموت وأما الموهوم فشرط التوكل تركه إذ به وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم المتوكلين وأقواها الكي ويليها الرقية والطيرة آخر درجاتها والاعتماد عليها والاتكال إليها غاية التعمق في ملاحظة الأسباب ، وأما الدرجة المتوسطة وهي المظنونة كالمداواة بالأسباب الظاهرة عند الاطباء ففعله ليس مناقضاً للتوكل بخلاف الموهوم ؛ بل قد يكون أفضل من فعله في بعض الأحوال وفي بعض الأشخاص فهو على درجة بين الدرجتين

---

(١) الاحياء جـ٤ ص٢٨١ - ٢٨٢

(٢) دراسات عن التصوف ص٣٣٤

(٣) الأخلاق عند الغزالي ص١٨٨ - ١٨٩

ويدل على أن التداوي غير مناقض للتوكل (١) قول الرسول صلى الله عليه وسلم وأمره به فأما أمره صلى الله عليه وسلم فبقوله (تداووا فإن الذي أنزل الداء أنزل الدواء) (٢) وأما قوله فقد قال عليه السلام : (ما أنزل الله داء إلا وأنزل له شفاء) (٣)

وسئل صلى الله عليه وسلم عن الدواء والرقي هل ترد من قدر الله شيئاً ؟ قال صلى الله عليه وسلم : (هي من قدر الله)(٤) ويجوز عند بعض الصوفية ترك التداوي لأسباب عديدة منها :

١ ـ أن يكون المريض من المكاشفين وقد كوشف بأنه انتهى أجله وأن الدواء لا ينفعه .

٢ ـ أن يقصد العبد بترك التداوي استبقاء المرض لينال ثواب المرض بحسن الصبر على بلاء الله تعالى أو ليجرب نفسه في القدرة على الصبر

٣ ـ أن يكون العبد قد سبق له ذنوب وهو خائف منها عاجزعن تكفيرها فيرى المرض إذا طال تكفيراً فيترك التداوي خوفاً من أن يسرع زوال المرض (٥).

---

(١) الاحياء جـ٤ ص٣٠١

(٢) كشف الخفاء حديث رقم ٩٦١

(٣) رواة البخاري في الصحيح كتاب الطب حديث رقم ٥٦٧٨

(٤) رواة ابن ماجة في سننه كتاب الطب حديث رقم ٣٤٣٧

(٥) انظر الاحياء ج٤ ص٣٠٤

وللرد على ذلك أقول وبالله التوفيق :

إن قول الصوفية الأول فيه اثبات علم المكاشفة بإنتهاء الأجل وهذا من الغيب الذي لا يعلمه إلا الله وحده سبحانه قال ـ تعالى ـ في سورة لقمان ﴿إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير﴾ (١) وروى البخاري عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : (مفاتيح الغيب خمس لايعلمها إلا الله : لايعلم ماتغيض الأرحام إلا الله ولايعلم مافي غد إلا الله ولايعلم متى يأتي المطر أحد إلا الله ولاتدري نفس بأي أرض تموت إلا الله ولايعلم متى تقوم الساعة إلا الله) (٢)

والقول الثاني يبررون فيه ترك التداوي لنيل ثواب المرض بالصبر على البلاء وهذا محل نزاع وعلى أية حال فالعبد مأجور بصبره على ما لا يملك رده من البلاء أما صبره عما يملك رده من هلاك أو مرض فالصحيح عدم ذلك فقد يكون مسئولاً عن إهلاك نفسه في حين كان يملك السبب الذي يدفع

---

(١) سورة لقمان الآية ٣٤

(٢) صحيح البخاري كتاب التوحيد حديث رقم ٧٣٧٩

به هذه التهلكة (١) وقد سأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أفضل الدعاء فقال : (سل الله العفو والعافية في الدنيا والآخرة)(٢) وقال صلى الله عليه وسلم : (ما من دعوة يدعو بها العبد أفضل من اللهم إني أسألك المعافاة في الدنيا والآخرة) (٣)

وأما القول الثالث فإن حالة قريب من الأمر الثاني فإن ترك التداوي يعرض صاحبه للموت وهذا قد لا يكون كفارة للذنوب بل يحتمل أن يكون زيادة فيها ومخالف لهدي الرسول الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ حيث أمر بالتداوي فقال صلى الله عليه وسلم :(تداووا فإن الذي أنزل الداء أنزل الشفاء) (٤) وكذلك أمر عليه السلام بسؤال العافية كما مر في الحديثين السابقين .

---

(١) دراسات حول التصوف ص٣٣٣

(٢) حديث صحيح رواه ابن ماجة في سننه كتاب الدعاء حديث رقم ٤٣٤٨

(٣) حديث صحيح رواه ابن ماجة في سننه كتاب الدعاء حديث رقم ٣٨٥١

(٤) كشف الخفاء حديث رقم ٩٦١

ثالثاً : أقوال الصوفية في إزالة الضار الذي قد نزل بالمتوكل :

دخل ذو النون على مريض من أصحابه يعوده فقال له : ليس بصادق في حبه من لم يصبر على ضربه فقال المريض : ليس بصادق في حبه من لم يتلذذ بضربه (١) وكان بأبي يعقوب النهرجوري : وجع في بطنه سنين وكان يقول : أعرف دواءه بقيراط فضه يذهب بهذه العلة ولكن لم يداوه إلى أن خرج من الدنيا وكان علاجه الكي فكان لايداويه من أجل النهي (٢)

وكان بسهل بن عبد الله البواسير الظاهرة فكان يحتاج أن يتوضأ لكل صلاة وكان يقول : أعرف له دواء بقيراط ولم يداوه إلى أن خرج من الدنيا وكان لا يداويها حتى لا تنكشف عورته ولا ينظر إلى عورته أحد (٣)

ويقال إن بشراً الحافي مرض مرضه فدخل عليه الطبيب فأخذ بشر يصف للطبيب ما به فقيل له : يا أبا نصر ، أما تخشى أن تكون هذه شكاية فقال لا ، إنما أخبره بقدرة القادر عليّ (٤)

فهذه أقوال لبعض الصوفية وأحوال المتوكلين التي كانت لهم ، وفي تحقيق هذا الأمر أقول وبالله التوفيق : إذا ثبت أن التداوي مباح بالإجماع مندوب إليه عند بعض العلماء فلا يلتفت إلى قول قوم قدروا أن التداوي خارج عن التوكل لأن الإجماع على أنه لا يخرج من التوكل وقد صح عن

---

(١) اللمع ص٢٧١
(٢) اللمع ص٢٧١
(٣) اللمع ص٢٧٢
(٤) اللمع ص٢٧٢

رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه تداوى وأمر بالتداوي ولم يخرج بذلك من التوكل ولا أخرج من أمره أن يتداوى من التوكل وفي صحيح مسلم من حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم (رخص إذا اشتكى المحرم عينه أن يضمرها بالصبر) (١) ، ففي هذا الحديث دليل على فساد ما يقوله ذوو الغباوة من أهل التصوف والعباد من أن التوكل لا يصح لأحد عالج علة به في جسده بدواء إذ ذاك عندهم طلب العافية من غير من بيده العافية والضرر والنفع وفي إطلاق النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ للمحرم علاج عينه بالصبر لرفع المكروه أول دليل على أن معنى التوكل غير ما قاله المتصوفة (٢) فإذا أبيح الدواء للمحرم كان مباحاً لغيره من باب أولى ، وشواهد إباحة التداوي كثيرة ومما يدل على ذلك أنه يندر أن نجد كتاب حديث نبوي إلا وفيه باب للطب مما يؤكد أن التطبب والتداوي مباح في الإسلام متى كان وفق الهدي النبوي الشريف(٣)

---

(١) صحيح مسلم كتاب الحج حديث رقم ٧٢٩

(٢) تلبيس ابليس ص٣٦٦

(٣)انظر مثلاً صحيح البخاري كتاب الطب وصحيح مسلم كتاب الطب وغيرهما من كتب الحديث

ثالثاً : أعمال المتوكلين :

إن الله سبحانه قد أمر العباد بالاكتساب وطلب المعاش ليستعينوا بذلك على طاعة الله والله يقول في كتابه العزيز ﴿... وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون ﴾ (١) فقرن بين الاكتساب وبين العبادة وقال﴿ وماأصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم..﴾ (٢) فسمى جناية المرء على نفسه كسباً والمرء لا ينال من الدرجات أعلاها إلا بالاكتساب فهو معين له على أداء الفرائض فإذا أراد العبد الصلاة لا بد له من ثياب يستر عورته ولا يحصل له ذلك إلا بالكسب وهو طريقة المرسلين صلوات الله عليهم أجمعين ونحن مأمورين بالاقتداء بهديهم قال تعالى ﴿ أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده...﴾ (٣) وأول من اكتسب أبونا آدم ـ عليه السلام ـ قال تعالى: ﴿ فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى ﴾ (٤) أي تتعب في طلب الرزق وقال مجاهد رحمه الله في تفسيره لا تأكل خبزاً بزيت حتى تعمل عملاً إلى الموت (٥) والله سبحانه لما شرع التوكل لعباده أباح لهم الحركة وحد لهم حدوداً في الحركة وفرض عليهم فروضاً أحكمها وبينها في كتابه وعلى لسان نبيه عليه السلام فقال﴿ ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقاً من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون ﴾ (٦) وقال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم...﴾(٧) وقال عليه السلام:(إن الله حرم عليكم دماءكم وأموالكم وأعراضكم) (٨) فبين الله تعالى الغرض من ذلك على الخلق في كتابه وسنة نبيه وفيما اجتمع عليه أهل العلم وهو أن يوافقوه في الحركة فمن كانت حركاته في طلب الرزق

---

(١) سورة الجمعة جزء من أية : ١٠ (٢) سورة الشورى أية : ٣٠ (٣) سورة الأنعام اية : ٩٠ (٤) سورة طه أية : ١١٧
(٥) الاكتساب في الرزق المستطاب ص١٩ وانظر مختصر تفسير ابن كثير ج٢ ص٤٩٦ (٦) سورة البقرة أية : ١٨٨
(٧) سورة البقرة اية ٢٦٧ (٨) رواة البخاري في الصحيح كتاب الأدب حديث رقم ٦٠٤٣

من إقامة الحق وتصحيح الورع في المتجر وفي الصناعات كان لله بذلك مطيعاً محموداً عند أهل العلم ومن خالف شيئاً من ذلك فتعدى في الحركة وتخلف عما يجب عليه من الصدق كان بذلك مذموماً قد نقص بذلك توكله ولم يؤد فرضه (١) والكسب نوعان كسب من المرء لنفسه وكسب منه على نفسه فالكاسب لنفسه هو الطالب لما لا بد له من المباح والكاسب على نفسه هو الباغي لما عليه فيه جناح نحو ما يكون من السارق والنوع الثاني منه حرام بالاتفاق قال تعالى : ﴿ ومن يكسب إثماً فإنما يكسبه على نفسه.. ﴾ (٢) وقال عز وجل ﴿ ومن يكسب خطيئة أو إثماً ••• ﴾ (٣) والمذهب عند الفقهاء من السلف والخلف رحمهم الله : أن النوع الأول من الكسب مباح على الإطلاق (٤) ولا يضر التكسب لمن يصح توكله ولا يقدح في مقامه ولا ينقص من حاله قال الله سبحانه ﴿ وجعلنا النهار معاشا ﴾ (٥) وقال تعالى: ﴿ وجعلنا لكم فيها معايش قليلاً ما تشكرون ﴾(٦) . والتوكل من شرط الإيمان ووصف الإسلام قال تعالى ﴿ وقال موسى ياقوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين ﴾ (٧) فاشترط في الإيمان به والإسلام له التوكل عليه فإن كان حال المتوكل التصرف فيما قد وجه فيه ودخل في الأسباب وهو ناظر إلى المسبب في تصريفه معتمداً عليه واثق في حركته متسبب فيما يقلبه فيه مولاه متعيش فيما يسببه له ويكون متبعاً للسنة والأثر تاركاً للترفه والتنعيم فهو في تكسبه وتصرفه أفضل مما دخلت عليه العلل في توكله (٨)

---

(١) الاكتساب ص٥٠ ،٥١ (٢) سورة النساء آية ١١١ (٣) سورة النساء آية ١١٢ (٤) الاكتساب ص٢١
(٥) سورة النبأ آية : ١١ (٦) سورة الأعراف آية :١٠ (٧) سورة يونس آية : ٨٤ (٨) قوت القلوب ص١٧

وشروط الكسب أن لا يركن إلى كسبه ولا يرى رزقه من كسبه ولا يكون في كسبه مغتنماً بل ينوي بذلك معاونة المسلمين ولا يشغله كسب عن أول أوقات الصلاة المفروضة ، ويتعلم العلم حتى لا يأكل الحرام فمتى ما ترك خصلة من هذه الخصال فقد صار كسبه معلولاً بعاهة وإن كان له إخوان ممن لم يكتسبوا ويعلم أنهم محتاجون فيجب عليه أن يتفقدهم بما فضل من قوته فمن لم يقم بهذه الشروط فأخشى عليه الغلط في اعجابه وتعلقه باكتسابه (١) وسئل الجنيد عن الكسب فقال : يستقي الماء ويلقط النوى (٢) وسأل رجل صوفياً (٣) بالبصرة وكان يتكلم في فضل المكاسب فقال له : أيها الشيخ ، نحن مستعبدون بالكسب أم بالتوكل فقال التوكل حال الرسول صلى الله عليه وسلم والكسب سنة الرسول صلى الله عليه وسلم وإنما استن لهم الكسب لعلمه بضعفهم حتى إذا سقطوا عن درجة التوكل التي هي حالة لا يسقطون عن درجة طلب المعاش التي هي سنته ولولا ذلك لهلكوا (٤)

وزعم أهل التقشف وحمقى أهل التصوف أن الكسب حرام لا يحل إلا عند الضرورة بمنزلة تناول الميتة وقالوا إن الكسب ينفي التوكل على الله أو ينقص منه وقد أمرنا بالتوكل قال تعالى ﴿ ...وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين ﴾ (٥) فما يتضمن نفي ما أمرنا به من التوكل يكون حراماً والدليل على أنه ينفى التوكل قوله صلى الله عليه وسلم (لو توكلتم على الله حق التوكل لرزقكم كما يرزق الطير تغدوا خماصاً وتروح بطاناً) (٦) وقال تعالى﴿وفي السماء رزقكم وما توعدون ﴾ (٧) وفي هذا حث على

---

(١) اللمع ص٥٢٤ (٢) اللمع ص٢٥٩

(٣) هو يوسف بن سالم خالد السلمي وهو جد الشيخ أبي عبد الرحمن السلمي شيخ القشيري (٤) اللمع ص ٢٥٩

(٥) سورة المائدة أية : ٢٣ (٦) أخرجه أحمد في مسنده ٥٢/١ والترمذي والحالكم (فيض القدير حديث رقم ٧٤٢٠)

(٧) سورة الذاريات : ٢٢

ترك الاشتغال بالكسب وبيان أن ما قدر له من الموعود يأتيه لا محاله وقال تعالى ﴿ وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها ٠٠٠﴾ (١) والخطاب في الآية وإن كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم فالمراد منه أمته فقد أمروا بالصبر (٢) والصلاة وترك الاشتغال بالكسب بطلب الرزق قال تعالى : ﴿ وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ٠٠٠﴾ (٣) وقد حدد الصوفية الأسباب التي بها يجلب النافع المفقود عندهم على ثلاث درجات مقطوع به ، مظنون ظناً يوثق به،وموهوماً وهماً لا تثق النفس به ثقة تامة

الدرجة الأولى : المقطوع به وذلك مثل الأسباب التي ارتبطت المسببات بها بتقدير الله ومشيئته ارتباطاً مطرداً لا يختلف والتوكل في هذا المقام بالحال والعلم فالحال أن يكون سكون قلبك واعتمادك على فعل الله والعلم بأن تعلم بأن الله خلق كل شيء (٤)

الدرجة الثانية : الأسباب التي ليست متيقنة ولكن الغالب أن المسببات لا تحصل دونها وكان احتمال حصولها دونها بعيداً – كالذي يطرق البوادي من غير استصحاب زاد – وهذا ليس شرطاً في التوكل بل استصحاب الزاد سنة الأولين ولا يزول التوكل به بعد أن يكون الاعتماد على فضل الله تعالى لا على الزاد وفعل ذلك جائز وهو من أعلى مقامات التوكل (٥)

---

(١) سورة طه آية : ١٣٢

(٢) الاكتساب ص٢١

(٣) سورة الذاريات آية : ٥٦

(٤) الاحياء جـ٤ ص٢٨٢

(٥) الأحياء جـ٤ ص٢٨٢

الدرجة الثالثة : ملابسة الأسباب التي يتوهم افضاؤها إلى المسببات من غير ثقة ظاهرة وهذا يخرج بالكلية عن درجات التوكل كلها وهو الذي فيه الناس كلهم : أعني من يكتسب بالحيل الدقيقة اكتساباً مباحاً لمال مباح فأما أخذ الشبهة أو اكتساب بطريق فيه شبهه فذلك غاية الحرص على الدنيا والاتكال على الأسباب وهذا يبطل التوكل (١)،

وقال بعض الصوفية : إذا استوى عند العبد وجود السبب وعدمه وكان قلبه ساكناً مطمئناً عند العدم لم يشغله ذلك عن الله ولم يتفرق همه فترك التكسب والقعود لهذا أفضل لشغله بحاله وتزوده لمعاده وقد صح له مقام في التوكل (٢) وعلى هذا فالتكسب والأسباب طرق أودعها العطاء والأرزاق لا هي تعطي وترزق فالمتوكل المتسبب موقن أن الله سبحانه وتعالى هو المعطي والمانع وأنه هو المسبب الرازق والذي ينقص التوكل هو اكتساب الشبهات أو السعي بالتكسب للجمع والافتخار او التشرف إلى الخلق أو الطمع في سبب فهذا لا يصح معه التوكل ، والتارك للتكسب والتصرف في الأسواق إذا كان في أدنى كفاية وأعين بالصبر فهذا أفضل من المتكسب إذا خاف أن لا ينال المعيشة إلا بمعصية الله أو خيانة لأخوانه ، والتكسب ليس بفرض وقد يفترض بأحد معنيين بوجود العيال وعدم كفايتهم بوجه من الوجوه المباحة وليس للعبد أن يحمل حال عياله على حاله إلا أن يكون اختيارهم كاختياره وصبرهم على فقرهم ومعرفتهم بفضله كمعرفته فهذا جائز حينئذ يسير بهم سيرته ويسقط عنه التكسب لأجلهم (٣) فالتوكل ليس انقطاعاً عن الأسباب بل الاعتماد على الصبر

---

(١) الاحياء جـ٤ ص٢٨٢

(٢) قوت القلوب ص١٧

(٣) قوت القلوب ص١٨

على الجوع مدة والرضا بالموت إن تأخر الرزق نادراً وملازمة البلاد والأمصار فهذه كلها أسباب البقاء ولكن مع نوع من الأذى إذ لا يمكن الاستمرار عليه إلا بالصبر ولا يكن في التوكل منتظر للأسباب بل لمسبب الأسباب وهذا شرط توكل من يخوض البوادي بلا زاد أو يقعد في الأمصار وهو خامل ، وأما الذي له ذكر بالعبادة والعلم فإذا قنع في اليوم والليلة بالطعام مرة واحدة كيف كان وإن لم يكن من اللذائذ وثوب خشن يليق بأهل الدين فهذا يأتيه رزقه من حيث لا يحتسب وتركه التوكل واهتمامه بالرزق غاية الضعف والقصور ، فإن استشهاره بسبب ظاهر يجلب الرزق إليه أقوى من دخول الأمصار في حق الخامل مع الاكتساب فالاهتمام بالرزق قبيح بذوي الدين وهو بالعلماء أقبح لأن شرطهم القناعة والعالم القانع يأتيه رزقه ورزق جماعة كثيرة إن كانوا معه إلا إذا أراد أن لا يأخذ من الناس ويأكل من كسبه فذلك له وجه لائق بالعالم العامل الذي سلوكه بظاهر العلم والعمل ولم يكن له سير بالباطن فإن الكسب يمنع عن السير بالفكر الباطن فاشتغاله بالسلوك مع الأخذ من يد من يتقرب إلى الله تعالى بما يعطيه أولى ومن نظر إلى مجاري سنة الله علم أن الرزق ليس على قدر الأسباب (١)

وتعليقاً على ذلك أقــــول : ـ

إن هذه الطائفة التي زعمت أن الكسب حرام وينفي التوكل على الله أو ينقص منه والقعود عن الحركة والسعي أفضل عندهم وقدموا أنفسهم بخطأ التأويل وبزلل الهوى والرأي على أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم

---

(١) الاحياء جـ٤ ص٢٩٢

وأقاموا الكبار مثل أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضوان الله عليهم مقام الضعف والوهن تقديماً منهم لأنفسهم وإيماناً منهم بصحة رأيهم بلا خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا آية من كتاب الله عز وجل وهذا قول تبين خطؤه من وجوه .

أولها : فما بين الله عز وجل من ذلك في كتابه فأمر المؤمنين أن يكون أكلهم من طيبات ما يكسبون ﴿ ياأيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا الله إن كنتم إياه تعبدون ﴾ (١)

وأما المعنى الثاني : فما ثبت عن رسول لله صلى الله عليه وسلم عندما سئل أي الكسب أفضل قال (كسب الرجل بيده وكل بيع مبرور) وفي رواية (عمل الرجل بيده وكل بيع مبرور) (٢)

وأما الوجه الثالث : فما كان عليه محمد صلى الله عليه وسلم وأكابر أصحابه رضي الله عنهم من اشتغالهم بالكسب وطلب الرزق الحلال .

أما الوجه الرابع : فما دل عليه العلم وثبتت عليه المعرفة وذلك أن الله جل ثناؤه لما دعا إلى الثقة به والتوكل عليه بين العلم عما أراده من ذلك والذي بين العلم عنه من ذلك من معنى الثقة : أن تكون القلوب لله عز وجل مصدقة وتكون بوعده موقنة وتكون إليه في كل حال ساكنة قد أغناها بضمانه عن النظر إلى شيء دونه (٣)

والتوكل لا ينافي حركة الجوارح فلو كان كل كاسب ليس بمتوكل لكان الأنبياء غير متوكلين فقد كان آدم حراثاً وسليمان يعمل الخوص وموسى وشعيب ومحمد رعاة صلوات الله عليهم أجمعين (٤) والذين يفهمون أن

---

(١) سورة البقرة آية ١٧٢ (٢) اخرجه أحمد في المسند٤/١٤١ والحاكم في المستدرك كتاب البيوع ج٢ ص١٠

(٣) المكاسب ص٦٥ (٤) تلبيس ابليس ص٣٥٩

التوكل هو ترك العمل والقعود عن الكسب إنما يسيئون إلى الإسلام ويتجنون على تعاليمه فالإسلام دين العمل والجد والقوة .

ألم يقل الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم : (ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده وإن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده)(١)

وحديث الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ الذي يحث على العمل ويحذر من المسألة فقال صلى الله عليه وسلم (لأن يغدو أحدكم فيحتطب على ظهره فيتصدق منه فيستغني به عن الناس خير له من أن يسأل رجلاً أعطاه أو منعه ذلك) (٢) والذي أوجد الرطب في النخلة بغير أوانه للسيدة مريم كان سهلاً عليه أن يوصله إليها من غير هز ولكننا نرى الله ـ تعالى ـ يقول لها: ﴿ وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً ﴾ (٣)

وذلك ليُعَلِّم عباده الأخذ بالأسباب حيث شاءت إرادته عز وجل أن يربط بالأسباب المسببات وأن هذا لا يقدح في الإيمان بقدرته والتوكل عليه .

ولو أن إنساناً رغب في ولد له وظل يدعو عشرات السنين وهو لم يتزوج فلن يكون له ولد حتى يحدث له زوجة وهكذا قضت سنة الله ـ سبحانه ـ في هذا الكون !! (٤)

---

(١) رواة البخاري وأحمد عن المقدام (فيض القدير حديث رقم ٧٧٣٣)

(٢) رواة الترمذي في سننه باب الزكاة حديث رقم ٦٨٠

(٣) سورة مريم آية : ٢٥

(٤) الحب بين العبد والرب ص٧٧

الفصل الثاني

مظاهر التوكل عند الصوفية

ويتكون من ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : مظاهر التوكل عند الصوفية في العبادات .

المبحث الثاني : مظاهر التوكل عند الصوفية في السنن وفروض الكفاية.

المبحث الثالث: مظاهر التوكل عند الصوفية في الحياة الاجتماعية .

المبحث الأول : العبادات .

لقد خلق الله الخلق لعبادته فقال جل علاه ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ...﴾ (١) وبالعبادة يصل الإنسان إلى درجات النعيم التي أعدها الله لعباده المؤمنين الذين أخلصوا له العبادة والعمل واعتمدوا على الله عز وجل في النتائج والعواقب بالتوكل الصادق عليه ؛ وقد تبدو العلاقة بين العبادة والتوكل علاقة خفية على البعض ولكن يمكن إيضاح العلاقة والرابط بينهما من خلال موقف بعض الصوفية من الأسباب بوجه عام فهم يرون أن الأخذ بالأسباب مهما كانت من الأمور القادحة في التوكل ، ولهذا فقد تساوى عند بعض هؤلاء رضا الله وسخطه وأصبحت لديهم الجنة والنار بمرتبة واحدة بل إن بعضهم لا يفعل من الأسباب إلا ما يغضب الله (٢) والعبادات والسنن والعلاقات الاجتماعية المنظبطة بميزان الشرع من أهم الأسباب التي جعل الله بها صلاح العالم واتساق نظامه وأوجد الخلق من أجلها إلا أن الصوفية يعتقدون أن هذه العبادات من صلاة وصوم وزكاة وحج هي عبادات العوام وأما هم فيسمون أنفسهم الخاصة ولذلك فلهم عبادات مخصوصة ومنها ماهو مغاير لما يعرفه المسلمون من العبادات والسنن والعلاقات الاجتماعية ولهذا فقد شرع منحرفوا التصوف لهم شرائع خاصة كالذكر المخصوص بهيئات مخصوصة ، والخلوة والأطعمة المخصوصة والملابس المخصوصة (٣) وتحريم العمل والإدخار

---

(١) سورة الذاريات : آية ٥٦ (٢) انظر تلبيس ابليس ص٤٤٣ وما بعدها .

(٣) انظر فضائح الصوفية عبد الرحمن عبد الخالق مكتبة ابن تيمية الكويت ص٥٣ وانظر حقيقة التصوف وموقف الصوفية من أصول العبادات الشيخ فوزان الفوزان دار العاصمة ص٢٢

والنكاح لأن ذلك في نظرهم يقدح في توكل المرء ويخالف أمر الله ، ولبيان الأمر واستجلاء جوانبه سأعرض له فيما يلي :

أولاً : العبادات :

لقد ترددت كلمة العبادة والعبودية والعبودة على ألسنة كثير من الناس ، فلابد من وقفة أمام هذه الكلمة ليتحدد المراد منها عند أهل التصوف فأقول وبالله التوفيق :

العباده هي فعل المكلف على خلاف هوى نفسه تعظيماً لربه (١) وهي غاية التذلل وتكون للعامة ، والعبودية للخاصة الذين صححوا النسبة إلى الله بصدق القصد إليه في سلوك طريقة ، وأما العبودة فلخاصة الخاصة (٢) وقيل إن العبادة : هي نهاية التعظيم وهي لا تليق إلا في شأنه تعالى إذ نهاية التعظيم لا تليق إلا بمن يصدر عنه نهاية الإنعام ، ونهاية الإنعام لا تتصور إلا من الله تعالى (٣)

وسأوضح بإذن الله تعالى هذه العبادات ، ومظاهر التوكل في كل عبادة منها عند الصوفية مستعيناً بالله تعالى بادئاً بالطهارة : ـ

أولاً : الطهارة : الطهارة هي العبادة التي تأتي بعد الإيمان بالله تعالى وهي مأخوذه من : طهرالشيء ـ بفتح الهاء وضمها ـ ويطهر ـ بالضم ـ طهارة والاسم الطهْر . وطهّره تطهيراً وهم قوم يتطهرون أي يتنزهزن من الأدناس والطهور ما يتطهر به (٤) قال الله تعالى﴿ وأنزلنا من السماء ماء طهوراً ﴾(٥) أما الطاهرعند الصوفية هو من عصمه الله عن المخالفات (٦) وهو أنواع : طاهرالباطن ، هو من عصمه اللَه عن

---

(١) التعريفات ص١٥١

(٢) اصطلاحات الصوفية ص٩٠

(٣) اصطلاحات الفنون ص٩٤٧

(٤) مختار الصحاح (باب الهاء)

(٥) سورة الفرقان : آية ٤٨

(٦) اصطلاحات الصوفية ص٤٠

الوساوس والهواجس والتعلق بالأغيار ، طاهر السر هو من لا يذهل عن الله طرفة عين ، طاهر السر والعلانية وهو من قام بتوفية حقوق الحق والخلق جميعاً لسعيه برعاية الجانبين ، وطاهر الظاهر وهو من عصمه الله عن المعاصي (١) وبعد أن وضحت كلمة الطهارة وكلمة الطاهر أقول الطهارة أول شيء يفرض على العبد بعد الإيمان لأداء الصلاة وتلك طهارة البدن من النجاسة والجنابة ، وغسل الأعضاء الثلاثة ومسح الرأس اتباعاً للشريعة ، أو التيمم في حالة فقد الماء أو شدة المرض وقد بين الله الحكمة من الطهارة فقال سبحانه : ﴿... ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون ﴾ (٢) وقال تعالى في وصف أصحاب الصفة ﴿ ...فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين ﴾ (٣) أي يحبون أن يتطهروا من الأحداث والجنابات والنجاسات بالماء كما مدح المتطهرين فقال جل جلاله : ﴿ ...إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ﴾ (٤)

---

(١) معجم المصطلحات الصوفية / أنور أبي خزام ص١١٢ وتظهر المبالغة الشديدة في هذا الكلام لأنه لايمكن لأحد أن يؤدي حقوق الحق سبحانه والخلق جميعاً دون نقصان وكذلك لايمكن لمخلوق أن لايذهل عن الله طرفة عين لأن ذلك من لوازم البشرية فهل الصوفية غير بشر ! حتى لايذهلون طرفة عين ؟

(٢) سورة المائدة : آية ٦

(٣) سورة التوبة : آية ١٠٨

(٤) سورة البقرة : آية ٢٢٢

وللصوفية أمام الطهارة أحوال :

١ ـ منهم من تعلم الفرائض والسنن وما يستحب وما يُكره واهتم بذلك حتى تأتى به على موافقة الكتاب والسنة واتباع الأحسن والأتم وترك الملامة ، وترك الإنكار بالقلب على من لابد لهم من السعي فيها والاهتمام بها (١) ولا تنافي بين التوكل والعلم ومزاولة العمل عندهم لأنه عمل واعتقد أن العمل أمر دعا الله إليه ولكن لا يوجب شيئاً من النتائج بذاته ، إنما النتيجة وحصولها مرهونة بإرادة الله وحده ، وهذه الطائفة يكونون على الطهارة بالظاهر وعلى التوحيد بالباطن فكل من يداوم على الطهارة بالظاهر تحبه الملائكة وكل من يقوم على التوحيد بالباطن يحبه الله تعالى(٢) قال تعالى ﴿ إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ﴾ (٣) وكان الرسول عليه السلام يقول : (اللهم إني أعوذ بك ...من النفاق ...)(٤) وعلى ذلك فيلزم أن تكون طهارة الظاهر موافقة لطهارة السر ، أي عندما يغسل اليد يجب أن يغسل القلب من حب الدنيا ، وحين يستنجي فكما أنه طلب النجاة من نجاسة الظاهر يطلب النجاة من محبة الغير بالباطن وأهم المجاهدات حفظ آداب الظاهر والمحافظة عليها في جميع الأحوال .

٢ ـ وجماعة منهم تركوا الأسباب وخرجوا عن الاشتغال وفرغوا أنفسهم للعبادة والزهد فلا عذر لهم في ترك التوقي والاهتمام بإسباغ الوضوء والتمسك بالأحوط والأتم في أبواب الطهارة والنظافة فمن ليس له شغل غير ذلك فعليه أن يبذل مجهوده على قدر استطاعته في ذلك لقوله تعالى ﴿ فاتقوا الله ما استطعتم ...﴾ (٥) وهؤلاء يجددون الوضوء لكل صلاة

---

(١) اللمع ص١٦٧ (٢) كشف المحجوب ص٥٣٢ (٣) سورة البقرة جزء من الآية ٢٢٢

(٤) رواه الحاكم والبيهقي (شرح الجامع الصغير حديث رقم ١٤٨٩) (٥) سورة التغابن آية ١٦

فيقومون إلى الوضوء قبل دخول وقت الصلاة حتى إذا فرغوا من وضوئهم يكون قيامهم إلى الصلاة متصلاً بفراغهم من الوضوء (١)

لأن الشيطان يجتهد في أن يأخذ نصيبه من جميع أعمال بني آدم فلا يبالي أن يأخذ نصيبه بأن يزدادوا فيما أُمروا به أو ينقصوا منه ، وذكر أن أحد الصوفية (٢) أنه أصابته الجنابة ليلة من الليالي وكانت عليه مرقعة ثخينة غليظة فجاء إلى الشط ليلة وكان برد شديد فحزنت نفسه عن الدخول في الماء لشدة البرد ، فطرح نفسه في الماء مع المرقعة ولم يزل يغوص في الماء مع المرقعة ثم خرج من الماء وقال : اعتقدت أن لا أنزعها من بدني حتى تجف عليّ قالوا : فلم تجف عليه شهراً كاملاً ، وأراد بذلك تأديباً لنفسه لأنها حزنت عند الائتمار لما أمر الله تعالى به من غسل الجنابة (٣) وكان سهل بن عبد الله يحث أصحابه على كثرة شرب الماء وقلة صب الماء على الأرض وكان يقول إن الماء له حياة وموتة أن تصبه على الأرض وكان يرى أن في كثرة شرب الماء ضعف النفس وإماته الشهوات وكسر القوة (٤) وكان إبراهيم الخواص إذا دخل البادية لا يحمل معه إلا ركوة من الماء وربما كان لا يشرب منها إلا القليل ، وكان يحتفظ بذلك للوضوء ويؤثر الوضوء بالماء على الشرب عند العطش (٥)

---

(١) اللمع ص١٩٧

(٢) هو ابن الكريني أستاذ الجنيد (اللمع ص ١٩٨)

(٣) اللمع ص١٩٨

(٤) عوارف المعارف ص٢٦٩

(٥) اللمع ص١٩٩

وحُكي عن ابراهيم بن أدهم (١) أنه كان به قيام فقام في ليلة واحدة نيفاً وسبعين مرة وكل مرة يجدد وضوءه ويصلي ركعتين (٢) وأحب الأشياء إليهم النظافة وغسل الثوب والمداومة على السواك والنزول عند المياه الجارية والخلوة والاغتسال وليس من الوسوسة ـ حسب زعمهم ـ ما يستقصي الإنسان في طهارته من التباعد وطلب الماء الجاري والاستقصاء على ذلك للأعضاء الظاهرة وليس التوقي والتنقي من الوسواس المنهي عنه ؛ لأن جميع ذلك داخل في قول الله ﴿ فاتقوا الله ما استطعتم ﴾ (٣) وكان استقصاء الصوفية في تطهير البواطن من الصفات الرديئة لا الاستصقاء في طهارة الظاهر إلى حد يخرج عن حد العمل (٤) وصنف من هؤلاء الذين تركوا الأسباب تساهل في أمر الطهارة وكان استقصاؤه في الطهارة الباطنة لا يهتم بالطهارة الظاهرة حيث قالوا كل مريد غسل ثوبه بغير نجاسه فهو عامل لنفسه (٥) ونرى الشعراني يصف أحد أوليائه (*) فيقول : وكان رضي الله عنه يلبس الشاش المخطط كعمامه النصارى وكان دكانه منتناً قذراً لأن كل كلب وجده ميتاً أو خروفاً يأتي به فيضعه داخل الدكان ، فكان لا يستطيع أحد أن يجلس عنده ثم لا يكتفي الشعراني بهذا من كرامات سيده الشيخ فيضيف .. أنه توجه إلى المسجد فوجد في الطريق مسقاة كلاب فتطهر فيها ثم وقع في مشخه حمير(٦) ويروى عن أحمد بن أبي الحسين الرفاعي(٧) أنه وجد كلباً أجرب أخرجه أهل أم عبيده إلى تل بعيد فخرج معه إلى البرية وضرب عليه مظلة وصار يطليه

---

(١) هو ابو اسحاق ابراهيم بن أدهم بن منصور توفي سنة ١٦١هـ كان من أبناء الملوك (الرسالة القشيرية ص ٣٩١)

(٢) اللمع ص٢٠٢ (٣) سورة التغابن : آية ١٦ (٤) عوارف المعارف : ص٢٧٠

(٥) تذكرة الأولياء للعطار ص١٢٩ (*) هو عبد الغني الرافعي (٦) الصوفية الوجه الآخر ص١٩

(٧) أحمد بن أبي الحسين الرفاعي ينسب إلى بني رفاعة قبيلة من العرب (الطبقات الكبرى ج١ ص١٤٠)

بالدهن ويطعمه ويسقيه ويحث الجرب منه بخرقة فلما برئ حمل له ماءً مسخناً وغسّله(١)

ومن خلال عرض أحوال الصوفية في الطهارة أقول إنهم صنفان :
صنف وافق ماعليه أهل السنة والجماعة وسار على نهجهم في الطهارة فلا داعي لمناقشته وصنف آخر خالف أهل السنة والجماعة وهم فريقان :
١ ـ الفريق الأول استقصى في طهارته من التباعد وطلب الماء الجاري وترك المياه المتغيره وإبلاغ الماء الخياشيم وإمرار الماء على الأعضاء وجميع البشرة في الغسل والوضوء وهذا الصنف من الصوفية متشدد ومبالغ في طهارته واشتغل بالفضائل عن الفرائض وأبطل صلاة من يتوضأ بالمد ويغتسل بالصاع (٢) وهذا مخالف لما عليه الشريعة الغراء فالإسلام قد نهى عن الإسراف في استعمال الماء ، فكثرة استعمال الماء تجمع أربعة أشياء :
١ ـ الإسراف في الماء ٠
٢ ـ تضييع العمر القيم فيما ليس بواجب ولا مندوب
٣ ـ التعاطي على الشريعة إذ لم يقنع بما قنعت به من استعمال الماء القليل
٤ ـ الدخول فيما نهت عنه الشريعة بالزيادة على الثلاث لقوله صلى الله عليه وسلم للأعرابي الذي سأله عن الوضوء فأراه الوضوء ثلاثاً ثلاثاً ثم قال : (هكذا الوضوء فمن زاد فقد أساء وتعدى وظلم)(٣).ومن فقه الرجل قلة ولعه بالماء ويكره كذلك كثرة الاغتراف من الماء (٤) وربما أطال الوضوء ففات وقت الصلاة أوفات أوله وهو الفضيلة أو فاتتة الجماعة،

---

(١) طبقات الشعراني جـ٢ ص١١٢ (٢) اللمع ص٢٠١
(٣) رواه النسائي في السنن كتاب الطهارة حديث رقم ١٠٥ (٤) انظر مجموع فتاوى ابن تيمية ج٢١ ص٢٩٨

وكان الحسن يعرّض بابن سيرين يقول : يتوضأ أحدهم بقربة ويغتسل بمزادة صباً صباً ودلكاً دلكاً تعذيباً لأنفسهم وخلافاً لسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم (١) وكان أحد الصالحين (*) يستعمل ماءً كثيراً في وضوئه ثم ترك ذلك فسأله رجل عن سبب تركه فقال نمت ليلة فإذا بهاتف يهتف بي يا أسود ما هذا ؟ يحيى بن سعيد الأنصاري حدثني عن سعيد بن المسيب فقال : إذا جاوز الوضوء ثلاثاً لم يرفع إلى السماء قال : قلت لا أعود فأنا اليوم يكفيني كف من الماء (٢) وفي حديث أنس ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ (كان يغتسل بالصاع إلى خمسة أمداد ويتوضأ بالمد) (٣) ، أما إيثار الوضوء بالماء على الشرب عند العطش فهذا ليس من التوكل في شيء ومخالف لما عليه أهل السنة والجماعه لأن فيه هلاكاً للنفس ومخالفة لأمر الله حيث يقول﴿٠٠٠فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيداً طيباً ٠٠٠﴾ (٤) وبقاء النفس أولى من استعمال الماء في الوضوء لأنه شرع لنا التيمم عند فقد الماء أو ندرته أو عدم القدرة على استعماله وإلقاء الرجل بنفسه في الماء غسلاً من الجنابة فيه هلاك

---

(١) تلبيس ابليس ص١٨٩

(*) هو أسود بن سالم من كبار الصالحين ٠

(٢) اللمع ص١٩٨

(٣) متفق عليه والصاع أربعة أمداد والمد ٤٠٤سم٣أي مايقارب ثلاثة أرباع اللتر (انظر مختصر صحيح مسلم ص٦٧ الهامش طبعة دار الهلال)

(٤) سورة المائده : جزء من الآية ٦

وتعذيب للنفس فالله سبحانه قد أمرنا بحفظ النفس وعدم تعريضها للهلاك قال تعالى ﴿... ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ...﴾ (١) وأما الاستقصاء في التباعد وطلب الماء الجاري فهذا مخالف للسنه وما عليه سلف الأمة فالرسول عليه السلام سئل عن الماء يكون بالفلاة من الأرض وما ينوبه من الدواب والسباع فقال: (إذا بلغ الماء قلتين لم ينجسه شيئ) (٢) ، فالماء على أصل الطهارة وتوضأ رسول الله صلى الله عليه وسلم من غدير كان ماؤه نقاعة الحناء فلو كانت الطهارة لا تصح من هذا الماء لأبى الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم الطهارة منه ، فالدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه (٣) ولكن هؤلاء ممن يصدق فيهم القول النبوي الشريف (إنه سيكون في هذه الأمة قوم يعتدون في الطهور والدعاء) (٤) .

وموت الماء بصبه على الأرض مخالف لما نزل به الكتاب حيث يقول الحق : ﴿ وأنزلنا من السماءً ماءً طهوراً لنحيً به بلدة ميتاً ونسقيه مما خلقنا﴾ (٥) فالماء أصل الحياة ودعوة موته إذا صب على الأرض دعوى ليس لها دليل ومخالفة للعلم والواقع .

---

(١) سورة البقره أية: ١٩٥

(٢) رواه ابن ماجة في سننه كتاب الطهارة حديث رقم ٥١٧

(٣)غيث المواهب العلية جـ٢ص١٦٨ وانظر فقه السنة ج١ ص١٨

(٤) رواه أبو داود في سننه كتاب الطهارة حديث رقم ٩٦

(٥) سورة الفرقان : الأيتان ٤٨ - ٤٩

وأما الصنف الثاني من هذا الفريق فقد خالف الشريعة ؛ لأنه تساهل في أمر الطهارة التي قال فيها رسول الله صلي الله علية وسلم :(الطهور شطر الإيمان) (١) وقد روى عنه عليه الصلاة والسلام في فضل الطيب والنظافه قوله: (إن الله تعالى طيب يحب الطيب نظيف يحب النظافة كريم يحب الكرم جواد يحب الجود فنظفوا أفنيتكم ولا تشبهوا باليهود)(٢)
وإذا كانت السنة المطهرة تقول : (إذا ولغ الكلب في إناء أحدكم فليرقه ثم ليغسله سبع مرات) (٣) فلا أدري كيف يتطهر بعض الصوفية في مسقاة الكلاب،إنه عمل مخالف لما جاء بالسنة وتأباه الفطر السليمة فنجاسة الكلب نجاسة مغلظة، وهل من الإسلام أن يقوم الإنسان على خدمة كلب أجرب فيغسله ويطيبه وقد نصت السنة المطهرة على (إن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه كلب ولا صورة)(٤) إن هذه الفئة منحرفه عن تعاليم الإسلام ومخالفة لأمر ربها .

---

(١) رواه مسلم في الصحيح كتاب الطهارة حديث رقم ١١٦

(٢) حديث حسن صحيح رواه الترمذي (فيض القدير حديث رقم ١٧٤٨)

(٣) رواة مسلم في الصحيح كتاب الطهارة حديث ١٥٠

(٤) حديث صحيح رواه ابن ماجة في السنن (فيض القدير حديث رقم ٢١١٧)

ثانياً : الصلاة :

لغــــــة : الدعاء والرحمة والاستغفار (١)

اصطلاحاً : أقوال وأفعال مخصوصة (٢)

قال تعالى : ﴿ وأقيموا الصلاة ٠٠٠﴾ (٣) وقال عليه الصلاة والسلام : (الصلاة وما ملكت أيمانكم الصلاة وما ملكت أيمانكم) (٤) وقال تعالى : ﴿ قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون ﴾ (٥) وشهد القرآن المجيد بالفلاح للمصلين كما جاء بالآية السابقة ؛ لأن المصلى يدعو الله تعالى بجميع جوارحه فصارت أعضاؤه كلها ألسنة يدعو بها ظاهراً وباطناً ويشارك الظاهر الباطن (٦) بالدعاء وتضرع سائل محتاج فإذا دعا بكليته أجابه مولاه ؛ لأنه وعده فقال تعالى ﴿ ادعوني استجب لكم ﴾ (٧) أمرهم بالدعاء ووعدهم بالإجابة ليس بينهما شرط ، والاستجابة والإجابة هي نفوذ دعاء العبد فإن الداعي الصادق العالم بمن يدعوه ينور يقينه فتخرق الحجب وتقف الدعوة بين يدي الله تعالى متقاضية للحاجة (٨)

أما الصلاة في جريان عبارات الفقهاء فهي عبارة مخصوصة تطلق على هذه الأحكام المعتادة وهي أمـــر من الحق أن أقيموها خمس مرات (٩)

---

(١) القاموس المحيط باب (الواو فصل الصاد)

(٢) حاشية الروض المربع بشرح زاد المستقنع جمع عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ط١ جـ١ ص٤١٠

(٣) سورة البقرة آية : ٤٣

(٤) رواة أحمد وابن حبان عن أنس (فيض القدير حديث رقم ٥١٧٢)

(٥) سورة المؤمنون الآيات : ١ ، ٢

(٦) عوارف المعارف ص٢٧٣

(٧) سورة غافر : آية ٦٠

(٨) عوارف المعارف ص٢٧٤

(٩) كشف المحجوب ص٥٤٢

والصلاة أول ماأوجبه الله من العبادات ، وصلاح الأعمال وقبولها مرتبط بصلاح الصلاة وقبولها قال صلى الله عليه وسلم : (أول مايحاسب به العبد يوهم القيامة الصلاة فإن صلحت صلح سائر عمله وإن فسدت فسد سائر عمله) (١) وهي من أشرف القربات ومنتهى الدرجات فهي منقولة من الصلة ، والصلة هي ما يربط بين الشيء والشيء ، لذا يعبرون عنها بالوصول وإذا وصل العبد إلى ربه فقد تمكن بصلاة الاتصال التي لا فصل بعدها (٢) ومقام الصلاة مقام الوصلة والدنو والإقبال على الله تعالى والإعراض عما سوى الله تعالى وللصوفية أمام هذه العبادة أحوال :

١ = جماعة منهم تعلّم الصلاة وعرف فرائضها وسننها وآدابها وفضائلها ونوافلها وبحث عما يحتاج إليه في ذلك مما لا يسعه الجهل به لأن الصلاة عماد الدين وقرة عين العارفين وزينة الصادقين وتاج المقربين فهذا الصنف قد استجاب لأمر الله حينما قال ﴿..وأقيموا الصلاة... ﴾ (٣) مع أمره بالتوكل لأن (السعي في الأسباب بالجوارح طاعة له والتوكل بالقلب عليه إيمان به) (٤) فالله قضى بحصول الشيء عند حصول سببه من التوكل والدعاء فينصب الدعاء والتوكل سببين لحصول المطلوب كما قضى بدخول الجنة إذا أسلم العبد وأتى بالأعمال الصالحات فإذا ترك الإسلام ولم يعمل الصالحات لم يدخلها أبداً ؛ فالتوكل من أعظم الأسباب التي يحصل بها المطلوب ويندفع بها المكروه فمن أنكر الأسباب لم يستقم له التوكل (٥)

---

(١) حديث حسن رواه الطبراني في الأوسط عن أنس رضي الله عنه (فيض القدير حديث رقم ٢٨١٨)

(٢) المنح القدوسية لأبي القاسم سيدي أحمد بن مصطفى دار ابن زيدون ص ١٠٥

(٣) سورة المزمل جزء من آية ٢٠

(٤) انظر جامع العلوم والحكم تأليف زين الدين أبي الفرج ابن رجب بدون تاريخ طبعة ص٤٠٩

(٥) مدارج السالكين ٢ /١٢٠

٢ ـ وجماعة منهم قد باينوا الناس وانحازوا عن جملة الناس بترك المكاسب وقطع العلائق وانقطعوا إلى الله ـ عز وجل ـ وعُـرفوا بالله ونسبوا إلى الله فلا يسعهم التخلف عن استعمال الآداب والاهتمام والتكلف لأحكام الصلاة وأحكام فرائضها وسننها وفضائلها ونوافلها ؛ لأنهم ليس لهم شغل غير ذلك ولا ينبغي أن يهمهم أمر أكثر من اهتمامهم بأمر الصلاة فيتأهبون قبل دخول وقتها حتى لا يفوتهم الوقت الأول الذي هو المختار ولا يمكنهم ذلك إلا بمعرفة الوقت الأول لكل صلاة (١) ليستعدوا لها قبل دخول وقتها بمدة كافة حتى لا تفوتهم تكبيرة الإحرام مع الإمام وهذا هو التوكل الحقيقي الذي لايشوبه شيء : وهو فراغ القلب مع الرب (٢) وصفوة الصلاة التكبيرة الأولى والمعنى في ذلك أن التكبيرة الأولى مقرونة بالنية التي لا تجوز الصلاة إلا بها وهو عقدك بأن صلاتك لله عز وجل فإذا صح العقد فما دخل بعد ذلك في صلاتك من الآفات الباطلة لم يفسد الصلاة بل ينقص من فضلها ويبقى للمصلى عقدها ونيتها وسئل أبو سعيد الخراز (٣) كيف الدخول في الصلاة ؟ فقال : أن تقبل على الله تعالى كإقبالك عليه يوم القيامة ووقوفك بين يدي الله تعالى ليس بينك وبينه ترجمان وهو مقبل عليك وأنت تناجيه وتعلم بين يدي من أنت واقف؟ فإنه الملك العظيم (٤) والعبد إذا كان متأدباً بأدب الصلاة قبل دخول وقتها فكأنه في الصلاة ويكون قيامه إلى الصلاة من حال لا يستغنى عنه في الصلاة وذلك أن من آدابهم

---

(١) اللمع ص٢٠٣

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٧ / ٤٣)

(٣) أبو سعيد الخراز وفي الحلية الخزاز من أهل بغداد صحب ذا النون المصري وسريا السقطي وهو أول من تكلم في علم الفناء والبقاء واختلف في تاريخ وفاته فقيل سنة ٢٨٦ وقيل ٢٧٩ وقيل ٢٧٧ (صفوة الصفوة ٢/ ٢٨١ الحلية ١٠/ ٢٤٦ الطبقات ١/ ٩٢)

(٤) اللمع ص٢٠٥

قبل الصلاة المراقبة ومراعاة القلب من الخواطر والعوارض وذكر كل شيء غير ذكر الله تعالى فإذا قاموا إلى الصلاة بحضور القلب فكأنهم قاموا من الصلاة إلى الصلاة فيبقون مع النية والعقد الذي دخلوا به الصلاة وإذا خرجوا من الصلاة رجعوا إلى حالهم من حضور القلب والمراعاة والمراقبة فكأنهم في الصلاة وإن كانوا خارجين من الصلاة (١) وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (لايزال أحدكم في صلاة مادامت الصلاة تحبسه لايمنعه أن ينقلب إلى أهله إلا الصلاة) (٢) وإذا قام أحدهم إلى الصلاة كان لا يتهيأ له أن يحفظ العدد فكان يجلس واحداً من أصحابه ويعد عليه كم ركعة صلى ، لأنه كان يراعي قلبه على ثبات العقد الذي دخل به في الصلاة فكان يخاف الغلط على نفسه لأنه لا يدري كم ركعة صلاها فلذلك كان يستعين بمن يعد عليه حتى يتيقن كم ركعة صلاها (٣)

وذكر عن سهل بن عبد الله أنه كان يضعف حتى لا يكاد يقوم من موضعه حتى إذا دخل وقت الصلاة تُرَدُ إليه قوته فيقوم في المحراب فإذا فرغ من صلاته يرجع إلى حالة ضعفه ولا يقدر أن يقوم من موضعه ، وكانت لهم أوراد من التطوع وصلاة الليل والسنن والآداب يستعملونها في الحضر والسفر ؛ لأن أحوالهم ينبغي أن تكون في السفر والحضر واحدة . ومن عادات بعضهم أنه إذا أكل شيئاً يقوم ويصلي ركعتين ، وإذا شرب الماء

---

(١) اللمع ص٢٠٧

(٢) رواة البخاري في الصحيح كتاب الأذان حديث رقم ٦٥٩ ومسلم في الصحيح كتاب الصلاة حديث رقم ٤٠٤ عن أبي هريرة رضي الله عنه واللفظ لمسلم .

(٣) عوارف المعارف ص٢٩٠

يقوم ويصلي ركعتين ، وإذا لبس ثوباً يقوم ويصلي ركعتين ، وإذا دخل المسجد يصلي ركعتين ، وكذلك إذا فرح ، أو غضب ، يقوم ويصلي ركعتين ، فأهل المجاهدة يكثرون الصلاة ويأمرون بهذا وذلك لتعويد الجسد على العبادة ، أما أهل الاستقامة فيصلون كثيراً لشكر القبول في الحضرة ويبقى أرباب الأحوال وهم على نوعين : جماعة تكون صلاتهم في كمال المشرب في مكان مقام الجمع فيجتمعون بها ، وجماعة تكون صلاتهم في مكان التفرقة فيتفرقون بها فأولئك الذين يكونون مجتمعين في الصلاة ، يكونون ليل نهار في الصلاة وهؤلاء الذين يكونون متفرقين يزيدون قليلاً على الفرائض والسنن (١) فكان الحسين بن منصور الحلاج يصلى أربعمائة ركعة في يوم وليلة وكان يفرضها على نفسه ، فقيل له لم كل هذا العناء في هذه الدرجة التي أنت فيها ؟ فقال : العناء والراحة يبدوان في حالكم ، أما الأحبة فصفتهم فانية فلا يبدوا عليهم تعب ولا راحة(٢) لأن المانع للعبد عن طاعة الله هو النفس الأمارة بالسوء وكلما زيدت قهراً يصير طريق التعبد أيسر وحين تفنى النفس يصير غذاؤه ومشربه العبادة مثل الملائكة إذا صح فناء النفس ، وكان أبو الخير الأقطع(٣) قد أصيب بالجذام في رجله فقال الأطباء : يجب قطع هذه الرجل ولم يرض بذلك فقال المريدون : يجب أن تقطع رجله في الصلاة فهو لا يدري بنفسه ففعلوا كذلك وعندما فرغ من الصلاة وجد رجله مقطوعة .

---

(١) كشف المحجوب ص٥٤٤

(٢) كشف المحجوب ص٥٤٥

(٣) أبو الخير الأقطع أصله من المغرب وقدم المشرق فصحب ابن الجلاء وغيره ومات بمصر (الطبقات الكبرى للشعراني جـ١ ص٨٧)

ومن آداب هذه الجماعة أيضاً أنهم يكرهون الإمامة والصلاة في الصف الأول بمكة وغيرها ويكرهون التطويل ، ويختارون الصلاة خلف من يحسن أن يقرأ الحمد وسورة أخرى ولا يكون أحدهم أماماً ولو كان يحفظ القرآن ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (الإمام ضامن ٠٠٠) (١) وأما ترك الصلاة في الصف الأول فإنهم يريدون بذلك أن لا يزاحموا الناس ويضيقوا عليهم لأن الناس يزدحمون ويطلبون الصف الأول لما جاء في الخبر من الفضيله فيه (٢) يريدون بذلك إيثارهم وإذا كان الموضع خالياً يغتنمون ذلك الفضل الذي جاء في الصف الأول .

---

(١) حديث صحيح على شرط مسلم رواه ابن حبان في صحيحه عن عائشة وأبو داود والترمذي وابن خزيمة عن أبي هريرة ورواة ابن ماجة والحاكم عن سهل بن سعد (فيض القدير حديث رقم ٣٠٧٧) .

(٢) أخرجه أحمد عن أبي أمامه : (إن الله وملائكته يصلون على الصف الأول) ورواه احمد وابن خزيمه والشيخان عن أبي هريرة : (لو يعلم الناس ٠٠٠) فيض القدير حديث رقم ٧٥٠٢

وأما التطويل في الصلاة فكلما طالت الصلاة كثرت الهفوات والوسواس والاشتغال بتصحيح الأعمال أولى من الاشتغال بكثرتها وتطويلها لما روى عن الرسول صلى الله عليه وسلم (أنه كان أخف الناس صلاة في تمام)(١) وليخرج من صلاته على النية والعقد الذي دخل به فيها .

وبعض هذه الطائفة يظهرون الفرائض ويخفون النوافل وهم يريدون بذلك أن يتخلصوا من الرياء •

وجماعة أخرى يظهرون الفرائض والنوافل ويقولون : إن الرياء باطل والطاعة صحيحة وحق ومحال أن تخفى حقاً من باطل فيجب إخراج الرياء من القلب وأن تتعبد حيثما تريد (٢)

٣ ـ قوم آخرون سلكوا طريقاً أدتهم إلى نقصان الحال حيث اعترفوا بالفرائض وأنكروا فضل النوافل واغتروا بيسير روح الحال وأهملوا فضل الأعمال ولم يعلموا أن لله في كل هيئة من الهيئات وكل حركة من الحركات أسراراً وحكماً لا توجد في شيء من الأذكار (٣)

٤ ـ قوم أكثروا من صلاة الليل وقيامه وأهملوا في أداء الفرائض ومنهم من يفرح بقيام الليل وصلاة الضحى أكثر مما يفرح بأداء الفرائض ثم ينام قبيل الفجر فتفوته الفريضة أو يقوم فيتهيأ لها فتفوته الجماعة ، فقد رأى جماعة : صوفياً يمشي كثيراً من النهار في جامع المنصور فسألوه عن سبب ذلك فقال لئلا أنام (٤)•

---

(١) رواه الشيخان وأبو داود والترمذي والنسائي عن أنس رضي الله عنه (فيض القدير حديث رقم ٦٥٢٠)

(٢) كشف المحجوب ص٥٤٦

(٣) عوارف المعارف ص ٢٩٤

(*) هو حسين القزويني

(٤) تلبيس إبليس١٩٦

٥ ـ قوم آخرون ظنوا أن العبادة هي : القيام والقعود فحسب فإذا دخلوا إلى الصلاة مع الإمام يسلمون إذا سلم الإمام وقد بقى عليهم من التشهد الواجب شيء وهم يدأبون في ذلك ويخلون في بعض واجباتهم ولا يعلمون(١)

٦ـ وقوم آخرون رفضوا هذه العبادة لأنهم رأوا هذه القيود الشرعية لا تربط العارفين مدّعين أنهم لا يقومون بأدائها إلا في الأماكن المقدسة (٢) وظنوا أن المقصود من الصلاة ذكر الله تعالى وإذا حصل الذكر فأي حاجة إلى الصلاة ويمنعون من أراد أداء الصلاة المفروضة ويقولون : إنها صلاة مشؤومة (٣) وقالوا : إذا وصلت إلى مقام اليقين سقطت عنك العبادة مؤولين (٤) قول الله عز وجل : ﴿واعبد ربك حتى يأتيك اليقين﴾(٥) قال إبراهيم بن أدهم : إني لأتمنى المرض حتى لا تجب عليّ الصلاة في جماعة ولا أرى الناس ولا يروني وكان يغلق بابه من الخارج فيجيء الناس فيجدونه مغلقاً فيذهبون (٦)

---

(١) تلبيس ابليس ص١٩٥

(٢) اليواقيت والجواهر جـ١ ص١٢٥

(٣) انظر طبقات الشعراني جـ٢ ص١٤١ حيث أورد حكاية عن شيخه وسيده شهاب الدين الطويل يقول عنه (وكان ينادي خادمه وهو في الصلاة فإن لم يجبه مشى إليه وصكّه ومشى به وقت : كم أقول لك لا تعد تصلي هذه الصلاة المشؤومة ، فلا يستطيع أحد يخلصه منه) فهل بعد ذلك من ضلال وكفر ؟!

(٤) اتحاف السادة للزبيري جـ٨ ص٢٧٨

(٥) سورة الحجر آية: ٩٩

(٦) الطبقات الكبرى جـ١ ص٧٠

وبعد فهذه أحوال الصوفية أمام تلك العبادة وسأناقش هذه الأحوال في ضوء الكتاب والسنة فأقول وبالله التوفيق : إن الصوفية من خلال هذا العرض فريقان :

فريق قد التزم طريق أهل السنة و الجماعة فحفظوا الفرائض واهتموا بالسنن والرواتب فلا داعي لمناقشته .

وفريق آخر منهم تشدّد في أمر هذه العبادة فأنقطع عن الكسب والعمل واتكل على الناس في توفير مايحتاج إليه من مأكل ومشرب وتشبه برهبان النصارى ، ثم أصابته الوسوسة في إحضار النية ، واعتقادهم أنه إذا كانت النية صحيحة فالصلاة كلها صحيحة ولاتبطل وهذا قول جانبه الصواب لأن الصلاة لها مبطلات محددة حتى ولو كانت النية صحيحة فمن مبطلاتها مثلاً: الكلام العمد في غير مصلحة والأكل والشرب وترك ركن أو شرط عمداً وبدون عذر والتبسم والضحك ، كل هذه الأمور تبطل الصلاة ، (١) والمراد من الحديث الشريف : أن الإمام ضامن أراد بالضمان هنا الحفظ والرعاية لأن الإمام يحفظ على القوم صلاتهم (٢) من حيث الوقت وأداؤها على الوجه المشروع ، وأما استشكالهم في احضار النية ، فالنية حاضرة لأنك قمت لتؤدي الفريضة وهذه هي النية ومحلها القلب لا اللفظ فإن كنت تريد تصحيح اللفظ فاللفظ لا يجب وقد تلفظت به فما وجه الإعادة وهذا مرض فقد روى عن الرسول صلى الله عليه وسلم (إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى) (٣) والوسوسة في نية

---

(١) فقة السنة ج١ ص ٢٢٩

(٢) انظرسنن الترمذي ج١ ص ٢٦٩

(٣) رواة مسلم في الصحيح كتاب الإمارة حديث رقم ١٠٩١

الصلاة سببها خبل في العقل وجهل بالشرع فقد حُكي عن ابن عقيل(١)أنه لقي رجلاً فقال : إني أغسل العضو وأقول ما غسلته وأكبر وأقول ما كبرت فقال له ابن عقيل : دع الصلاة فإنها ما تجب عليك فقال قوم لابن عقيل : كيف تقول هذا ؟ فقال لهم : قال النبي صلى الله عليه وسلم : (رفع القلم عن المجنون حتى يفيق) (٢) ومن يُكَبِّر ويقول ما كَبْرَّت فليس بعاقل والمجنون لا تجب عليه الصلاة والنية يجوز تقديمها على التكبير بزمان يسير ما لم يفسخها ، فما وجه هذا التعب في الصاقها بالتكبير على أنه إذا حصلها ولم يفسخها فقد التصقت بالتكبير ، حتى إذا صحت له النية وكبّر ذهل عن باقي صلاته كأن المقصود من الصلاة التكبير ، والتكبير يراد للدخول في العبادة فكيف نهمل العبادة والتشاغل بالتكبير خلف الإمام وقد بقي من الركعة يسير فيستفتح ويستعيذ فيركع الإمام وهذا مخالف لما عليه أهل السنة لأن الذي شرع فيه من التعوذ والاستفتاح مسنون والذي تركه من قراءة الفاتحة وهو لازم للمأموم عند جماعة من العلماء فلا ينبغي أن يقدم عليه سنة والمبالغة في إخراج الحروف يشغل الإنسان عن فهم التلاوة وكل هذه وساوس من إبليس (٣) فعن عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه قال : قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي وقراءتي يلبسها عليّ) فقال رسول الله صلى الله عليه

---

(١) انظر ترجمته ص ٣٧٠

(٢) روي الحديث بلفظ (رفع القلم عن ثلاثة ، عن النائم حتى يستيقظ وعن المبتلي حتى يبرأ وعن الصبي حتى يكبر) وفي لفظ (٠٠٠عن المجنون المغلوب على عقله حتى يبرأ ٠٠٠) انظر كشف الخفاء حديث رقم ١٣٩٤

(٣) تلبيس ابليس ص١٩٤

وسلم : (ذاك الشيطان يقال له خنزب فإذا أحسسته فتعوذ بالله منه واتفل على يسارك ثلاثاً) قال : (ففعلت ذلك فأذهبه الله عني) (١) ومن يتخلف عن أداء الصلاة في الصف الأول مخالف لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال : (خير صفوف الرجال أولها وشرها آخرها) (٢) وعن أبي هريرة رضي الله عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لا استهموا ٠٠٠) (٣)

أما من اعترف بالفرائض وأنكر فضل النوافل فهو مخالف للسنة ؛ وذلك لأن السنة إنما شرعت من أجل جبر الفرائض فإنه ليس للإنسان من صلاته

---

(١) رواه مسلم في الصحيح كتاب السلام حديث رقم ٦٨

(٢) رواه مسلم في الصحيح حديث رقم ٢٦٢ والطبراني (فيض للقدير حديث رقم ٤٠٧٢)

(٣) حديث صحيح رواه البخاري ومسلم والنسائي (فيض القدير حديث رقم ٧٥٠٢)

إلا ما عقل منها ولم يعلموا أن لله في كل هيئة من الهيئات وكل حركة من الحركات أسراراً وحكما لا توجد في شيء من الأذكار سواها قال تعالى : ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم ﴾ وقال تعالى ﴿ قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين ﴾ (١)

وأما من أكثر من صلاة الليل وسهره وفرح بقيام الليل وصلاة الضحى فهذا مخالف لهدي الرسول صلى الله عليه وسلم حيث قال لعبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنه - عندما سمع أنه يصوم النهار ويقوم الليل: (...قم ونم فإن لجسدك عليك حقاً ...) (٢) وقال تعالى : ﴿...فاقرءوا ماتيسر من القرآن علم أن سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون في سبيل الله فاقرءوا ماتيسر منه وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ... ﴾ الأية (٣) أي فصلوا ماتيسر لكم من صلاة الليل ، وإنما عبر عن الصلاة بالقراءة ؛ لأن القراءة أحد أجزاء الصلاة قال ابن عباس رضي الله عنه : (سقط عن أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قيام الليل وصارت تطوعاً ، وبقي ذلك فرضاً على رسول الله - صلى الله عليه وسلم -) (٤) وعن أنس بن مالك -

---

(١) سورة آل عمران آية ٣٠، ٣١

(٢) صحيح البخاري كتاب الصيام حديث رقم ١٩٧٥

(٣) سورة المزمل جزء من آية ٢٠

(٤) التفسير الكبير للرازي جـ ٣٠ ص ١٨٧

رضي الله عنه - قال : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد وحبل ممدود بين ساريتين فقال : (ما هذا) ؟ قالوا : لزينب تصلي فإذا كسلت أو فترت أمسكت به فقال : (حلوه ، ليصل أحدكم نشاطه فإذا كسل أو فتر قعد) (١) وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إذا نعس أحدكم في صلاته فليرقد حتى يذهب عنه النوم فإن أحدكم إذا صلى وهو ناعس لعله يذهب يستغفر فيسب نفسه)(٢)

والنوم يجدد القوى التي قد كلت بالسهر وهو أمر طبيعي فطر الله الخلق عليه ولا يستطيع الإنسان مقاومته مدة طويلة فمتى دفعه الإنسان وقت الحاجه إليه أثر في بدنه وعقله ووقت النوم المحبب هو الليل فالله - سبحانه - جعل الليل سكناًولباساً والنهار معاشاً وطلباً لفضله قال تعالى ﴿ ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ﴾(٣)

---

(١) رواه البخاري في الصحيح حديث رقم ١١٥٠ ومسلم في الصحيح ٤٨٢ واللفظ لمسلم

(٢) رواه مسلم في الصحيح حديث رقم ٤٨٤

(٣) سورة القصص آية ٧٣

أما من ظنوا أن العبادة : هي القيام والقعود فحسب زاعمين أن الإمام ضامن لهم فهذا جهل بأمور الشريعة ؛ لأنهم يدخلون في الصلاة ويسلمون مع الإمام دون أن يتموا صلاتهم فهم بذلك يتركون الأركان والواجبات وهؤلاء الناس لا صلاة لهم لأنهم يؤدونها دون تحقيق الأركان والواجبات الشرعية فالإمام ليس ضامناً في ترك الأركان كما نصت بذلك الشريعة الغراء (١) وأما من رفض هذه العبادة فهو ضال ومنحرف عن طريق الإسلام ؛ لأن الله قرر هذه العبادة ، وأمر المسلمين بها قال تعالى﴿ أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل ﴾ (٢) وقال الرسول صلى الله عليه وسلم : (بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والحج وصوم رمضان) (٣) وقوله عليه السلام (العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر) (٤) .

فالغلو في العبادات عند بعض الصوفية واختراعهم لأنفسهم عملاً وعبادة هو سبيل قوم ضلوا سواء السبيل ورهبانية ابتدعوها من أنفسهم ولم تكتب عليهم ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : (من ترك الصلاة عمداً من غير عذر حتى يذهب وقتها كافر) (٥) وكذلك قول النبي - صلى الله عليه وسلم - للمسيئ صلاته : (صل فإنك لم تصل) (٦) لأنه كان لا يتم

---

(١) انظر فقه السنة ج١ ص ١٩٦

(٢) سورة الإسراء آية ٧٨

(٣) كتاب الإيمان للإمام أبو عبيد القاسم بن سلام تحقيق محمد ناصر الدين الألباني المكتب الإسلامي حديث رقم (١) ورواة البخاري في الصحيح كتاب الإيمان حديث رقم ٨

(٤) كتاب الإيمان للحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة تحقيق محمد ناصر الدين الألباني المكتب الإسلامي حديث رقم (١)

(٥) حديث صحيح رواه أحمد في مسنده والترمذي والنسائي وابن ماجة وابن حبان والحاكم (فيض القدير حديث رقم ٥٧٤٠)

(٦) نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار للإمام محمد بن علي الشوكاني دار الفكر بيروت جـ٢ ص٣٠٠

صلاته أي يؤدها غير كاملة الأركان وبلا خشوع . والحقيقة أن شرائع الإسلام تحكم على الأفعال الظاهرة وأما حقائق الإيمان الباطنة فتلك عليها شرائع الثواب والعقاب فلله تعالى حكمان : حكم في الدنيا على الشرائع الظاهرة وأعمال الجوارح وحكم في الآخرة على الظواهر والبواطن ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يقبل علانية المنافقين ويكل أسرارهم إلى الله فيعتد بصلاتهم في أحكام الدنيا فلا يكون حكمهم حكم تارك الصلاة إذ قد أتوا بصورتها الظاهرة وأحكام الثواب والعقاب ليست إلى البشر ؛ بل إلى الله تعالى والله يتولاه في الدار الآخرة فنحن في حكم شرائع الإسلام نحكم بصحة صلاة المنافق مع أنه لا يسقط عنه العقاب ولا يحصل له الثواب في الآخرة فصلاة المسلم الغافل المبتلي بالوساوس مع غفلة القلب عن كمال حضوره أولى بالصحة ، ولا يحصل مقصود هذه الصلاة من ثواب الله عاجلاً ولا آجلاً فإن للصلاة مزيد ثواب عاجل في القلب من قوة إيمانه واستنارته وانشراحه وانفساحه ووجود حلاوة العبادة والفرح والسرور واللذة التي تحصل لمن اجتمع همه وقلبه على الله وحضر قلبه بين يديه (١)

ثالثاً : الصيـــــــام :

لغة : صام صياماً أمسك عن الطعام والشراب والكلام والنكاح والسير (٢)
اصطلاحاً : إمساك بنية عن أشياء مخصوصة في زمن معين من شخص مخصوص (٣)

---

(١) مدارج السالكين ج١ص٥٦٧
(٢) القاموس المحيط باب الميم فصل الصاد
(٣) حاشية الروض المربع شرح زاد المستقنع ص٣٤٦

والصوم صفة صمدانية ولذلك ورد أنه لا مثل له من العبادات لأنه وصف سلبي إذ هو ترك المفطرات فلا عين له تتصف بالوجود الذي هو يعقل (١) وحقيقة الصوم هي الإمساك وللإمساك شروط فكما تحفظ الجوف من الطعام والشراب فإنه يجب أن تحفظ العين من النظر إلى الحرام والشهوة واللسان من قول اللغو والجسد من متابعة الدنيا ومخالفة الشرع وعندئذ يكون هذا هو الصوم الحقيقي (٢) كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم:(رب صائم حظه من صيامه الجوع والعطش) (٣) والصوم عند أهل التصوف إشارة إلى الامتناع عن استعمال المقتضيات البشرية ليتصف بصفات الصمدية (٤) فهو عبادة سرية تتعلق بالظاهر وليس للغير فيها نصيب وجزاؤها بلا نهاية قال النبى صلى الله علية وسلم - خبراً عن ربه عز وجل - (الصوم لي وأنا أجزي به) (٥) وفي هذا الحديث أضاف الله تعالى الصوم إلى نفسه ؛ لأن فيه خصيصة ليست لغيره من العبادات وهو من عمل السر لا يطلع عليه إلا الله وقيل في تفسير قوله تعالى : ﴿ السائحون ﴾ (٦) الصائمون (٧)

---

(١) الكبريت الأحمر ص٦١

(٢) كشف المحجوب ص٥٦٥

(٣) رواة الطبراني وأحمد والحاكم والبيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه (فيض القدير حديث رقم٤٤٠٥)

(٤) الإنسان الكامل ج٢ص٨٧

(٥) حديث قدسي رواه الشيخان عن أبي هريرة - رضي الله عنه - حديث رقم ٧٤٩٢ في صحيح البخاري ورقم ٤٤٠٥ في صحيح مسلم

(٦) سورة التوبة : آية ١١٢

(٧) مختصر تفسير ابن كثير ج١ ص ٤٩٩

لأنهم ساحوا إلى الله تعالى بجوعهم وعطشهم ، وقد قيل فى قوله تعالى : ﴿ ٠٠٠إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب ﴾ (١) هم الصائمون لأن الصبر اسم من أسماء الصوم (٢) وقيل : إن دخول الجنة للخلق بالرحمة ، والدرجة بالعبادة والخلود بجزاء الصوم ؛ لأن الله تعالى قال: (٠٠٠وأنا أجزي به) (٣) وقال الجنيد : (الصوم نصف الطريقة) (٤) .

وللصوفية أمام هذه العبادة أحوال أستنتجها من أفعالهم وأقوالهم ، فأقول وبالله التوفيق :

١ ـ منهم من عرف فضل الصوم وآدابه ، وتعلم أحكامه ، واستعان بالله تعالى على تأديته فأمسك الجوارح عن جميع شهواتها وصفا مطعمه واستجاب لأمر الله في فرضية الصوم فهؤلاء موافقون لما جاء به الشرع بوجوب الاقرار بفرضية الصوم إلا أن من هؤلاء الفريق من حمّل نفسه المشاق في فرضية الصوم وفعل ما لم يأمر به الله ورسوله ـ عليه السلام ـ من تحميل النفس فوق طاقتها ، كان سهل بن عبد الله التستري يأكل في كل خمسة عشر يوماً مرة فإذا دخل رمضان لم يأكل فيها إلا أكلة واحدة وكان يفطر على الماء القراح وحده كل ليلة (٥) . وكان أبو عبيد البسري (٦) إذا دخل رمضان دخل البيت وسدّ عليه الباب ويقول لأمرته

(١) سورة الزمر : آية ١٠

(٢) عوارف المعارف ص٢٩٦

(٣) سبق تخريجه ص٣٠٠

(٤) كشف المحجوب ص٥٦٤

(٥) اللمع ص٢١٧

(٦) من كبار مشائخ الصوفية صحب أبا تراب النخشبي (الطبقات الكبرى للشعراني ج١ص٩٠)

اطرحي كـل ليلـة رغيفـاً مـن كـوة فـي البيـت ولا يخـرج منـه حتـى يخـرج رمضان فتدخل امرأته البيت فإذا الثلاثون رغيفاً موضوعة في ناحية البيت وكانوا يصومون تطوعاً في السفر والحضر على الدوام وأدبهم في صومهـم مـا روى عن النبي عليه السلام انه قال : (الصيام جنة) (١) ولم يقل جنة من أي شيء ولكن معناه أن الصوم جنة في الآخـرة مـن النـار؛لأن الصـوم للصائم في الدنيـا جنـة مـن سـهم الأعـداء الذيـن يدعونهـم إلـى النـار وهـم : الشيطان ، والنفس ، والهوى ، والشهوات ومن اختار المداومة على الصيـام اختار ذلك للاجتزاز بالجنة من مكايد الأعداء لكيلا يجـدوا فرصـة فيظفـروا به ويطرحوه في النار (٢)

---

(١) رواة البخاري في الصحـيح عن أبـي هريرة - رضي الله عنه - حديث رقم ١٨٩٤ وورد بلفظ (الصـوم جنة) في الحديث رقم ٧٤٩٢ في صحيح البخاري ٠

(٢) اللمع ص٢١٧

وكانوا يختارون صوم داود عليه السلام : لما روي في ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (إن أحب الصيام إلى الله صيام داود وأحب الصلاة إلى الله صلاة داود ـ عليه السلام ـ كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه و كان يصوم يوماً ويفطر يوماً) (١) وهذا الصوم أشد على النفس من صوم الدهر لأن النفس إذا ألفت الصوم مع الدوام اشتد عليها الإفطار وإذا الفت الإفطار وتعودت اشتد عليها الصوم . وهذا الصوم ، صوم يوم وإفطار يوم لا تتعود فيه النفس الإفطار ولا الصوم فلذلك قال من قال : إنه أشد الصيام ، وقد حكى في معنى ذلك عن سهل بن عبد الله قال : إذا شبعتم فاطلبوا الجوع وإذا جعتم فاطلبوا الشبع ممن أبلاكم بالجوع وإلا تماديتم وطغيتم ، وكان أحد الصوفية (٢) قد صام نيفاً وخمسين سنة لا يفطر في السفر ولا في الحضر وجهد به أصحابه يوماً أن يفطر فأفطر واعتل من ذلك أياماً حتى كاد أن يفوته الفرض .

٢ ـ جماعة منهم تركوا الأسباب وقطعوا العلايق وتركوا المعلومات وقنعوا بما قسم الله من الأرزاق ولا يدرون أي وقت يسوق الله إليهم أرزاقهم من الغيب فهم متوكلون ، وأوقات هؤلاء أتم من أوقات الصائم الذي يرجع إلى معلوم ومعهود من الطعام المعد لأفطاره – حسب زعمهم – فإن صاموا فلا يلحقهم أحد من الصائمين في الفضل .

ومقصود القوم من الصوم قهر النفس ومنعها عن الاتساع وأخذهم من

---

(١) رواة البخاري في الصحيح باب صوم داود حديث رقم ١٩٧٩ عن عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ ومسلم في الصحيح كتاب الصيام حديث رقم ٦٩١ و اللفظ لمسلم ورواه أحمد والنسائي وأبو داود (فيض القدير حديث رقم ٢١٢)

(٢) هو عبد الله بن أحمد بن جنابان

الطعام قدر الضرورة لعلمهم أن الاقتصار على الضرورة يجذب النفس من سائر الأفعال والأقوال إلى الضرورة ، والنفس من طبعها أنها إذا أقهرت لله تعالى في شيء واحد على الضرورة تأدى ذلك إلى سائر أحوالها فيصير بالأكل النوم ضرورة والقول والفعل ضرورة (١)

ومن آدابهم أن لا يصوم واحد من بين الجماعة إلا بإذن أصحابه لأنه إذا صام شغل قلوب أصحابه بإفطاره وهم على غير معلوم وإن صام واحد من دون الجماعة برضا أصحابه وحضر المفطرين شيء من الطعام فليس يلزمهم أن ينتظروا وقت إفطار الصائم لأنه ربما يكون في الجماعة من يكون به حاجة إلى الطعام والله سبحانه يأتي للصائم برزقه إلا أن يكون الصائم يحتاج إلى الرفق لضعف حاله أو ضعف بنيته فيأخذ نصيبه فيدخره (٢) أما الصوفي المقيم في رباط على معلوم فالأليق بحالهم الصيام ولا يلزمهم موافقة الجمع في الإفطار وهذا يظهر في جمع منهم لهم معلوم يقدم لهم بالنهار، فأما إذا كانوا على غير معلوم فقيل مساعدة الصوام للمفطرين أحسن من استدعاء الموافقة من المفطرين للصوام (٣) ومن كان في مقام السلوك ودعى إلى طعام وهو صائم فلا ينبغي له النظر لئلا يعود نفسه نقض العهد مع الله بخلاف العارف الكامل له النظر بلا كراهة لإحكام رياضة نفسه (٤) حكى عن الجنيد أنه كان يصوم على الدوام فإذا دخل عليه إخوانه أفطر معهم ويقول : ليس فضل المساعدة مع الإخوان بأقل من فضل الصوم للصائم إذ كان متطوعاً (٥) .

---

(١) عوارف المعارف ص٣٠٣

(٢) اللمع ص٢١٩

(٣) عوارف المعارف ص٣٠٥

(٤) الكبريت الأحمر ص٦٤

(٥) اللمع ص٢٢٠

أما إذا كانوا جماعة مترافقين وبينهم مريد يحثوه على الصيام فإن لم يساعدوه يهتموا لإفطاره ويتكلفوا له رفقاً ولا يحملون حاله على أحوالهم وإن كانوا جماعة ومعهم شيخ يصومون بصومه ويفطرون بإفطاره إلا أن يأمرهم الشيخ بغير ذلك فإنهم لا يخالفون أمره ؛ لأن الشيخ يعلم ما يصلح لهم . حكي عن بعضهم أنه قال : صمت كذا وكذا سنة لغير الله : وذلك أن شاباً كان يصحبه فكان يصوم حتى ينظر إليه ذلك الشاب فيتأدب به ويصوم بصيامه (١) وكان أبو الحسن المكي بالبصرة يصوم الدهر ولا يأكل الخبز إلا كل ليلة جمعة وكان قوته ـ كما قيل ـ في كل شهر أربعة دوانيق يعمل بيده يفتل حبال الليف ويبيعها وقد اشتهر بترك الأكل .

ومن الصوفية من كان يصوم سنين كثيرة ويفطر قبل غروب الشمس إلا في رمضان لأنه يريد أن يؤدب نفسه بالجوع ومنهم من يصوم صوم الوصال اقتداء بالنبي عليه السلام لأنه كان يصوم صوم الوصال ومنهم من كان يصوم كل سنة أربعين يوماً ليصح له مقام المكالمة (٢) .

ومنهم من يلازم الصوم ولا يبالي على ماذا أفطر ولا يتحاشى في صومه عن غيبة ولا عن نظرة ولا عن فضول كلمة .

ومنهم من عادته صوم الإثنين والخميس فإذا دعي إلى طعام قال اليوم الخميس ولو قال إني صائم كانت محنة فهو يرى الناس بعين الاحتقار صائماً وهم مفطرون . ومنهم من ينكر الصيام الذي شرعه الله للمسلمين ويرى أنه لا يصوم حقيقة إلا من لا يأكل اللحم الضاني أيام الصوم كالنصاري وأما المسلمون الذي يأكلون اللحم الضاني والدجاج أيام الصوم فصومهم باطل عند هؤلاء الصوفية (٣) .

---

(١) اللمع ص٢٢٠ (٢) كشف المحجوب ص٥٦٩ (٣) انظر طبقات الشعراني جـ٢ ص١٢٨

وبعد فهذه أحوال الصوفية أمام عبادة الصوم ومظهر التوكل في كل حالة وسأناقش هذه الأحوال على ضوء الكتاب والسنة فأقول وبالله التوفيق :

غالبية أهل التصوف يقرون أن رمضان فريضة يجب عليهم صيامه كما أمر الله تعالى ﴿ شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبيانات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ﴾ (١) وإنما أنكر قلة منهم الصيام وكذلك وقع الخلاف بينهم في صوم التطوع •

فالفريق الأول سار على النهج الذي رسمته الشريعه الغراء في صيام التطوع فقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : (أفضل الصيام صيام داود ـ عليه السلام ـ كان يصوم يوماً ويفطر يوماً) (٢) وعن عبد الله بن عمرو قال : (أُخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أني أقول : والله لأصومن النهار ولأقومن الليل ماعشت • فقلت له : قد قلته بأبي أنت وأمي • قال : فأنك لاتستطيع ذلك ، فصم وأفطر، وقم ونم ، وصم من الشهر ثلاثة أيام فإن الحسنة بعشر أمثالها ، وذلك مثل صيام الدهر • قلت : إني أطيق أفضل من ذلك •قال : فصم يوماً وأفطر يوماً فذلك صيام داود عليه السلام وهو أفضل الصيام • قلت : إني أطيق أفضل من ذلك • فقال : النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ : لا أفضل من ذلك) (٣)

---

(١) سورة البقرة : آية ١٨٥

(٢) رواه الشيخان وأصحاب السنن (فيض القدير حديث رقم ٢١٢)

(٣) رواه البخاري في الصحيح باب صوم الدهر حديث رقم ١٩٧٦ ومسلم في الصحيح كتاب الصيام حديث رقم ٦٩٠ واللفظ للبخاري •

أما الفريق الثاني الذي داوم على الصوم فأقول :

المداومة على الصوم جائزة إذا أفطر الإنسان الأيام المحرم صومها إلا أن الآفة فيه من وجهتين أحدهما : أنه ربما عاد بضعف القوى فأعجزه ومنعه من إعفاف زوجته فعن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه قال:(... إن لزوجك عليك حقاً...) (١) فكم من فرض يضيع بهذا النفل •

والثاني : أنه يفوت الفضيلة فالمداومه على الصوم مع خشونة المطعم وقلته أو مع انتظار الرزق الذي يأتيه من السماء كل هذا تفريط وتواكل في حق النفس الواجب حفظها وحمل عليها مالا تطيق وكذلك تواكل على الغير في تدبير ما يحتاجه هذا الصائم من طعام وشراب وهذا لايجوز . أما مداومة جماعة من السلف على الصوم فلأنهم كانوا يقدرون على الجمع بين ذلك وبين القيام بحقوق العائلة أو لعل أكثرهم لم تكن له عائلة وفيهم من فعل هذا في آخر عمره على أن قول الرسول صلى الله عليه وسلم (لا أفضل من ذلك) قطع هذا الحديث (٢)

وأما من يصوم الدهر ويشيع عنه ذلك فلا يفطر وإن أفطر أخفى إفطاره لئلا ينكسر جاهه هذا العمل من خفى الرياء وتواكل على الناس لأن الصائم باستمرار لايستطيع تأدية عمله على الوجه المطلوب وهذا الصائم لو أراد الإخلاص وستر الحال لأفطر بين يدي من قد علم أنه يصوم ثم يعود إلى الصوم ولم يعلم به الناس حتى يبتعد عن الرياء ، ومنهم من يخبر بما قد

---

(١) رواه البخاري في الصحيح كتاب الصيام حديث رقم ١٩٧٥ومسلم في الصحيح كتاب الصيام حديث رقم ١٧٨ واللفظ للبخاري•

(٢) تلبيس ابليس ص١٩٩

صام فيقول اليوم منذ عشرين سنة ما أفطرت ويخبر بذلك ليقتدي به بقية الناس وليحثهم على توفير ما يريده هذا الصوفي لأنه من الأولياء الصالحين وهذا ما يحاول الكثير من الصوفية استغلاله لإثارة عواطف الناس نحوهم وهو ضرب من ضروب التواكل والاعتماد على الغير الذي لم يشرعة الإسلام.

أما من يصوم ويفطر قبل غروب الشمس إلا في رمضان فهذا مخالف للسنة وأنكروا عليه هذا الفعل لمخالفته الشرع والحقيقة أنه إن اعتقد الصوم فقد لزمه الوفاء به وإن لم يعتقد الصوم فسبيله سبيل المتقللين فلا يقال له صائم (١) . وأما صوم الوصال فقد ورد نهى عن النبي صلى الله عليه وسلم ؛ لأنه حين كان يواصل الصيام كان الصحابة يوافقونه فقال : (لا تواصلوا .قالوا إنك تواصل . قال: لست كأحد منكم أني أُطعم وأسقى أو إني أبيت أطعم وأسقى) (٢) وصوم الوصال مخالف للسنة ، لأنه تحميل للنفس أكثر مما تطيق وأما من يصوم ولا يبالي على ماذا أفطر ولا يتحاشى في صومه عن غيبه ولا عن نظره فهو مخالف لما عليه أهل السنة ولم يتقيد بشروط وظوابط هذه العبادة ، ولم يفهم الغاية من فرضيتها ، فالرسول عليه السلام يقول : (رب صائم حظه من صيامه الجوع والعطش) (٣) فيجب الإمساك عن اللهو والحرام وليس من الأدب أن يمسك الصائم عن المباح ويفطر بحرام الآثام ورسول الله ـ صلى الله عليه وسلم

---

(١) اللمع ص٢٢١

(٢) رواه البخاري عن أنس رضي الله عنه باب الوصال حديث رقم ١٩٦١

(٣) رواه الطبراني عن ابن عمر رضي الله عنهما ورواه أحمد والحاكم والبيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه (فيض القدير حديث رقم ٤٤٠٥)

علمنا الأدب في الصوم فقال عليه السلام : (إذا أصبح أحدكم يوماً صائماً فلا يرفث ولا يجهل فإن امرؤ شاتمه أو قاتله فليقل: إني صائم إني صائم) (١)

وأما من أنكر فرضية الصيام دون شبهة أو جهل ، فهو منكر لركن من أركان الإسلام ولا يصح إسلامه إلا بالإقرار بهذا الركن وأداؤه على الوجه المشروع ، لأن الأدلة تضافرت على وجوبه وفرضيته وأجمعت الأمة على وجوبه وأنه أحد أركان الإسلام التي عُلمت من الدين بالضرورة (٢)

وإعطاء الشيخ الصوفي لنفسه حرية الفعل والترك والنظر وحرمان المريد من هذه الأفعال لم يأت بها شرع ولا دين وإنما سار بعض مشائخ التصوف على هذا الطريق ليعطوا أنفسهم مميزات لا يحصل عليها غيرهم حتى لو كان أحد تلاميذهم المخلصين ، وهذه بعض الفوائد التي يحاول كسبها بعضهم من خلال انحرافهم عن الطريق السوي .

أما من يصوم ليخلص من الصفات والطبائع البشرية ليتصف بصفات الربوبية ، أو من يصوم لينزل عليه الوحي ويصح له مقام المكالمة فهذه كلها أقوال وأفعال نتيجة للشطح الصوفي الدخيل على الدين الحنيف ، ونتيجة لعدم تقيدهم بالنصوص الشرعية فلذلك زلت بهم القدم وانحرفوا عن الطريق السوي .

فهذه هي الآداب التي علمها الرسول صلى الله عليه وسلم لأمته والمخالف لهذه الآداب مخالف لأهل السنة والجماعة ولما جاء بالشرع المطهر.

---

(١) رواه البخاري في الصحيح حديث رقم ١٨٩٤ ومسلم في الصحيح حديث رقم ٦٨١واللفظ لمسلم

(٢) انظر فقه السنة ج٢ ص ٣٦٦

الحـــــــج :

لغـــــة : القصد (١)

اصطلاحاً : قصد مكة لعمل مخصوص في زمن مخصوص (٢)

قال تعالى : ﴿ ولله على النـاس حـج البيـت مـن استطاع إليـه سـبيلا ﴾ (٣) والحج فرض عين على العبد في حال صحة وحصول الاستطاعه وهو عنـد أهل التصوف : إشارة إلى إستمرار القصد في طلب الله تعـالى (٤) وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (من مات ولم يحج حجة الإسـلام مات إن شاء يهودياً أو نصرانياً) (٥) فمن أجل ذلك لم يسقط عنهـم مطالبـة الحج وإن عدموا الزاد والراحلـة لأن مـن آدابهـم أن يتمسـكوا بـالأحوط فـي الفرائض ويأخذوا بالأتم من علم الشريعة (٦) ؛ لأن التعلـق بـالرخص سـبيل العامـة والأخـذ بالسـعة حـال الضعفـاء (٧) ، فهـم فـي حجهـم بيـن متوكلـون معتمدون على الله ومتواكلين على الناس ومتاعهم ، ولذا سأعرض لأحـوال هؤلاء موضحاً مظاهر التوكل في كل حالة فأقول :

١- صنـف مـن الصوفيـة إذا حجـوا حجـة الإسـلام جلسـوا واشـتغلوا بحفـظ أوقاتهم ومراعاة أحوالهم فطلبوا السلامة ولم يتعرضوا للبلاء بما يلحقهم من المشقة (٨) وهؤلاء هم المعتدلون لأنهم أخذوا بـالأسباب وتوكلـوا علـى ربهـم

---

(١) القاموس المحيط باب (الجيم فصل الحاء) (٢) حاشية الروض المربع شرح زاد المستقنع جـ٣ ص٥٠٠
(٣) سورة آل عمران : ٩٧ (٤) كشف اصطلاحات الفنون جـ ٢ص٢٠وانظر الإنسان الكامل جـ٢ ص٨٧
(٥) رواه الترمذي عن علي رضي الله عنه في سننه كتاب الحج حديث رقم ٨١٢ بلفظ(من ملك زاداً وراحلة تبلغه إلى بيت الله ولم يحج ، فلا عليه أن يموت يهودياً أو نصرانياً ...) وقال ... : حديث غريب لانعرفه إلا من هذا الوجه . (٦) هذه الدعوى بخلاف الواقع فإذا التزم بها فئة قليلة من أهل التصوف فإن الغالبية العظمى منهم يبحثون عن الرخص بل والبدع ليتخلصوا من العبادات الشرعية المفروضة ، بل ويرتكبون المعاصي والآثام بكثرة .
(٧) (٨) اللمع ص ٢٢٢

وأدوا فرضهم . حج سهل بن عبد الله وله ستة عشر سنة وكان زاده شيئاً من الكبد المشوي المدقوق فكان يستف منه إذا جاع قليلاً وكذلك الجنيد لم يحج إلا حجة الإسلام وحجتهم في اختيارهم في ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يحج إلا حجة واحدة (١)

وهذا يدل على أن هذا الصنف من الصوفية لم يعرضوا أنفسهم للهلاك وأخذوا بالأسباب وتوكلوا على ربهم .

٢- وطبقة أخرى من الصوفية فارقوا الأوطان وهجروا الإخوان قصدوا بيت الله الحرام فقطعوا البوادي والقفار بغير حمل نفقة ولا زاد ولا تعلقوا بمصاحبة الرفيق ولا طلبوا المنازل ولا المناهل ولا تعرجوا على سبب ولا التجأوا إلى طلب وذلك لأن الله - تعالى - يقول : ﴿ وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمناً . . . ﴾الأية (٢) . وهؤلاء الطبقة قد عرضوا أنفسهم للبلاء ولم يطلبوا السلامه وتركوا الأسباب وخرجوا للحج بغير زاد حتى لا يفسد التزود توكلهم على الله ، لأن التوكل عندهم يتنافى مع الأسباب ، ومن حكاياتهم حج حسن القزاز الدينوري اثنتى عشرة حجة حافياً مكشوف الرأس فكان إذا دخل في رجله شوك يمسح رجله بالأرض ويمشي ولا يطأطئ رأسه إلى الأرض من صحة توكله . وكان أبو عبد الله المغربي يدخل البادية وعليه إزار ورداء أبيض وفي رجله نعل طاق كأنه يمشي في السوق فإذا دخل مكة وفرغ من الحج أحرم من تحت الميزاب ويخرج من مكة وهو محرم ويقيم على إحرامه إلى أن يرجع إلى مكة . وقال إبراهيم الخواص : أعرف في البادية تسعة عشر طريقاً غير الطريق الذي يسلكه

---

(١) اللمع ص٢٢٣

(٢) سورة البقرة جزء من الأية : ١٢٥

الناس والقوافل ، ثم يقول : خرجت في بعض السنين من مكة واعتقدت أن لا أتناول شيئاً إلى أن أدخل القادسية فلما وافيت الرَّبَذة وخرجت منها فإذا أنا بأعرابي يصيح من ورائي فلم أعطف عليه (١) فلحقني وإذا بيده سيف مسلول وبيده الآخرى قعب فيه لبن فقال لي : اشرب هذا وإلا ضربت رقبتك قال : فبقيت متحيراً فتناولت منه وشربت وانصرف عني وما رأيت شيئاً آخر حتى دخلت القادسية (٢) •

فهذه الروايات تدل على أن هؤلاء الصنف من الصوفية قد عرضوا أنفسهم للمخاطر ورفضوا الأسباب زعماً منهم أنه توكل على الله وقطعوا الفيافي والقفار من غير زاد ليصححوا التوكل وهم لا يدرون أن ذلك بدعة لم تنقل عن الصحابة وسلف هذه الأمة ـ وقد كانوا أعلم بالتوكل منهم ـ ما فهموا أن التوكل هو المخاطرة بالروح وترك الزاد بل كانوا يأخذون الزاد وهم متوكلون على الله لا على الزاد (٣)

٣ ـ وأما الطبقة الثالثة من الصوفية فإنهم اختاروا المقام بمكة والمجاورة بها وحبسوا أنفسهم هناك لما خص الله تعالى به تلك البقاع والمشاهد من الفضيلة والشرف ولأنها واد غير ذي زرع وهوالحجاز يحجز عن الشهوات واللذات ولا سيما لمن كان قوته في الغيب ورزقه مقسوم ورفقه معدوم والنفس مجبولة على الاضطرابات عند عدم الوفاء بها والعبد مطالب بالسكون تحت الأحكام فعند ذلك تبين مقامات الرجال (٤) فهؤلاء الناس قد

---

(١) لم يستجب هذا الصوفي لمن يصيح خلفه خارج العمران فربما كان من يصيح بحاجة إلى مساعدة أو نجدة فهل هذا من تعاليم الإسلام ؟•

(٢) اللمع ص٢٢٤

(٣) الكشف والتبين في غرور الخلق أجمعين محمد محمد جابر ط مكتبة الجندي بالقاهرة ص٢١١

(٤) انظر الرعاية لحقوق الله لأبي عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي تحقيق عبد القادر أحمد عطاء دار الكتب العلمية بيروت لبنان ص ٤٦٨

تركوا الكسب وقعدوا عن العمل زاعمين أن التوكل هو ترك العمل والقعود عن الكسب طمعاً فيما وعد الله به من الرزق وهم بذلك يسيئون للإسلام ويتجنون على تعاليمه ومنهم من اغتر بالحج وخُيل إليهم أنهم بكثرة هذه الأعمال ينالون الأجر والثواب دون تصحيح مطعمهم وملبسهم من الشبهات وغير ذلك وجوارحهم منتشرة عليه في أكثر عمره ما يكره ربه عز وجل(١) ومن حكاياتهم أقام أبو عمرو الزجاجي بمكه ثلاثين سنة فإذا أراد أن يقضي حاجته خرج عن الحرم ويعتمر في كل يوم ثلاث عمر ويأكل كل ثلاثة أيام أكلة وقال ابراهيم الخواص : أقام في مكة فتى من الفقراء سنين فكنت أتعجب من حسن جلسته وكثرة طوافه وعمرته فقلت في نفسي أحمل إليه شيئاً من الدراهم حتى أدخله بذلك ، قال : فحملت إليه دراهم كثيرة وصببت على طرف خرقتة قال : فنظر إليّ ، ثم أخذ الخرقة وصب الدراهم على الأرض وخرج من المسجد فما رأيت أعزّ منه حين صبها وأعرض عنها ولا أذلّ منى حين جلست أجمعها وألتقطها من بين الحصا(٢) والحقيقة التي لا مراء فيها أن هؤلاء الذين سافروا إلى الأماكن المقدسة ولقوا ما يلحقهم من البلاء في القصد إليها يضنون أنهم يحققون قول النبي - عليه الصلاة والسلام - : (لا تشد الرحال إلاّ إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى) (٣)

---

(١) اللمع ص٣٢٥

(٢)اللمع ص ٢٢٦

(٣) رواه البخاري برقم ١١٨٩ومسلم برقم ١٨٩وأحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجة (فيض القدير رقم ٩٨٠٢)

والمعنى الآخر الذي يطلبونه هو : أن النفس تدعي أحوالاً في الوطن وفي وسط المعارف والمألوفات من التوكل والرضا والسكون والتسليم والتفويض فإذا فارقت الوطن والمعارف تتغير أخلاقها ويبطل دعواها (١)

والناظر بعين البصيرة لهؤلاء المتصوفة الذين كابدوا المخاطر بلا زاد وركنوا إلى المقام وسلكوا طريق المهالك وزعموا أن التوكل هو ترك العمل والتعرض للمخاطر أو الجلوس في المساجد زاعمين أن الرزق يأتيهم بلا تعب ومشقة يجد أن هذا العمل إساءة فهم لتعاليم الإسلام قال تعالى : ﴿٠٠٠ ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم ٠٠٠﴾الأية (٢) ؛ لأنه لا رهبانية في الإسلام والله سبحانه لم يحرم حمل الزاد ولم يأمرهم أن يخرجوا من ديارهم بغير زاد ولا راحلة بل أمرهم بالتزود قال تعالى : ﴿ ٠٠٠وتزودوا فإن خير الزاد التقوى ﴾ (٣) وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يتزود في حروبه وغزواته ويأخذ لكل أمر عدته ولم يفعل ما يفعله هؤلاء الصوفية (٤) ٠

أما من حبس نفسه في مكة وأجهدها في العبادة ومزاحمة الحجاج والعمار فهذا عمل يتنافى مع تعاليم الدين الحنيف ومنافي للتوكل الذي قصده صاحبه وأما تعريض النفس للمخاطر فهو محرم بنص الكتاب قال تعالى: ﴿ ٠٠٠ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ٠٠٠﴾ (٥)

وبعد فهذه مظاهر التوكل في الحج عند الصوفية والله أعلم ٠

---

(١) اللمع ص٢٢٦ (٢) سورة الحديد : الآية ٢٧ (٣) سورة البقرة جزء من الآية ١٩٧

(٤) انظر الرحيق المختوم ص ٤٢٤ (٥) سورة البقرة جزء من الآية ١٩٥

خامساً : الزكـــــــاة :

لغـــــــة : النماء وصفوة الشيء وما أخرجته من مالك لتطهره به (١)
اصطلاحـــاً:حق واجب في مال مخصوص لطائفة مخصوصة في وقت مخصوص (٢)

والزكاة معناها في النماء والطهارة قال تعالى ﴿ خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها ٠٠٠﴾ (٣) ، وزكاه أخذ زكاته وتزكى : تصدق (٤)
وللصوفية أمام الزكاة أحوال وسأعرض لأحوالهم موضحاً مظاهر التوكل في كل حالة :

١ـ الصنف الأول قالوا إن الله تعالى لم يفرض عليهم الزكاة لأنه سبحانه قد زوى عنهم من أموال الدنيا ما يجب عليهم فيه الزكاة والصدقة ، فقد حكى عن أحد الصوفية (٥) أنه قال : نعمة الله تعالى عليّ فيما زوى عني من الدنيا أعظم من نعمة الله تعالى : عليّ فيما أعطاني ويقول : لم تجب عليّ زكاة قط (٦) ، و كان أحد الصوفية ينفق من المال ما يتعجب منه تجار مصر ويقولون: ما لنا لا يفي بنفقته ويقال:إنه لم تجب عليه زكاة (٧) لأن زكاة النعمة والدنيا عند هذه الطائفة ـ الصوفية ـ غير محمودة (٨)

٢ـ وصنف لايأكلون من الزكاة ولايطلبونها ولايأخذونها وقد أباح الله لهم أخذها وإن أكلوا حلالاً طيباً إلا أنهم يريدون بترك ذلك إيثار الفقراء وترك المزاحمة للضعفاء وأهل الحاجات (٩)

---

(١) القاموس المحيط (باب الواو فصل الكاف) (٢) حاشية الروض المربع شرح زاد المستقنع جـ٣ ص١٦٤
(٣) سورة التوبة : جزء من آية ١٠٣ (٤) مختار الصحاح : (باب الصاد) (٥) هو عبد الله بن الشخير
(٦) اللمع ص٢١٠ والصوفي هو: أبو علي المشتولي (٧) اللمع ص٢١١
(٨) كشف المحجوب ص٥٥٧ (٩) اللمع ص ٢١٠ وكشف المحجوب ٥٥٩

٣- وصنف اختار قبول الزكاة والصدقات على الهدايا والهبات وقالوا جعل الله تعالى للفقراء حقاً في أموال الأغنياء ، فإذا أخذنا أخذنا حقوقنا التي جعل الله تعالى لنا فلا معنى لتركه ولا نختار على ما اختار الله تعالى لنا ورسوله صلى الله عليه وسلم وقالوا : الامتناع من أخذ الزكاة ضرب من تعزز النفوس وكراهية الفقر وهذا نوع من التواكل وليس من التوكل في شيء (١)

٤- وصنف منهم يؤدي زكاة الأموال ولكن يحتاج إلى أربعة أشياء حتى يكون مؤدياً للزكاة :

الأول : أن يكون أخذ المال من حلال .

الثاني : لا يكون جمعه للافتخار والتكثر والترفع على من يكون دونه .

الثالث : أن يبدأ بحسن الخلق والسخاوة مع الأهل والعيال .

الرابع : مجانبة المن والأذى إلى من يدفع إليه الزكاة (٢) .

والناظر إلى أحوال الصوفية في الزكاة يرى أن منهم من لا يؤدي الزكاة ألبتة ؛ لأنه لايترك المال يبقى عنده حتى يستحق الزكاة ، وليس من باب إنكار فرضية الزكاة عليه ، وهذا مخالف لما عليه أهل السنة والجماعة ؛ لأن من ينفق مالة من الصوفية حتى لا تجب عليه الزكاة ويفرح بذلك فهذا الصوفي لا تسقط عنه الزكاة وتجب عليه ؛ لأنه قصد بذلك الفرار من

---

(١) اللمع ص٢١٣

(٢) اللمع ص ٢١٥

الزكاة ولأنه قصد به إسقاط حق غيره وهذا عقوبة له لأن الله قد عاقب الفارين منها ولئلا يكون ذريعة إلى إسقاطها جملة (١) وأما إن كان إنفاقة لأمواله ليس فراراً من الزكاة فهو حتماً يكون مسرفاً ومبذراً وقد نهى الله عن ذلك فقال تعالى ﴿إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفوراً﴾ (٢)

وأما ما وصفوه من شروط لإداء الزكاة فلم ترد بالشرع بهذه الصيغة وإنما تؤدي الزكاة إذا بلغت نصاباً فاضلاً عن الحاجات الضرورية وأكملت حولاً وزكاة الثمار عند الحصاد(٣) على أن الشروط التي ذكروها تعتبر من الآداب التي يحث عليها الإسلام دائماً في كل تعامل ولابأس بها ولكن كما أسلفت لم تكن من شروط الزكاة التي وردت بالشرع ولاتقتصر هذه الشروط على الزكاة دون غيرها •

و منهم من يتقبل مال الزكاة وفضلوها على الصدقات والهبات وهؤلاء إن كانوا أحد الأصناف الثمانية (٤) التي تعطى لهم الزكاة فلاباس في ذلك •

---

(١) حاشية الروض المربع ج٣ص١٦٤

(٢) سورة الإسراء أية ٢٧

(٣) انظر فقه السنة ج١ص٢٨٢

(٤) المغني لابن قدامة ج٢ ص ٦٦٥

(٥) انظر فقه السنة ج١ ص٣٢٥

والخلاصة إن من الصوفية : من لا يتقبل مال الزكاة وذلك لأن الادخار عندهم ينافي التوكل ٠

ومنهم : من لا يزكوا لعدم تركهم لأموالهم حتى الحول ٠

ومنهم : المعتدلة الذين اعترفوا بوجوب الزكاة وأدوا حق الله في مال الله وذلك ؛ لأن الكسب والادخار عندهم لا ينافي التوكل وقبلوا أخذ الزكاة ، لأن من مقاصد الزكاة كفاية الفقراء وسد حاجتهم فيعطون من الصدقة القدر الذي يخرجهم من الفقر إلى الغنى ومن الحاجة إلى الكفاية إذا كان ذلك متيسراً وعلى الفقراء بدورهم عدم الاعتماد علىتوزيع الزكاة والصدقات وانتظارها سنة بهد أُخرى ؛ بل يجب عليهم العمل لتأمين حياة كريم لهم ولمن يعولون لا أن يتواكلوا ويتكاسلوا في تحصيل أرزاقهم .

المبحث الثاني : السنن وفروض الكفاية .

أ = الجهاد :

لغة : بذل الوسع (١) والطاقة

اصطلاحاً: قتال الكفار خاصة (٢)

هو الدعاء إلى الدين الحق (٣) وقتال الكفار وفرض في الإسلام على جميع المسلمين بنص القرآن والحديث يقول الله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا أن الله مع المتقين ﴾ (٤) وآيات القرآن كثيرة التي تحث المسلمين على قتال الكفار وأعداء الله وتحضهم على الجهاد في سبيل الله .. وعن الجهاد قال الرسول صلى الله عليه وسلم " (لروحة في سبيل الله أو القدوة خيرمن الدنيا وما فيها) (٥) وقوله عليه السلام : (ما اغبرتا قدما عبد في سبيل الله فتمسه النار) (٦)

إذن فالمسلمون مكلفون بالجهاد وفقاً للكتاب والسنة ، والغاية من الجهاد إعلاء كلمة الله تعالى وأن يكون الدين كله لله ويكون ببذل الوسع مباشرة بساحة القتال ، أو بالمعاونة بالمال أو بالرأي أو بتكثير سواد المسلمين وهو بالمفهوم الإسلامي : فرض كفاية ابتداء وفرض عين إن هجم العدو ؛ ولأن

---

(١) مختار الصحاح (باب الجيم)

(٢)حاشية الروض المربع ج٤ ص ٢٥٣

(٣) كتاب التعريفات للجرجاني ص٨٤

(٤) سورة التوبة أية ١٢٣

(٥) صحيح البخاري كتاب الجهاد والسير حديث رقم ٢٧٩٦

(٦) صحيح البخاري كتاب الجهاد والسير حديث رقم ٢٨١١

الجهاد سبب من أسباب حماية الدين ونشره ، وسبب لحماية الأعراض والأموال والأنفس وإن كان ما قدره الله حاصل إلا أن الصوفية يرون أنه لا فائدة من الأعمال ؛ لأن الأعمال واتخاذ الأسباب قادح في التوكل الذي أمرنا الله به ويزعم الصوفية أن لهم كرامات ولكنهم لم يظهروا هذه الكرامات للدفاع عن دينهم وأوطانهم وسكتوا ورضوا بما نزل بقومهم ويعللون سكوتهم ورضاهم بما نزل بقومهم من احتلال الأعداء لأرضهم وغيرها من المصائب بأنها عقاب من الله تعالى للمكذبين من خلقه فلا يجوز دفع هذا العقاب بالجهاد .

وإذا كان الله قد سلط على قوم ظالماً فليس لأحد أن يقاوم إرادة الله تعالى أو أن يتأفف منها ؛ لأن الاستعمار من عند الله !! (١)

إذن فالصوفية متهمون بصرف الناس عن الجهاد .. وهم متهمون أيضاً بإدخال تفسيرات غريبة وشاذة على آيات القرآن الكريم وهناك من الشواهد والأدلة مايؤيد هذا القول:

من ذلك ما روي عن داود بن صالح أنه قال .. قال لي أبو سلمة بن عبد الرحمن يا ابن أخي هل تدري في أي شيء نزلت هذه الآية : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا ...﴾الأية (٢) قلت : لا قال يا ابن أخي لم يكن في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم غزو يربط له الخيل ولكنه انتظار الصلاة بعد الصلاة فالرباط لجهاد النفس والمقيم في الرباط مرابط مجاهد لنفسه (٣)

---

(١) الصوفية الوجه الآخر ص١٠٧

(٢) سورة آل عمران أية : ٢٠٠

(٣) عوارف المعارف ٢ / ٥٥

وقال بعض الصوفية في قول الله تعالى:﴿ وجاهدوا في الله حق جهاده﴾(١) إن معناه مجاهدة النفس والهوى وذلك هو حق الجهاد وهو الجهاد الأكبر على ما روي في الخبر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رجع من بعض غزواته قال : (رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر) (٢) وفي الوقت الذي يخطئون فيه في تفسير القرآن الكريم ؛ لأن الآية التي أشاروا لها لاتنص على ماذكروه من أن الجهاد الأكبر هو جهاد النفس والهوى وإنما ذكر بعض المفسرين أن معناها المجاهدة في سبيل الله بالأموال والألسنة والأنفس(٣) لاكما يدعي الصوفية ويخطئون كذلك في الاستشهاد بأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فهذا الحديث الذي استدلوا بـه لم يصح عند الثقاة من رواه السنة وإن صح هذا الحديث عن

---

(١) سورة الحج آية : ٧٨

(٢) رواة البيهقي بسند ضعيف عن جابر كما رواه الخطيب في تاريخه ، وقال الحافظ ابن حجر هو من كلام إبراهيم بن عيله (انظر كشف الخفاء حديث رقم ١٣٦٢)

(٣) انظر تفسير الآية (٧٨) من سورة الحج في تفسير ابن كثير وكذلك صفوة التفاسير ج٩ ص٤٩

رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لا يعني أنه قد انتهى جهاد أعداء الله بعد حملة تبوك بل يعني الحث على جهاد النفس وحملها على صعوبة الطاعات كحملها على مشاق الجهاد في الحرب لأن العمل بأوامره ونواهيه لا يسقط عن الإنسان المسلم حتى أثناء وطيس الحرب بل يجاهد أعداء الدين لإقامة الشعائر فالدين الإسلامي ليس جهاد حربياً فقط وإنما هو قول وعمل يتجليان في الدعوة إليه والجهاد في سبيل نشره وفي القيام بشرائعه قبل الجهاد وبعده وهذا هو الذي عناه الرسول الأعظم حين حث المسلمين على جهاد نفوسهم (١) والواضح من القرآن والمتواتر من السنة أن جهاد الكفار من أعظم القربات إلى الله وكانت الصحابة تتهافت على الجهاد في سبيل الله ليحصلوا على إحدى الحسنيين قال تعالى ﴿ لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلاً وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً ﴾ (٢)

ويقول الصوفية إن بعض الصالحين كتب إلى أخ له يستدعيه إلى الغزو فكتب إليه : يا أخي كل الثغور مجتمعة لي في بيت واحد والباب مردود فكتب إليه أخوه : لو كان الناس كلهم لزموا ما لزمت لاختلت أمور المسلمين وغلب الكفار فلابد من الغزو والجهاد . فكتب إليه : يا أخي لو لزم الناس ما أنا عليه وقالوا في زواياهم وعلى سجاداتهم : الله أكبر لانهدم سور القسطنطينية !(٣) ولمّا دخل الزنج البصرة فقتلوا الأنفس،ونهبوا

---

(١) الصوفية في نظر الاسلام ص٤٢٩

(٢) سورة النساء آية : ٩٥

(٣) الصوفية الوجه الآخر ص ٤٣٠

الأموال اجتمع إلى سهل إخوانه ، فقالوا : لو سألت الله تعالى دفعهم ؟ فسكت . ثم قال : إن لله عباداً في هذه البلدة لو دعوا على الظالمين لم يصبح على وجه الأرض ظالم إلا مات في ليلة واحدة !! ولكن لا يفعلون قيل : لِمَ ؟ قال : لأنهم لا يحبون ما لا يحب (١) ولقد عاصر أئمة الصوفية الكبار كثيراً من معارك المسلمين فماذا فعلوا ؟ وماذا قالوا ؟ وماذا كتبوا ؟ لم يحرك واحد منهم ساكناً فهذا بيت المقدس قد سقط في أيدي الصليبين ولم نسمع عن واحد من أئمة الصوفية أنه دعا إلى القتال أو شارك ولكن يقررون للناس أن الله عين كل شيء فليدع المسلمون الصلبيين فما هم إلا الذات الإلهية متجسدة في تلك الصور . وحين أغار الفرنجة على المنصورة اجتمع الصوفية الزعماء لماذا ؟ لقراءة رسالة القشيري والمناقشة في كرامات الأولياء بدلاً من أن يجتمعوا لإعداد العدة وإعلان كلمة الجهاد (٢) وحين احتلت البصرة وعاث بها الأعداء فساداً يرى الصوفية أن هذا العمل محبوباً لله فلا يجب دفعة ولا اتخاذ التدابير المانعة للأعداء من احتلال أرض المسلمين وانتهاك أعراضهم وسلب أموالهم واستباحة دمائهم ؛لأن ذلك يقدح في التوكل على الله ولم يأمر به وإنما كل ما يجري يحبه الله ويرضاه .

وهم بهذه المواقف السلبية ينضمون تحت لواء الجبرية الذين يرون أن العبد مجبر على أفعاله وليس له القدرة على تغيير مجرى الأمور حتى لو كانت هذه الأعمال باستطاعته وفي متناوله ، ولا شك إنها منتهى السلبية وهذا ما يدعوا إليه بعض أهل التصوف ويريدونه.

---

(١) قوت القلوب جـ٢ ص٧١ وانظر الصوفية في نظر الإسلام ص٤٣٠

(٢) انظر الطبقات الكبرى للشعراني ١ / ١٤

والحقيقة أن هذا العمل فرار من مباشرة الحياة الصحيحة التي دعا إليها الإسلام وفي مقدمتها الجهاد للذود عن كرامة المسلمين وديارهم وأعراضهم ووجودهم ونشر دين الله في أصقاع الأرض كما فعل ذلك السلف الصالح .

ب = **القرآن** : تعددت تعريفات الصوفية للقرآن فقالوا : هو المنزل على الرسول صلى الله عليه وسلم المكتوب في المصاحف والمنقول عنه نقلاً متواتراً بلا شبهة • وهو عند أهل الحق : العلم اللدني الإجمالي الجامع للحقائق كلها (١) ويقول الجيلي : القرآن عبارة عن الذات التي يضمحل فيها جميع الصفات فهي المجلّى المسماة بالأحدية أنزلها الحق تعالى على نبيه محمد ليكون مشهده الأحدية من الأكوان (٢) وقال التهانوي : القرآن الذات المحض (٣) والصوفية لا يحبون قراءة القرآن ، ولا يحبون سماعه واستبدلوا مجلس القرآن بمجلس القوّال ، وذلك لأن القرآن سبب مؤثر على النفس البشرية وسبب في السكون والإنصات عند سماعه وسبب في التذكير بآيات الله ووعده وعيده ويدعو إلى الأخذ بالأسباب في كافة الأحوال ويبين حال الرسل عليهم السلام وما اتخذوه من أسباب ووسائل في نشر دعوتهم وكذلك القرآن يتضمن آياته الدعاء والدعاء عديم الفائدة إذ هو مضمون الحصول كما يتضمن الشك وهو قادح في التوكل فلو ترك العبد الدعاء ما فاته شيء مما قدر له - على حد زعمهم - •
وقد صرح القوم أن (السماع أدعى للوجد من التلاوة وأظهر تأثيراً والحجة

---

(١) التعريفات للجرجاني ص١٨١
(٢) الإنسان الكامل للجيلي جـ١ ص١١١
(٣) كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي جـ٣ ص١١٤

على ذلك أن جدل القرآن لا تتحمله القوة البشرية المحدثة ولا تحمله صفاتها المخلوقة ولو كشف للقلوب ذرة من معناها لدهشت وتصدعت وتحيرت والألحان مناسبة للطباع بنسبة الحظوظ وإذا عَلِقت الألحان بالشعر كانت خفيفة على الطباع لمشاكلة المخلوق بالمخلوق ما دامت البشرية باقية) (١) ويصرح الصفوري بقوله : فإن قيل يتواجد المتواجد عند سماع الشعر دون سماع القرآن وذلك لأن القرآن كلام ثقيل لا يليق مع وجوده إلا السكون والإنصات لأنه يتكرر في الأسماع وكلام الشعر كلام البشر فبينهما مناسبة وأما كلام الله تعالى فلا مناسبة بينه وبين البشر (٢) وسئل ابراهيم الخواص : ما بال الإنسان يتحرك عند سماع الألحان ولا يجد ذلك عند سماع القرآن ؟ قال لأن سماع القرآن صدقه لا يمكن أحداً أن يتحرك فيه لشدة غلبته عليه وسماع الألحان ترويح فيتحرك فيه (٣)

فالصوفية أعرضوا عن القرآن لأن قراءته أو سماعه تقدح في توكلهم الذي أمرهم الله به ولذا قال أحدهم : القرآن كله شرك وإنما التوحيد في كلامنا (٤) وابن عربي يزعم أن رسول الله صلى

---

(١) روضة التعريف للسان الدين بن الخطيب ص٢٧١

(٢) نزهة المجالس عبد الرحمن الصفوري جـ٢ ص٦١ وقوله هذا قول خطير جداً فإذا كان ليس بين القرآن وبين البشر مناسبة فما الحكمة من إنزاله ، فهو بهذا القول يريد ان يصل إلى عدم التقيد بالقرآن لأنه حسب زعمه لايناسب الطبائع البشرية ، إن هذا من أساليب غلاة الصوفية الملتوية للتخلص من القرآن بصفة خاصة والدين بصفة عامة

(٣) جامع الأصول / الكامشخانوي ص ٢٤٥

(٤) مجموعة الرسائل / ابن تيمية جـ١ ص١٤٥ والقائل هو التلمساني ٠

الله عليه وسلم أعطاه فصوص الحكم وهو دين زندقته وقال له : اخـرج بـه إلى الناس ينتفعون منه (١) فقد وصلت أيدي المتصوفة إلى محاولة تحريـف القرآن وحالوا أن يصرفوا الناس عن تلاوتـه والتذكير بآياتـه وهـذا أحدهـم يستخف بالقرآن الكريم ويستهين بآياته التي ذكر فيها الجنة والنـار والثـواب والعقاب فيكذب على الله تعالى حيث يقول : قـال اللـه تعـالى (الليـل لـي لا للقرآن يتلى الليل لي لا للمحمدة والثناء ٠٠٠إن لك في النهار سبحاً طويـلاً فاجعل الليل لي كما هو لي ... وما طلبتك لتتلو القرآن فتقف مع معانية فإن معانيه تصرفك عني٠٠٠) (٢) واختلق الصوفية أوراداً واخترعوا وظـائف وبينوا لها ثواباً مـن عند أنفسهم كـأنهم مشرعون وزعموا أن الغنـاء أشد تهيجاً للوجد من القرآن (٣)

وبعد فهذه ادعاءات الصوفية وأقـاويلهم علـى القرآن ولنـدع القـرآن يرد على هـذه الافتـراءات والادعـاءات التـي ما أنزل الله بها من سـلطان يقول سبحانه وتعالى : ﴿ وإذا سمعوا ما أُنزل إلى الـــرسول ترى أعينهم

(١) فصوص الحكم لابن عربي بشرح بالي ص٤٠

(٢) شرح الكلمات الصوفية للرندي بدون تاريخ طبعة ص٢٥٦

(٣) الاحياء جـ٢ ص٢٧٨

تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق ٠٠٠﴾ (١) وقال في وصف عباده : ﴿ إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً﴾ (٢) ويقول : ﴿إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجداً وبكياً وعلى ربهم يتوكلون ﴾ (٣) فعلى هذا السماع كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يجتمعون . يقول ابن تيمية : كان أصحاب رسول الله إذا اجتمعوا أمروا واحداً منهم أن يقرأ والباقون يستمعون ، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول لأبي موسى رضي الله عنه : ذكرنا ربنا فيقرأ وهم يستمعون (٤)

وأما الحديث فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا حسد إلا على اثنين : رجل أتاه الله هذا الكتاب فقام به آناء الليل وآناء النهار ورجل آتاه الله مالاً فتصدق به آناء الليل وآناء النهار) (٥) والأحاديث والآيات أكثر من أن تحصى في هذا المقام .

وعليه فالعقيدة الصوفية لم تثبت بقرآن كريم أو سنة وإنما ثبتت العقيدة عندهم بالإلهام والوحي المزعوم للأولياء والاتصال بالجن الذين يسمونهم الروحانيين وبعروج الروح إلى السماوات وبالفناء في الله وانجلاء مرآة القلب حتى يظهر الغيب كله للولي الصوفي - حسب زعمهم - وبالكشف وبربط القلب بالرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ حتى يستمد العلوم منه في

---

(١) سورة المائدة آية ٨٣ (٢) سورة الأنفال : آية ٢ (٣) سورة مريم : آية ٥٨

(٤) فتاوي ابن تيمية :ج١١ ص٥٩٩

(٥) رواه البخاري في الصحيح حديث رقم ٥٠٢٥ ومسلم في صحيحة عن عبد الله بن عمر رضي الله عنما حديث رقم ٢٦٧واللفظ لمسلم

زعمهم وبلقاء الرسول صلى الله عليه وسلم في اليقظة والمنام وبالرؤى(١) ولذلك حرصوا على مخالفة طلب العلم الشريف علم سنة الرسول صلى الله عليه وسلم والتفقه في الدين ولم يكتف المتصوفة من مخالفة طلب علم الشريعة والحديث والتنفير منه بل جعلوا كشفهم وما يزعمون نقله من العلم عن الله حاكماً على إسناد الحديث فيصححون ما شاءوا من الأحاديث وإن كانت ضعيفة عند علماء الحديث والسنة ويضعفون ما شاءوا منها وإن كانت ثابتة صحيحة (٢)

إن تعلم العلوم الشرعية سبب موصل لمعرفة الأحكام الظاهرة من عبادات وأحكام وهذه العلوم لها حد محدود وعلمهم ليس له نهاية ولا حاجة لهم في تعلم هذه العلوم لأنهم يتلقون العلم من الله عن طريق الكشف كما يزعمون فلا فائدة من الأعمال لأن الأعمال واتخاذ الأسباب قادح في التوكل الذي أمرهم الله به فكل ما قضى الله للعبد وسبق في الأزل من علم أو غيره لابد أن يصل إليه تحرك أو سكن وإن لم يكن قد قضى له لم يحصل له فعل أو ترك . وأما تعللهم في ترك الحديث فادعوا أن تعلم علم الحديث سبب موصل إلى الدنيا والركون إليها وهم زاهدون فيها لأنه يصد عن ذكر الله وعن الصلاة كما حُكى عنهم ، ورأوا أن علمهم الذي يحصلون عليه أفضل من علم الكتاب والسنة فلا حاجة بهم إلى العمل في طلب تعلم الحديث لأن الأعمال واتخاذ الأسباب تؤدي إلى الركون إلى الدنيا ،

---

(١) الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة ص٣٧

(٢) الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة ص٦١ – ٦٢

كما أن تعلم علوم الشريعة والحديث يتطلب سعياً لاكتسابها وهذا السعي والعمل يقدح في التوكل وعلى ذلك فالعلم عندهم يأتي عن طريق الخرافات والمنامات والعبادات المبتدعة لا عن طريق التعلم .

يقول الجنيد : أحب للصوفي أن لا يقرأ ولا يكتب لأنه أجمع لهمه ٠ ويقول أيضاً : المريد الصادق غني عن علم العلماء وإذا أراد الله خيراً أوقعه إلى الصوفية ومنعه صحبة القراء (١) ويفرق الشعراني بين المعرفة الصوفية وفقه الشريعة حيث يقول : كان ٠٠٠ من العارفين ولكنه تستر بالفقه (٢) وقال أبو سليمان الداراني من طلب الحديث فقد ركن إلى الدنيا (٣) وقد ترك بشر الحافي طلب الحديث لأنه سمع أبا داود يقول : الإكثار من طلب الحديث يصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون (٤) ويذكر الشعراني عن أبي المواهب الشاذلي أنه انقطعت عنه رؤية رسول الله صلى الله عليه وسلم لاشتغاله بفقه الكتاب والسنة (٥) وابن عجيبة يحذر من مجالسة العلماء والاستماع إليهم بقوله : الجلوس معهم اليوم أقبح من سبعين عاماً غافلاً وفقيراً جاهلاً لأنهم لا يعرفون إلا ظاهر الشريعة ويرون أن مخالفهم في هذا الظاهر خاطيء أو ضال فيجهدون في رد من خالفهم يعتقدون أنهم ينصحونه وهم يغشون فليحذر المريد من صحبهم والقرب منهم ما استطاع (٦) وقال أبو يزيد البسطامي ناعياً على علماء الشريعة مفاخراً لهم : أخذتم علمكم ميتاً عن ميت وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت يقول أمثالنا حدثني قلبي عن ربي وأنتم تقولون حدثني فلان وأين هو؟ قالوا : مات (٧) ٠

---

(١) الطبقات الكبرى جـ١ ص٨٤ (٢) الطبقات الكبرى جـ٢ ص٩٤ (٣) قوت القلوب جـ٢ ص١٥٢

(٤) غيث المواهب العلية للنفزي الرندي جـ٢ ص١٤٥ (٥) الطبقات الكبرى ج٢ ص٧٥

(٦) تذكرة الأولياء لفريد العطار ص١٦ (٧) الفتوحات المكية ١ / ٣٦٥

وهكذا أراد بعض الصوفية نشر الجهل وأحبوه وكرهوا العلم ومحوا قواعده واشتروا الضلالة بالهدى والغي بالبصيرة وتفننوا في مخالفة العلم وذويه وتقريب الجهل وترويجه فاحتالوا واخترعوا طريقاً آخر سموه كشفاً وإلهاماً وأرادوا القضاء على العلم والعلم الشرعي بوجه خاص وإطفاء نور الهداية والرشد بمنع الناس عن القرآن والسنة والعلوم الشرعية زاعمين أن تعلم هذه العلوم من قرآن وسنة وعلوم شريعة تنافي توكلهم التام على ربهم الذي أمروا به مدعين أن علمهم لا يكون إلا من الحي الذي لا يموت وهذا ضرب من ضروب الجهل ومؤامرة ضد شريعة الله ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم لأنه ما دام الوحي ينزل والأحكامه تتنزل وتعرف بالكشف فلا معنى لانقطاع النبوة وختم الرسالة وتمام النعمة ولو كان القرآن كافياً لهداية الأمة وإرشاد الناس لما احتيج إلى إنزال الأمور بعده ولو كانت السنة النبوية شافية لما اضطر إلى تنزيل السنن الجديدة وإن كانت تلك السنن سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبينها هو عليه السلام لأصحابه الطيبين فكيف أدى الأمانة وبلّغ الرسالة ولماذا شهد الله له بقوله ﴿ وما هو على الغيب بضنين ﴾ (١) أو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبين القرآن فاحتيج إلى أن يبينه الله بعد وفاته عليه السلام بواسطة صوفي أو جمع من الصوفية وماذا يكون معنى قوله تعالى :﴿٠٠٠وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ٠٠٠﴾(٢) وقوله تعالى :﴿ لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين﴾ (٣) ٠

---

(١) سورة التكوير : آية ٢٤ وانظر مختصر تفسير ابن كثير ج٢ص٧١٨

(٢) سورة النحل : جزء من آية ٤٤

(٣) سورة آل عمران : آية ١٦٤

فدعوى الكشف والإلهام ليست إلا تعطيلاً للعلم والقواعد الشرعية بدون أصول ثابتة وأسس مطرده زيادة على الإلهامات المختلفة والمكاشفات المتناقضة المتضاربة في وقت واحد بإختلاف الأشخاص وتعدد الملهمين وأهل الكشف لأنه لا مدخل للعقل ولا مقام للفكر فيها كما قال ابن عربي في فتوحاته: (واعلم أن علومنا وعلوم أصحابنا ليست من طريق الفكر وإنما هي من الفيض الإلهي) (١) وهذا يرشح كل ما في إناء العقيدة الصوفية من مخالفة طلب العلم والسعي لاكتسابه والرحلة في سبيله فلا يخرج أحد لطلب علوم القرآن والحديث وليجلس في دير أو خلوة ويشتغل فيها بالعبادة والتحنث فيفتح الله عليه بالتجلي على قلبه كما ذكر الشعراني مبيناً نزول صورة العلوم والإلهام عليه (٢) وهذه دعوة إلى الرهبنة ومناقضة لقول الرسول الكريم عليه السلام (إنما العلم بالتعلم) (٣).

---

(١) الفتوحات المكية نقلاً عن كتاب الكبريت الأحمر جـ١ ص٥

(٢) اليواقيت والجواهر للشعراني جـ٢ ص٨٤ وانظر دراسات في التصوف ص ١٣٦

(٣) حديث صحيح رواه الطبراني وغيره سلسلة الاحاديث الصحيحة ص٣٤٢وكشف الخفاء حديث رقم ٦٥٢

جـ = الصدقـــــــــة : ـ

الصدقة هي ما يتصدق به على الفقراء (١) وهي العطية تتبع بها المثوبة من الله تعالى (٢) وقد دعا الإسلام إلى الإيثار والبذل والعطاء وحث على ذلك في أسلوب يستهوي الضمائر ويبعث في النفوس الأريحية ويثير فيها معاني الخير والبر والإحسان قال تعالى ﴿ مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم ﴾ (٣) ومدح الله المؤمنين فقال : ﴿ ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ﴾ (٤) والصدقة بها تزكو النفس وتكفر الخطايا والسئيات قال تعالى ﴿ إن تبدوا الصدقات فنعماهي وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ويكفر عنكم سيئاتكم والله بما تعملون خبير ﴾ (٥) ويقول الرسول الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ :(ما نقصت صدقة من مال) (٦) هذا بالنسبة لمن يدفع الصدقة ويؤديها إلى مستحقيها طلباً لرضا الله وعفوه من غير رياء ولاكره ، وكثير من الصوفية يقفون

---

(١) المعجم الصافي (باب الصاد)

(٢) كتاب التعريفات ص١٣٨

(٣) سورة البقرة أية ٢٦١

(٤) سورة الحشر : أية ٩

(٥) سورة البقرة : آية ٢٧١

(٦) رواه أحمد ومسلم والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه (فيض القدير ٨١٢٠)

موقفاً سلبياً من هذا الجانب لأن الصوفي قد خرج من ماله حتى لم يبقى له منه شيء لأن إبقاء المال يضر بتوكله ولذا خرج من جميع أمواله ولم يترك كفاية لنفسه وعياله لأن الرزق يأتيه من عند الله ، ثم إذا احتاج وافتقر عياله فهو إما أن يتعرض لمنن الإخوان وصدقاتهم أو أن يأخذ من أرباب الدنيا وكان بعض الصوفية لا يرون الانبساط في الصدقات ولا يمدون أيديهم إلى الطمع وإلى السؤال وإلى ما يرون فيه المنه وإن جاءهم من غير مسئلة فكانوا يتعففون عن ذلك (١) .

والصوفية أمام الصدقة فريقان : فريق لا يتقبل الصدقة ولا يأكل منها إيثاراً للفقراء وترك المزاحمة للضعفاء وأهل الحاجات لأن غناهم بالله عز وجل وإن كان يأتيهم المال من غير مسألة ولا استشراف نفس فلا ينبغي أن يردوا ذلك للخبر الذي قال فيه النبي الكريم صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب : (ما آتاك الله من هذا المال من غير مسألة ولا اشراف فخذه فتموله أو تصدق به ومالا فلا تتبعه نفسك) (٢) وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (لا تحل الصدقة لغني ولالذي مرة سوي) (٣) وقال بعض الصوفية (٤): من أخذ من الله تعالى أخذ بعز ومن أخذ من غير الله تعالى أخذ بذل ومن ترك لله عز وجل ترك بعز ومن ترك لغير الله تعالى ترك

---

(١) اللمع ص٢١٢

(٢) رواة النسائي عن عمر رضي الله عنه (فيض القدير ٨١٢٠)

(٣) رواه الترمذي في سننه ابواب الزكاة حديث رقم ٦٥٢ والمرة المذكورة بالحديث معناها : القوة وشدة العقل

(٤)انظر اللمع ص ٢٦٢

بذل فمن بنى أمره على غير هذا في الأخذ والعطاء فهو على خطر عظيم والله تعالى يعلم المخطئ من المصيب ولا يخفى عليه شيء . فهؤلاء الناس عاشوا على الهدايا والهبات والإيثار والمواساة ٠

وطبقة أخرى عاشوا على الصدقات والزكوات لا على الهدايا والهبات وقالوا قد جعل الله للفقراء حقاً في أموال الأغنياء فإذا أخذنا حقوقنا التي جعل الله لنا فلا معنى لتركه وقالوا لا نختار على ما اختار الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم لنا فالامتناع من أخذ الصدقة ضرب من تعزز النفوس وكراهية الفقر وقد حكى عن أبي محمد المرتعش أنه كان في محفل من أصحابه من الأغنياء ونظر إلى رجل ومعه خبز يتصدق به على المساكين وقد ازدحموا عليه فقام المرتعش من بين أصحابه وقصد هناك وأخذ رغيفاً من ذلك الخبز فسئل عن ذلك فقال خشيت إن لم أقم وآخذ رغيفاً معهم أن يمحى اسمي من ديوان الفقراء ٠

وعلى العموم فالصوفية لا مال لهم ؛ لأن بقاء المال لديهم يقدح في توكلهم وعلى هذا فلا تجب عليهم الصدقات من وجهة نظرهم لأنهم يحثون بعضهم على عدم كسب المال حتى لا يعطوا منه أحداً صدقة أو هبة (١) وبهذا يكون الصوفية أمام الصدقة فريقان : فريق لايأخذ الصدقة إيثاراً للفقراء و المساكين ومع ذلك فهم لايعملون ولايكتسبون ويتواصون بعدم الكسب خشية الإخلال بالتوكل ٠

وفريق آخر أصبح عالة على باقي إخوانه ينتظر صدقاتهم وإحسانهم مع أنه قادر على العمل والإنتاج وكفاية نفسه وأهله مخالفاً بذلك النصوص الصريحة من الشريعة الغراء٠

---

(١) انظر اللمع ص٢٦٢ والرسالة القشيرية جـ١ ص٧١ وعوارف المعارف ص٩٢

د ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

قبل الحديث عن هذا الموضوع لابد من وقفه أمام كلمة المعروف وكلمة المنكر فأقول :

المعروف هو ما فيه رضا الله من قول أو فعل ٠أما المنكر : ما ليس فيه رضا الله من قول أو فعل (١) وبهذا العمل صارت أمة محمد عليه السلام خير أمة حيث قال الحق سبحانه :﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ٠٠٠﴾ (٢) وقد ذم الله أقواماً لتركهم الأمر بالمعروف فقال سبحانه : ﴿ كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون ﴾ (٣) وقال صلى الله عليه وسلم : (من رأى منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان) (٤) يعني أضعف فعل أهل الإيمان وقيل:التغيير باليد للأمراء وباللسان للعلماء وبالقلب للعوام وفي بعض الأحوال تصير الحسبة فرض عين عند الجميع (٥)

---

(١) التعريفات للجرجاني : ص٢٥٤

(٢) سورة آل عمران : آية ١١٠

(٣) سورة المائدة : آية ٧٩

(٤) رواه أحمد ومسلم عن أبي سعيد رضي الله عنه (فيض القدير حديث رقم ٨٦٨٧)

(٥) انظر الحسبة في الإسلام لشيخ الإسلام ابن تيمية المطبعة السلفية والحسبة تأليف الدكتور فضل إلهي الطبعة الأولى ص٥٤

ويرى الصوفية أن منهجهم يقتضي عدم مقاومة المنكر وعدم الأمر بالمعروف لأن الله في زعمهم أقام العباد فيما أراد فالأرض لله يورثها من يشاء من عباده فلا فائدة من التغيير لأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وعلى هذا فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يضر بالتوكل الذي أمرنا به الله وتحتم الصوفية على المريد ألا يعصي شيخه في أمر أو نهي وإن رآه يخالف السنة المحمدية ولذا قررت الصوفية على لسان الشعراني أن من أشرك بشيخه شيخاً آخر فقد وقع في الشرك بالله ويقول القشيري (ومن صحب شيخاً من الشيوخ ثم اعترض عليه بقلبه فقد نقض عهد الصحبة ووجبت عليه التوبة) (١)

ولكن شيخ الإسلام ابن تيمية وضح ذلك بقوله (من ادعى أنه ولي يجب على أتباعه أن يقبلوا كل ما يقوله ولا يعارضوه ويسلموا له حاله من غير اعتبار بالكتاب والسنة فهم وهو مخطئون ومثل هذا من أضل الناس فعمر ابن الخطاب رضي الله عنه وهو أمير كان الناس ينازعونه فيما يقولوه وهم وهو على الكتاب والسنة) (٢) •

هذا هو منهج السلف في هذه القضية ولا اعتبار لما تدعيه الصوفية ألبتة .

---

(١) هذه هي الصوفية ص٩٩ وانظر الرسالة القشيرية ص ٢٩٧ وكشف المحجوب ص ٥٨٥ وما بعدها

(٢) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ص٣١

المبحث الثالث : الحياة الاجتماعية :

أ= النـــــكاح :

لغــــــة : الوطء والعقد له (١) أوالضم والجمع (٢)

اصطلاحـاً : عقد يعتبر فيه لفظ إنكـاح أو تزويـج فـي الجملـة والمعقـود عليـه منفعة الاستمتاع (٣)

فالله سبحانه وتعالى أمر المؤمنين بالنكاح فقال جل علاه ﴿ وأنكحوا الأيامى منكم والصـالحين مـن عبـادكم وإمـاءكم ٠٠٠﴾ (٤) وجعـل الـزواج سـبباً لحصول السكون والطمأنينة حيث قال عز وجل : ﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مـودة ورحمـة٠٠٠﴾(٥) وقـال صلى الله عليه وسلم :(تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم) (٦) كما قال عليه السلام : (حبـب إلـيّ مـن دنيـاكم النسـاء والطيـب وجعلـت قـرة عينـي الصلاة)(٧) ٠

ويرى الصوفية أن الزواج سـبب جميـع الفتـن الدينيـة والدنيويـة وسـبب فـي أنس النفس بغير الله ومن أنس بغير الله شغل عن اللـــــه كما أنه ســبب أيضاً

---

(١) القاموس المحيط باب (الحاء) فصل (النون)

(٢) كتاب التعريفات للجرجاني ص ٢٦٦

(٣) الروض المربع ص٣٩٤ وانظر كتاب الأشباه والنظائر للإمام جلال الدين السيوطي تحقيق محمد المعتصم بالله البغدادي دار الكتاب العربي الطبعة الأولى ص٤٩٨

(٤) سورة النور جزء من آية : ٣٢

(٥) سورة الروم جزء من آية : ٢١

(٦) رواه النسائي وأبو داود (فيض القدير حديث رقم ٣٢٨٦)

(٧) رواه النسائي وأحمد والحاكم والبيهقي (فيض القدير حديث رقم ٣٦٦٩)

في حصول السكون والطمأنينة ولما كان الزواج جامعاً لهذه الأسباب ترك الصوفية الزواج وأضربوا عنه وحذروا منه ؛ لأنه يقدح في توكلهم على الله يقول أبو سليمان الدارني :

(من تزوج فقد ركن إلى الدنيا) (١) ويقول الجنيد (أحب للمريد المبتدي أن لا يشغل قلبه بالتزوج) (٢) كما نقل عن بشر الحارث أنه قيل له :(إن الناس يتكلمون فيك فقال وما عسى يقولون قيل يقولون : إنك تارك السنة ـ يعنون النكاح ـ فقال لهم : إني مشغول بالفرض عن السنة وما منعني ذلك إلا آية في كتاب الله ولهن مثل الذي عليهن فالأفضل للمريد ترك التزويج) (٣)٠

إن سلوك وقول بعض الصوفية في هذه المسألة خطير للغاية وتظهر منه دعوة خبيثة وخفية للقضاء على النسل وعلى الزواج المشروع وبالتالي إذا تحققت هذه الدعوى يصبح انتشار الرذيلة الخُلُقية وتفشي ظاهرة الزنا والممارسات الجنسية الغير مشروعة في المجتمع أمر حتمي ومع مرور الوقت سيتصدع بنيان المجتمع المسلم ويصبح مجتمعاً متهتكاً ومقراً للرذيلة والفواحش والأمراض والأوبئة وستكون الأمة ضعيفة أمام من يتربصون بها الدوائر من الأعداء والحاقدين ٠

وهي دعوة مخالفة للكتاب والسنة وتلك التعاليم التي رضوها على أنفسهم هي تعاليم المسيحية كما إنها تعطيل لِحكم الله الكونية في الأرض .

---

(١) قوت القلوب / جـ١ ص٢٥٢

(٢) قوت القلوب جـ١ ص٢٦٧

(٣) عوارف المعارف ص١٦٥

ب = الطعـــــام والشراب:

لقد أكد الإسلام على أكل الحلال وترك الحرام وطلبه من المؤمنين قبل العبادات والطاعات قال تعالى : مخاطباً لأنبيائه وأصفيائه ﴿ يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً إني بما تعملون عليم ﴾ (١)
وقال مخاطباً المؤمنين ﴿ يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله إن كنتم إياه تعبدون ﴾ (٢) وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أيها الناس إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال ﴿ يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً إني بما تعملون عليم ﴾ وقال ﴿ يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم ﴾ ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يارب يارب ومطعمه حرام ومشربه حرام وغذي بالحرام فأنى يستجاب لذلك)(٣) ويرى الصوفية أن الطعام والشراب سبب مانع من رؤية الله لتمكن الشيطان من النفس بالطعام والشراب وسبب في قوة النفس التي لا يؤمن شرها ولا يذهب عنها ما جبلت عليه من الشر وهي الأمارة بالسوء كما أن الطعام والشراب سبب مانع من المعرفة ولما كان الطعام والشراب سبباً مانعاً من المعرفة وسبباً في قوة النفس وحجبها عن رؤية ربها تركوا الطعام والشراب توكلاً لأن الطعام والشراب يقدح في توكلهم على ربهم . سئل البسطامي : بأي شيء وجدت هذه المعرفة ؟ فقال(ببطن جائع وبدن عار) (٤) وقال آخر(لوعلمت أن الجوع يباع في السوق ما كان ينبغي لطلاب الآخرة إذا دخلواالسوق أن يشتروا غيره) (٥) ونقل العطار عن السري السقطي أنه قال : (منذ أربعين سنة تتمنى

---

(١) سورة المؤمنون أية٥١ (٢) سورةالبقرة أية ١٧٢(٣) رواه مسلم في الصحيح كتاب الزكاة حديث رقم ١٠٩٦

(٤) قوت القلوب جـ٢ ص١٦٨ (٥) اللمــــع ص٢٦٩و القائل هو : يحيى بن معاذ .

نفسي شرب العسل ولم أجبها) (١) ونقل عماد الدين الأموي عن عيسى عليه السلام أنه قال (طوبى للجياع العطاش فإنهم هم الذين يرون الله)(٢) يقول القشيري : أقام أبو عقال المغزلي بمكة أربع سنين لم يأكل ولم يشرب إلى أن مات (٣) وقيل لسهل بن عبد الله هذا الذي يأكل في كل أربعين وأكثر أكلة أين يذهب لهب الجوع عنه ؟ قال:(يطفئه النور)(٤) وقال السهرودي : (إن بناء أمرهم على أربعة أشياء قلة الطعام وقلة المنام وقلة الكلام والاعتزال على الناس) (٥) والشعراني نقل في طبقاته عن أبي محمد الخراز أنه قال : (الجوع طعام الزاهدين) (٦) وقال سهل بن عبد الله(اجتمع الخير كله في هذه الأربع : إخماص البطون والصمت والخلوة والسهر) والصوفية توهموا أن توكلهم في ترك الطعام والشراب يؤدي إلى كسرالنفس وظنوا أن ذلك حال وقد غلطوا في ذلك لأن النفس لا يؤمن شرها ولا يذهب عنها ما جلبت عليه من الشر بمجرد ترك الطعام وإنما باللجوء إلى الله وفعل ما أمر به من فروض وواجبات واجتناب ما نهى عنه من محارم ومحظورات والتمتع بما أحل وأباح وهذابخلاف ما يفعله بعض من حملوا أنفسهم على تلك الحال من التقلل وأكل الحشيش وترك شرب الماء حتى فاتتهم الفريضة وهاموا على وجوههم ودخلوا البوادي وتوهموا أنهم إذا فعلوا ذلك نالواما نال الصادقون من حقيقةالتوكل(٧)

---

(١) تذكرة الأولياء ص١٥٣

(٢) حياة القلوب بهامش قوت القلوب جـ٢ ص٩

(٣) الرسالة القشيرية جـ١ ص٢٢٠

(٤) عوارف المعارف ص٢٢٤

(٥) عوارف المعارف ص٢٢٣

(٦) طبقات الشعراني جـ١ ص٧

(٧) انظر اللمع ص٥٢٩

والحقيقة التي لا شك فيها أن كل النصوص التي تمسك بها الصوفية تنطق صراحة عن مصدرها الأصلي ومرجعها الحقيقي فهي توجيهات مسيحية وتعاليم رهبانية وتعذيب للنفس وتعرضها للهلاك الذي يضعف معه أمر العبادة فالإسلام حرّم تعذيب النفس ومنع الناس من التشديد في الدين وعرفهم الحنيفية السمحة البيضاء النزيهة ونهاهم عن الانغماس في الدنيا والجري وراء ملذاتها وشهواتها واعتبارها كل شيء كما راعى جانب الطبيعة والفطرة وأباح الطيبات من الرزق والتمتع بالجائز من الدنيا فوضع عن الناس إصرارهم والأغلال التي كانت عليهم وأمرهم بالقصد والاعتدال فقال جل علاه ﴿ يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق ... ﴾ (١) فدين الإسلام وسط في هذه القضية فلم يأمر بالتوجه كلياً إلى الدنيا والتنعم بلذاتها ولم يأمر بالتوجه إلى الأخرة وترك الدنيا كلياً ؛ بل وازن بين الأمرين قال تعالى : ﴿ وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين ﴾ (٢) كما أن ترك الطعام والخروج إلى البراري بغير زاد لايعتبر توكلاً ؛ بل هو من قبيل إلقاء النفس في التهلكة وقد حرم الله ذلك فقال : ﴿ وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة وأحسنوا إن الله يحب المحسنين ﴾ (٣) كما أن هذا السلوك مخالف لسيرة الرسل عليهم السلام والسلف الصالح وليس هذا من قبيل التوكل ؛ بل هو من الإفراط والجناية بحق النفس .

---

(١) سورة الأعراف الآيات :٣١ - ٣٢

(٢) سورة القصص : آية ٧٧

(٣) سورة البقرة : آية ١٩٥

جـ = الخروج عن المـــــال :

المال نعمة من نعم الله جعله الله قياماً للإنسان حيث قال : ﴿ ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياماً ﴾ (١) وأمر المؤمنين أن يتوجهوا إليه بطلب الدنيا وحسناتها مع الآخرة وحسناتها قائلين : ﴿ ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ﴾ (٢)

كما أمر من اجتمع عنده مال من الدنيا ورزقها أن يخرج منها حقاً للسائل والمحروم قال تعالى : ﴿ وفي أموالهم حق للسائل والمحروم ﴾ (٣)

وقال ـ عليه السلام ـ لسعد ـ رضي الله عنه ـ حينما عزم على الصدقة فقال له : (...فالثلث والثلث كثير إنك أن تدع ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكففون النـــــاس في أيديهم ...) (٤)

والآيات والأحاديث في هذا الباب كثيرة وأكتفي بذكر ما يبين المسألة ، فأقول وبالله التوفيق : يرى الصوفية أن إكثار المال حجاب وعقوبه وأن حبسه ينافي التوكل ، ولا يُنكر أنه يُخاف من فتنته وأن خلقاً كثيراً اجتنبوه لخوف ذلك وإن جمعه من وجهه ليعز وإن سلامة القلب من الافتتان به تقل واشتغال القلب مع وجوده بذكر الآخرة يندر فلهذا خيف فتنته (٥) ولما كان كسب المال يضر بالتوكل خرج الصوفي عن جميع ماله لأنه يعلم أن رزقه يأتيه من عند الله فلا داعي لكسب المال مادام رزقه يأتيه من عند الله ..

---

(١) سورة النساء آية : ٥

(٢) سورة البقرة آية : ٢٠١

(٣) سورة الذاريات آية : ١٩

(٤) رواه البخاري في الصحيح كتاب الوصايا حديث رقم ٢٧٤٢ومسلم في الصحيح كتاب الوصية حديث رقم ٩٦٤ واللفظ للبخاري

(٥) القرطبي والتصوف تأليف مشهور حسن محمود سليمان دار الكتب الأثرية الطبعة الأولى ص٥٨

ولذلك لا يشتغلون بالكسب وطلب المعاش بل يظنونه ركوناً إلى الدنيا (١) يقول النفزي: قال لي الله: (إن كنت ذا مال فما أنا منك ولا أنت مني)(٢) ويروى عن الشبلي : أنه ألقى بأربعة آلاف دينار جملة في دجلة فقالوا له ما تفعل ؟ قال : (الحجر أولى بالماء قالوا : لم لا تعطيها للخلق ؟ قال سبحان الله بم أحتج إلى الله في أني رفعت الحجاب عن قلبي وجعلته على قلوب إخوتي المسلمين) (٣) وروى الطوسي عن الحسين النوري : أنه حمل إليه ثلثمائة دينار قد باعوا عقاراً له فجلس على قنطرة الصراة وهو يحذف بواحد واحد منها إلى الماء ويقول(سيدي تريد أن تخدعني بهذا)(٤)

وحكى عن الشبلي أنه باع عقاراً له بمال كثير فما قام من موضعه حتى نثرها وفرقها على الناس وكان له عيال لم يدفع إليهم شيئاً من ذلك (٥) وقال بعض الصوفية : دخلت على الشبلي فرأيت بين يديه اللوز والسكر وهو يحرقها بالنار (٦) ٠

والحقيقة التي لا مراء فيها أن خروج الإنسان من جميع ماله مخالف لنص الشريعة الإسلامية فإضاعة المال وإتلافه قد نهى عنه رسول الله صلى الله

---

(١) قوت القلوب جـ١ ص٢٥٢

(٢) كتاب المواقف محمد بن عبد الجبار النفزي طبعة دار الكتب المصرية القاهرة ص٥٤

(٣) كشف المحجوب ص٤٦٢

(٤) اللمع ص٢٥٧

(٥) اللمع ص٤٨٣

(٦) اللمع ص٤٨٣

عليه وسلم حيث قـــال : (إن الله عز وجل حرم عليكم عقوق الأمهات ووأد البنات ومنعاً وهات وكره لكم ثلاثاً: قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال) (١) كما أن خروج الإنسان عن ماله يجعله عالة على الناس يعيش على عطياتهم وإحسانهم فالمال في هذا الزمان سلاح وما زال السلف يمدحون المال ويجمعونه للنوائب وإعانة الفقراء ومما يدل على حفظ الأموال ومراعاتها إباحة القتال دونها وعليها قال الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم : (من قتل دون ماله فهو شهيد) (٢) .

---

(١) رواة مسلم في صحيحة كتاب الأقضية حديث رقم ١٢

(٢) الجامع لأحكام القرآن ٣ / ٤١٧والحديث رواة مسلم في الصحيح كتاب الإيمان حديث رقم ٢٢٦

د = ترك التـــــــداوي :

لقد شرع الله لنا التداوي لحفظ النفس من الهلاك فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(ما أنزل الله داء ، إلا أنزل له شفاء) (١)
وقال سبحانه وتعالى : ﴿ يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس ﴾ (٢) وجاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكو بطن أخيه فقال له صلى الله عليه وسلم : (اسقه عسلاً) (٣) .
ويزعم بعض الصوفية أن التداوي يضر بالتوكل ولذلك دعوا إلى تركه لأن كل ما قدره الله حاصل ولا مفر منه وما دام كل شيء قدره الله حاصل والآجال مقدرة فلا داعي إلى التداوي حتى ينال ثواب المرض بحسن الصبر على بلاء الله تعالى أو ليجرب نفسه في القدرة على الصبر (٤)
والصوفية في هذا الزعم مخطئون لأن العبد مأجور بصبره على مالا يملك رده من البلاء أما صبره عما يملك رده من هلاك أو مرض فالصحيح عدم ذلك فقد يكون مسئولاً عن هلاك نفسه في حين كان يملك السبب الذي يدفع به هذه التهلكة وقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أفضل الدعاء فقال للسائل : (سل الله العفو والعافية في الدنيا والآخرة) (٥) وقال صلى الله عليه وسلم : (ما من دعوة يدعوبها العبد أفضل من اللهم إني أسألك المعافاة في الدنيا والآخرة) (٦)

---

(١) الطب النبوي ابن قيم الجوزي دار الغد ص٨ والحديث رواة البخاري في الصحيح كتاب الطب حديث رقم ٥٦٧٨ . (٢) سورة النحل آية: ٦٩
(٣) رواه البخاري في الصحيح عن أبي سعيد رضي الله عنه كتاب الطب حديث رقم ٥٦٨٤
(٤) دراسات في التصوف ص ٣٣٣
(٥) رواه ابن ماجة في سننة كتاب الدعاء حديث رقم ٤٣٤٨
(٦) رواه ابن ماجة في سننه كتاب الدعاء حديث رقم ٣٨٥١

كما ان ترك التداوي قد يعــرض صاحبه للموت وهـذا قد لايكون كفارة للذنوب بل يحتمل أن يكون زيادة فيها وجاء في الأحاديث الصحيحـة الأمر بالتداوي ، وأنه لا ينافي التوكل ؛ كما لا ينافيه دفع داء الجوع والعطش والحر والبرد بامتدادها ؛ بل لا يتم حقيقة التوحيد إلا بمباشرة الأسباب التي نصبها الله مقتضيات لمسبباتها قدراً وشرعاً ، وأن تعطيلها يقدح في نفس التوكل كما يقدح في الأمــر والحكمة ويضعفه من حيث يظن معطلها : أن تركها أقوى في التوكل ؛ فإن تركها عجزاً ينافي التوكل الذي حقيقته اعتماد القلب على الله في حصول ما ينفع العبد في دينه ودنياه ودفع ما يضر في دينه ودنياه . ولا يدفع هذا الاعتماد من مباشرة الأسباب وإلا كان معطلاً للحكمة والشرع فلا يجعل العبد عجزه توكلاً ولا توكله عجزاً (١)

---

(١) الطب النبوي ص١٠

الفصل الثالث

موقف العلماء من التوكل عند الصوفية :

ويتضمن ستة مباحث :

الأول : موقف محمد بن الحسن الشيباني .

الثاني : موقف ابن الجوزي .

الثالث : موقف شيخ الإسلام ابن تيمية .

الرابع : موقف ابن القيم .

الخامس : موقف ابن مفلح .

السادس : موقف ابن رجب .

الفصل الثالث

موقف العلماء من التوكل عند الصوفية :

لقد هرب بعض الصوفية من الحياة منحرفين عن طريق الزهد متقمصين حالة التقشف والسهر متبعين طريق التواكل والكسل هائمين على وجوههم في الأسواق والفلولات تواكلاً على الله ثم الناس ولم يقدروا الحياة قدرها ، أو عرفوا الحياة ولكنهم فشلوا أمام مسؤولياتها ، فلجأوا إلى ما يغطي فشلهم ويخفي جبنهم بما طلبوه من مظاهر الشهرة عن طريق الشذوذ عن قواعد الحياة وسننها وطريق الجرأة على سنن الله في خلقه ونواميسه لعباده وانقادوا وراء الخرافات والأضاليل وأطلقوا عليها اسم الزهد لخدمة أهوائهم ومصالحهم الشخصية تحت ستار التوكل الذي دعاهم إلى حرمة المكاسب وقالوا إن السعي في طلب الرزق معصية لأنه سوء ظن بالله وتكذيب لوعوده وأن فقدان المال خير من وجوده ؛ لأن التدبير للمال يشغل القلب عن العبادة وحبسه يتنافى مع التوكل كما تركوا المباح فهم لا يذوقون الطيبات وفيهم من يحرمها حتى هذوا من فرط الجوع والألم وادعوا وهم على تلك الحال من التواكل أنهم من الواصلين ويرون من العجائب ما لا يراه الناس وبعد بيان حالهم سأعرض لموقف العلماء منهم الذين تصدوا لهم وفندوا حججهم وبينوا أباطيلهم وهم كالتالي :

المبحث الأول : موقف محمد بن الحسن الشيباني : (١)

لقد حكم الإمام أبو الحسن على هؤلاء المتصوفة الذين تركوا الأسباب وهاموا على وجوههم في البوادي تواكلاً بأنهم مخالفون للشريعة منحرفون عنها وإلى هذا أشار رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله للسائل الذي قال : أرسل ناقتي وأتوكل ؟ فقال رسول الله (لا بل اعقلها وتوكل) (٢) ونظير هذا الدعاء فقد أمرنا به قال الله تعالى:﴿ ...واسئلوا الله من فضله... ﴾ (٣) ومعلوم أن ما قدر لكل أحد فهو يأتيه لا محالة ثم لا يتطرق أحد بهذا إلى ترك السؤال والدعاء من الله تعالى والأنبياء كانوا يسألون الجنة مع علمهم أن الله تعالى يدخلهم الجنة وقد وعدهم بذلك وهو لا يخلف الميعاد وكانوا يأمنون العاقبة ثم كانوا يسألون الله تعالى ذلك في دعائهم فالاكتساب سبب الرزق بالتحرك لا ينفي التيقن بأن الله تعالى هو الرزاق والعجب أن الصوفية لا يمتنعون من تناول طعام من أطعمهم من كسب يده وربح تجارته مع علمهم بذلك فلو كان الاكتساب حراماً لكان المال الحاصل به حرام التناول لأن ما يتطرق إليه بارتكاب الحرام يكون حراماً مثل بيع الخمر للمسلم لما كان حراماً كان تناول ثمنها حراماً وحيث لم يمتنع أحد منهم من التناول كان قولهم نتيجة الكسل والجهل فالله قد أمر مريم عليها السلام بهز النخلة كما قال تعالى ﴿ وهزى إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً﴾ (٤) وهو قادر على أن يرزقها من غير هز منها

---

(١) هو محمد بن الحسن الشيباني صاحب الإمام أبي حنيفة النعمان ولد بواسط ونشأ بالكوفة مع والده توفي سنة ٢٣٤هـ

(٢) رواه الترمذي عن أنس رضي الله عنه ورواه البيهقي والطبراني عن أبي هريرة رضي الله عنه (كشف الخفاء ومزيل الالباس حديث رقم ٤١٨) بلفظ (اعقلها وتوكل)

(٣) سورة النساء آية : ٣٢

(٤) سورة مريم آية : ٢٥

كما كان يرزقها في المحراب فقال عز وجل : ﴿ ٠٠٠كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً ٠٠٠﴾ (١) وإنما أمرها بذلك ليكون بياناً للعباد أن لا يدعوا اكتساب السبب وإن كانوا يتيقنون أن الله هو الرازق . والله قد أمرنا بالإنفاق فقال : ﴿ ٠٠٠أنفقوا من طيبات ما كسبتم٠٠٠ ﴾ (٢) ولا يتصور الإنفاق إلا بتحصيل المال بالكسب ؛ فإن في الكسب نظام العالم والله تعالى حكم ببقاء العالم إلى حين فنائه وجعل سبب البقاء والنظام كسب العباد وفي تركه تخريب نظامه وذلك ممنوع منه (٣) ثم يبين الشيباني – رحمه الله تعالى – ويقول: (إن الكسب فيه معنى المعاونة على القرب والطاعات أي كسب كان وكسب الحركة فيه معاونة على الطاعات والقرب فإنه لا يتمكن من أداء الصلاة إلا بالطهارة ويحتاج له إلى كوز و رشا ينزح به الماء ويحتاج إلى ستر العورة لأداء الصلاة وإنما يتمكن من ذلك بعمل الحركة وهذا كله من أسباب التعاون على إقامة الطاعة وإليه أشار عليّ رضي الله عنه في قوله : (لا تسبوا الدنيا فنعم مطية المؤمن الدنيا إلى الآخرة) وقال أبو ذر رضي الله عنه حين سأله رجل عن أفضل الأعمال بعد الإيمان فقال (الصلاة وأكل الخبز) فنظر إليه الرجل كالمتعجب فقال:(لولا الخبز ما عبد الله تعالى) ، يعني يأكل الخبز ما يقيم

---

(١) سورة آل عمران جزء من آية : ٣٧

(٢) سورة البقرة جزء من آية : ٢٦٧

(٣) الاكتساب ص٢٦ ، ٢٧

صلبه فيتمكن من إقامة الطاعة ثم يستدل رحمه الله على أن الكسب لا يضر بالتوكل فيقول : وحجتنا في ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : (إن من الذنوب ذنوباً لا يكفرها الصوم ولا الصلاة) قيل : فما يكفرها يا رسول الله قال:(الهموم في طلب المعيشة) (١) وقال عليه السلام : (طلب الحلال كمقارعة الأبطال ومن مات من طلب الحلال مات مغفوراً له) (٢) وقال صلى الله عليه وسلم : (أفضل الأعمال الاكتساب للإنفاق على العيال) (٣) من غير تفضيل بين أنواع الكسب ولو لم يكن فيه سوى التعفف والاستغناء عن السؤال لكان مندوباً إليه فإن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : (السؤال آخر كسب العبد) (٤) أي يبقى في ذلته إلى يوم القيامة وقال عليه السلام لحكيم بن حزام : (مكسبة فيها نقص المرتية خير لك من أن تسأل الناس أعطوك أو منعوك) ثم المذمة في عرف الناس ليس للكسب ؛ بل للخيانة وخلف الوعد واليمين الكاذبة (٥)

وعلى هذا فالشيخ يقرر بأن طلب الكسب فريضة على كل مسلم لأنه لا يتوصل إلى إقامة الفرض إلا به وهو لا ينفي التوكل على الله أو ينقص منه خلافاً لمن ادعى ذلك من جهال أهل التقشف وحمقى أهل التصوف .

---

(١) رواه الطبراني وأبو نعيم عن أبي هريرة مرفوعاً بلفظ(إن من الذنوب ذنوباً لاتكفرها الصلاة ولاالصوم ولا الحج ويكفرها الهم في طلب المعيشة) كشف الخفاء حديث رقم (٧٨٣)

(٢) ورد في فيض القدير شرح الجامع الصغير بلفظ (طلب الحلال واجب على كل مسلم) حديث رقم ٥٢٧٢ وهوحديث حسن أما حديث (طلب الحلال جهاد) فهو حديث ضعيف (فيض القدير حديث رقم ٥٢٧٣)

(٣) ورد في فيض القدير بلفظ(إذا أنفق المسلم نفقة على أهله وهو يحتسبها كانت له صدقة) حديث رقم ٤٩٨

(٤) ورد في كتاب كنوز الحقائق في حديث خير الخلائق للمناوي (طلب الحلال واجب على كل مسلم) وفي سنن الترمذي (لاتحل الصدقة لغني ولا لذي مرة سوي) أبواب الزكاة حديث رقم ٦٥٢

(٥) الاكتساب ص٤٠ والحديث لم أعثر على تخريجة وإنما له شواهد من الأحاديث المذكورة أعلاه تقويه.

المبحث الثاني : موقف ابن الجوزي :

لقد أنكر ابن الجوزي على الصوفية الذين تركوا الأخذ بالأسباب وادعوا أنهم متوكلون على الله وهو ادعاء باطل فاسد لا يصلح عليه أمر دين أو دنيا وهو تواكل لا توكل .. لأن التوكل إنما يكون مع مباشرة الأسباب والأخذ بكل ما هو في مقدور الإنسان إزاء العمل الذي يباشره .

يقول ابن الجوزي : (قلة العلم أوجبت هذا التخليط ولو عرفوا ما هية التوكل لعلموا أنه ليس بينه وبين الأسباب تضاد وذلك أن التوكل اعتماد القلب على الوكيل وحده وهذا لا يناقض حركة البدن في التعلق بالأسباب وادخار المال) (١) ، ثم يقول (واعلم أن الذي أمر بالتوكل أمر بأخذ الحذر وقد أخبرنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن التوكل لاينافي الاحتراز)(٢) ؛ فالتوكل على الإطلاق من غير مباشرة الأسباب مكر بالله وإبطال لسنته الكونية ولو كان هؤلاء المتصوفة صادقين حقاً في دعوى التوكل لما مدوا أيديهم إلى تناول الطعام أو لبس جلباب ولكنهم لا يفعلون شيئاً من هذا ؛ بل يجرون لا هثين إلى حيث تنصب لهم الموائد وتقدم لهم العطايا فيأكلون في نهم ويحملون إلى بيوتهم ما يقدرون على حمله فالعمل في الحياة لكسب الرزق وسد حاجة الأهل والولد وإعانة الفقير والمسكين والإنفاق في سبيل الله وتجهيز المجاهدين هو جهاد في سبيل الله وعبادة من أرضى العبادات لله ولكن المتصوفة يرون أن المتصنوف يجب ـ لكي يحمي قانون التصوف ـ أن يخلي يده من العمل أو أن يمد يده لإذلالها وكسر مطامحها حتى إنه إذا كان عنده مال ودخل في عالم المتصوفة نفض يده من هذا المال ورمى به بعيداً . ويورد ابن الجوزي بعض حكايات الصوفية فيقول : حكى أبو حامد الغزالي هـــذه الحادثة فقال : كان بعض

---

(١) تلبيس ابليس ص٢٧٨ (٢) تلبيس ابليس ص٢٧٩ ولعله يشير إلى حديث(اعقلها وتوكل)

الشيوخ في بدء إرادته - أي في بدء كونه مريداً - أنه كان يكسل عن القيام في الذكر والصلاة فألزم نفسه القيام على رأسه طول الليل لتسمح نفسه القيام عن طوع وحكى الغزالي في كتابه الإحياء . أن بعض المتصوفة عالج حب المال ، بأن جمع جميع ماله ورماه في البحر إذ خاف تفرقته على الناس . ويعلق ابن الجوزي على هذه المرويات التي أودعها الغزالي كتاب الإحياء فيقول : أعجب من جميع هؤلاء عندي أبو حامد إذ كيف حكى هذه الأشياء ولم ينكرها ؟ وكيف ينكرها وقد أتى بها في معرض التعليم وقال - أي الغزالي - قبل أن يورد هذه الحكايات : ينبغي للشيخ أن ينظر إلى حالة المبتدئ فإن رأى معه مالاً فاضلاً عن قدر حاجته أخذه وصرفه في الخير وفرغ قلبه منه حتى لا يلتفت إليه وإن رأى الكبرياء قد غلب عليه أمره أن يخرج إلى السوق للكد - التسول - ويكلفه السؤال والموظبة على ذلك .

ثم يقول ابن الجوزي : وإني لأتعجب من أبي حامد الغزالي كيف يأمر بهذه الأشياء التي تخالف الشريعة ؟ وكيف يحل القيام على الرأس طول الليل فينعكس الدم إلى وجه صاحبه ويورثه ذلك مرضاً شديداً ؟

وكيف يحل رمي المال في البحر ؟ وكيف يحل السؤال لمن يقدر على الكسب ؟ ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (يأتي السائل يوم القيامة وليس في وجهه مزعة لحم) (١)؟ ثم يختتم ابن الجوزي اعتراضه على قول الغزالي السابق بقوله : فما أرخص ما باع أبو حامد الغزالي الفقه بالتصوف (٢)

---

(١) رواه البخاري في الصحيح كتاب الزكاة حديث رقم ١٤٧٤ بلفظ (ما يزال الرجل يسأل الناس حتى يأتي يوم القيامة ليس في وجهه مزعة لحم)

(٢) تلبيس ابليس ص٤٤٦

ويرد ابن الجوزي على هؤلاء المتكلين فيقول : هذا كلام قوم ما فهموا معنى التوكل وظنوا أنه ترك الكسب وتعطيل الجوارح عن العمل والتوكل فعل القلب فلا ينافي حركة الجوارح ولو كان كل كاسب ليس بمتوكل لكان الأنبياء غير متوكلين فقد كان آدم عليه السلام حراثاً ونوح وزكريا نجارين وكان موسى وشعيب ومحمد عليه السلام رعاة وقال نبينا ـ عليه السلام ـ : (كنت أرعى غنماً لأهل مكة بالقراريط) (١) ومازال التابعون ومن بعدهم يكتسبون ويأمرون بالكسب (٢) ولو قال رجل للصوفية من أين أطعم عيالي لقالوا قد أشركت ، ولو سئلوا عمن يخرج إلى التجارة لقالوا: ليس بمتوكل ولا موقن وكل هذا لجهلهم بمعنى التوكل واليقين . ثم يعلق ابن الجوزي على ذلك فيقول (وإنما قعد أقوام عن الكسب استثقالاً له فكانوا بين أمرين قبيحين إما تضيع العيال فتركوا الفرائض أو التزين باسم أنه متوكل فيحن عليهم المكتسبون فضيقوا على عيالهم لأجلهم وأعطوهم وهذه الرذيلة لم تدخل قط إلا على دنيء النفس الرذيلة وإلا فالرجل كل الرجل من لم يضيع جوهره الذي أودعه الله إيثاراً للكسل أو لاسم يتزين به بين الجهال فإن الله تعالى قد يحرم الإنسان المال ويرزقه جوهراً يتسبب إلى تحصيل الدنيا بقبول الناس عليه) (٣)

---

(١) رواه البخاري في الصحيح كتاب الإجارة حديث رقم ٢٢٦٢ بلفظ (مابعث الله نبياً إلا رعى الغنم) فقال أصحابه وأنت قال: (نعم ، كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة)

(٢) تلبيس ابليس ص٣٥٩ - ٣٦٠

(٣) تلبيس ابليس ص٣٦٤

والحقيقة أن دعوة الصوفية أتباعهم إلى طرح الدنيا ومعاداتهم للمال هو ما يخالف شرع الله أشد المخالفة ومما يخرج بهم عن سنن الحياة التي أقام الله الناس عليها والله تعالى يقول : ﴿ المال والبنون زينة الحياة الدنيا... ﴾ (١) ويقول سبحانه مضيفاً المال إلى ذاته الكريمة : ﴿... وآتوهم من مال الله الذي آتاكم ﴾ (٢) ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم (نعم المال الصالح للعبد الصالح ...) (٣)

فالهروب من الدنيا ومن ملابسة العمل فيها تحت ستار التوكل على الله هو مسح لآدمية الإنسان ومحو لإرادته وما يكون منه من ابتلاء فيما آتاه الله ليكون من الشاكرين أو الكافرين (٤)

---

(١) سورة الكهف جزء من آية : ٤٦

(٢) سورة النور جزء من آية : ٣٣

(٣) رواه أحمد عن عمرو بن العاص (كشف الخفاء حديث رقم ٢٨٢٣)

(٤) التصوف والمتصوفة ص٢٧٩

المبحث الثالث : موقف ابن تيمية :

لقد أنكر الإمام علي منحرفي الصوفيـة المعرضيـن عـن المشـروع إما من العلم وإما من العمل وهمـا طريـق المغضـوب عليهـم والضـالين لـذا اتخذ الإمام ميزاناً حقاً صادقاً في محاسبة هؤلاء المتصوفة ألا وهـو الكتـاب والسنة فمن سار على هذا المنهج دون أن ينحرف عنـه قيد أنملـة فهوعلـى الحق وعلى الصراط المستقم وجدير بالثناء والتقدير ، ومـن انحـرف منهـم من هذا الطريق السوى حاد عن ذلك الصراط المستقيم بيّن الإمام ابن تيميـة بطلان عمله ورأيه (١) وتميز الموقف الذي اتخـذه ابـن تيميـة مـن الصوفيـة بأمرين :

الأول : أنه تعامل مع الصوفية بنفس الأسلوب الـذي تعـامل بـه مـع الفقهـاء والمذاهب الفقهية وعلماء الكلام فهو يرى أن شيوخ التصوف الأوائل قيـدوا علومهم وتربيتهم بالكتاب والسنة أما المتأخرون فقد ضل كثير منهـم بتـأثير الأفلاطونية الجديدة التي تسربت إلى الفكر الإسلامي عامة وانحرفـوا بعيـداً عن الطريق الصيحيح للزهد والتربية الروحية (٢)

الثاني : أن ابن تيمية لم يرفض التصوف جملة وإنما انتقد ما طرأ عليه مـن خروج عن الأهداف الأولـى ومنـاهج التربيـة والسـلوك الأولـى وفـي ذلـك يقول (والصوفية بنوا أمرهم على الإرادة ولابد منها لكن بشرط أن تكـون إرادة الله وحده بما أمر)(٣) ويقول أيضاً(ومـــا وقع في هؤلاء من فساد

---

(١) موقف أئمة الحركة السلفية ص١٩٤

(٢) الفتاوى ـ علم السلوك ـ مجلد ١٠ ص٤٨٦ – ٥١٦

(٣) الفتاوى ـ أصول الفقه ـ مجلد ١٩ ص١٧٢

الاعتقاد والأعمال أوجب إنكار طوائف لأصل طريقة المتصوفة بالكلية حتى صار المنحرفون صنفين : صنف يقر بحقها وباطلها وصنف ينكر حقها وباطلها كما عليه طوائف من أهل الكلام والفقه والصواب : إنما هو الإقرار بما فيها وفي غيرها من موافقة الكتاب والسنة والإنكار لما فيها وفي غيرها من مخالفة الكتاب والسنة (١) ثم يقرر الإمام أن السالك طريق الزهد والعبادة إن لم يسلك بعلم يوافق الشريعة وإلا كان ضالاً عن الطريق وكان ما يفسده أكثر مما يصلحه فالزهد المشروع ترك مالا ينفع في الدار الآخرة وأما كل ما يستعين به العبد على طاعة الله فليس تركه من الزهد المشروع ؛ بل ترك الفضول التي تشغل عن طاعة الله ورسوله هو المشروع (٢) ولهذا جمع الله بين العبادة والتوكل لأنهما يجمعان الدين كله قال تعالى : ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ (٣) وقال تعالى: ﴿...فاعبده وتوكل عليه ...﴾الأية (٤)

ويبين شيخ الإسلام ـ يرحمة الله ـ أن التوكل له فائدة عظمى لا تتحقق بدونه فيقول : (وقد ظن طائفة ممن تكلم في أعمال القلوب أن التوكل لا يحصل به جلب منفعة ولا دفع مضرة ؛ بل ما كان مقدراً بدون التوكل ، فهو مقـــدر مع التوكل ولكن التوكل عبادة يثاب عليها من جنس

---

(١) الفتاوى علم السلوك جـ١ ص٨٢

(٢) موقف أئمة الحركة السلفية ص٢١١

(٣) سورة الفاتحة أية : ٦

(٤) سورة هود أية : ١٢٣

الرضا بالقضاء) (١)

ويرد الشيخ على القائلين بذلك فيقول (فإذا كان سبحانه وصف نفسه بأنه (كفى به وكيلاً) علم أنه يفعل بالمتوكل عليه مالا يحتاج معه إلى غيره في جلب المنافع ودفع المضار) (٢)

ومعنى ذلك أن الشيخ يرى أن التوكل أمر مختص بمن استعمله دون غيره وإذا كان كذلك فكيف يكون حال من استعمله كحال غيره مع ما تقدم من تخصيص الله عز وجل للمتوكل بأنه سيكفيه في جلب المنافع ودفع الضار مالا يكفي فيه غيره .

ويقرن الشيخ بين التوكل والدعاء في مسألة الاختصاص بالمنفعة فإن التوكل كالدعاء يختصان بمن يستعملها ولابد لمن استعملها من حصوله على منافع مختصة به دون من لم يستعملها .

يقول الشيخ موضحاً ذلك (فلا يقال هو حسب غير المتوكل كما هو حسب المتوكل لأنه علق هذه الجملة تعليق الجزاء على الشرط فيمتنع مثل ذاك أن يكون وجود الشرط كعدمه) (٣) .

وعلى ذلك فابن تيمية ـ يرحمه الله ـ ينكر على هؤلاء الذين تعللوا بالتوكل وحرموا على أنفسهم الطيبات وخالفوا أمر الله تعالى كما يرميهم بالضلال قال تعالى : ﴿...ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله... ﴾ (٤).

---

(١) جامع الرسائل ص٧٨

(٢)جامع الرسائل ص٩٢

(٣) جامع الرسائل ص٨٨

(٤) سورة القصص جزء من آية : ٥٠

المبحث الرابع : موقف ابن القيم : (١)

لقد أنكر ابن القيم ورمى بالكفر والانسلاخ من الدين هذه الطائفة الضالة التي أسقطت التكاليف عمن سما في درجة القرب من الله فقال : فمن لم ير القيام بالفرائض إذا حصلت له الجمعية فهو كافر منسلخ من الدين (٢) وقال : وقد صرح أهل الاستقامة بكفر هؤلاء فأخرجوهم من الإسلام وقالوا لو وصل العبد من القرب إلى الله أعلى مقام يناله العبد لما سقط عنه من التكاليف مثقال ذرة (٣) أما الذين تركوا الأسباب توكلاً على ربهم وهاموا على وجوههم في الفلوات ليصح مقام التوكل عندهم فقد رماهم الشيخ بالبطالة والفساد فيقول ـ رحمه الله ـ : (وأجمع القوم على أن التوكل لا ينافي القيام بالأسباب فلا يصح التوكل إلا مع القيام بها وإلا فهو بطالة وتوكل فاسد)(٤) فمن نفى الأسباب فتوكله مدخول وهذا عكس ما يظهر في بداوات الرأي : أن إثبات الأسباب يقدح في التوكل وأن نفيها تمام التوكل . ويعلق ـ رحمه الله ـ على ذلك فيقول : فاعلم أن نفاة الأسباب لا يستقيم لهم توكل ألبتة ؛ لأن التوكل من أقوى الأسباب في حصول المتوكل فيه فهو كالدعاء الذي جعله الله سبباً في حصول المدعو

---

(١) لم يكن موقف الإمام ابن القيم مدرج في الخطة الأصلية للبحث ولكني أضفته تعميماً للفائدة ولأنه من العلماء الذين تكلموا في هذا الموضوع بوضوح وكان عدم ادراجه في الخطة الأصلية للبحث قصوراً مني ولذلك استدركته .

(٢) مدارج السالكين جـ٣ ص١١٣

(٣) مدارج السالكين جـ٣ ص١١٨

(٤) مدارج السالكين جـ٢ ص١٢١

به وصرح هؤلاء أن التوكل والدعاء عبودية محضة لا فائدة لهما إلا ذلك ولو ترك العبد التوكل والدعاء ما فاته شيء مما قدر له ومن غلاتهم من يجعل الدعاء بعدم المؤاخذة على الخطأ والنسيان عديم الفائدة إذ هو مضمون الحصول ثم يقول ابن القيم : ورأيت بعض متعمقي هؤلاء - في كتاب له - لا يُجَوِّزُ الدعاء بهذا وإنما يجوز تلاوة لا دعاء .

قال : لأن الدعاء يتضمن الشك في وقوعه لأن (الداعي بين الخوف والرجاء والشك في وقوع ذلك شك في خبر الله . فانظر إلى ما قاد إليه إنكار الأسباب من العظائم وتحريم الدعاء بما أثنى الله على عباده بالدعاء به وبطلبه ولم يزل المسلمون من عهد النبي - صلى الله عليه وسلم - وإلى الآن يدعون به في مقامات الدعاء ، فنصب الدعاء والتوكل سببين لحصول المطلوب وقضى الله بحصوله إذا فعل العبد سببه فإذا لم يأت بالسبب امتنع المسبب وهذا كما قضى بحصول الولد إذا جامع الرجل من يحبلها فإذا لم يجامع لم يخلق الولد وقضى بحصول الشبع إذا أكل والري إذا شرب)(١)

لأن الله قد جعل هناك ارتباطاً بين الأسباب والمسببات في غالب الأحوال وفي السنن الكونية الجارية ، إلا أن منكري الأسباب تركوا كل سبب يوصل إلى غاية أو يحقق نتيجة.

ويقول : إذا كان قضي لي وسبق في الأزل حصول الولد والشبع والري فلابد أن يصل إليّ تحركت أو سكنت وإن لم يكن قد قضي لي لم يحصل أيضاً فعلت أو تركت ،فهل يَعُدُ أحد هذا من جملة العقلاء ؟ وهل البهائم إلا أفقه منه ؟ فإن البهيمة تسعى في السبب بالهداية العامة فالتوكل من أعظم

---

(١) انظر مدارج السالكين ص١٢٤ - ١٢٥

الأسباب التي يحصل بها المطلوب ويندفع بها المكروه فمن أنكر الأسباب لم يستقم منه التوكل ولكن من تمام التوكل :عدم الركون إلى الأسباب وقطع علاقة القلب بها ، فيكون حال قلبه قيامه بالله لا بها وحال بدنه قيامه بها ، فالأسباب محل حكمة الله وأمره ودينه والمتوكل متعلق بربوبيته وقضائه وقدره فلا تقوم عبودية الأسباب إلا على ساق التوكل ولا يقوم ساق التوكل إلا على قدم العبودية (١) والحقيقة أن اتخاذ الأسباب لا يضاد التوكل بل هو مرقاة التوكل وما يتوكل على الله حق التوكل من لا ينفذ أمر الله ومن لا يأخذ بالأسباب ومن لا يدرك سنة الله الجارية المعتادة التي لا تحابي أحداً ولا تراعي خاطر إنسان إذا وقع القدر وحان الأجل .

روى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه لقي ناساً من أهل اليمن فقال :(من أنتم)؟ قالوا : (نحن المتوكلون). قال :(بل أنتم المتكلون إنما المتوكل الذي يلقى حبَّه في الأرض ويتوكل على الله عز وجل) (٢)؟

ويرى ابن القيم أن المرء ينبغي أن يكون أكثر عبادة والتزاماً في القيام بأوامر الله والكف عن نواهيه كلما ترقى في درجات القرب من الله حيث قال : فإن العبد كلما كان إلى الله أقرب كان جهاده في الله أعظم (٣) قال تعالى : ﴿ وجاهدوا في الله حق جهاده ٠٠٠﴾ (٤) ثم استشهد بحال الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه فقال : وتأمل أحوال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم فإنهم كانوا كلما ترقوا من القرب في مقام عظم جهادهم واجتهادهم (٥) وعلى هذا فابن القيم لا يرضى عن التعبد

---

(١) انظر مدارج السالكين ص١٢٤ - ١٢٥

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في التوكل حديث رقم (١٠) وعلق عليه البيهقي في شعب الإيمان (١٢١٥)

(٣) اجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم تحقيق عواد عبد الله الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ ص ١٤٣

(٤) سورة الحج آية ٧٨ (٥) مدارج السالكين جـ ٣ ص١١٨

بما لم يشرعه الله لما فيه من الافتراء على الشارع كما لا يرضى عن ترك المباحات زهداً وعبادة لما فيه من الغلو المنافي للسنة المحمدية التي غايتها التسهيل والتيسير إضافة إلى هذا أن الله جعل الخيار في فعل المباح أو تركه وعليه فليس الفعل أو الترك عبادة (١). ويستدل ابن القيم على بطلان زعمهم بما ثبت في الصحيح أن نفراً من أصحاب النبي سألوا عن عبادته في السر فكأنهم تقالوها فقال أحدهم : (أما أنا فلا آكل اللحم وقال الآخر أما أنا فلا أتزوج النساء وقال الآخر أما أنام فلا أنام على فراش فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم مقالتهم فخطب وقال : (ما بال أقوام يقول أحدهم أما أنا فلا آكل اللحم ويقول الآخر أما أنا فلا أتزوج النساء ويقول الآخر أما أنا فلا أنام على فراش ولكني أتزوج النساء وآكل اللحم وأنام وأقوم وأصوم وأفطر فمن رغب عن سنتي فليس مني)(٢) ويعقب رحمه الله على هذا فيقول : فتبرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ممن رغب عن سنته وتعبد الله بترك ما أباحه لعباده من الطيبات رغبة عنه واعتقاداً أن الرغبة عنه وهجره عباده فهذا لم يميز بين ما عليه وماله (٣)

---

(١) مدارج السالكين جـ١ ص٩٣، ٩٤

(٢) رواه النسائي في السنن كتاب النكاح حديث رقم ٣٢١٧ بلفظ : أن نفراً من أصحاب النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال بعضهم لا أتزوج النساء ، وقال بعضهم لاآكل اللحم ، وقال بعضهم لاأنام على فراش ، وقال بعضهم أصوم فلا أفطر • فبلغ ذلك رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : (ما بال أقوام يقولون كذا وكذا ولكني أصلي وأنام وأصوم وأفطر وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني) وروى مسلم في صحيحه كتاب النكاح حديث رقم (٥) نحوه وباختلاف يسير •

(٣) مدارج السالكين جـ ١ ص ٩٣، ٩٤

المبحث الخامس : ابن مفلح :(١)

لم يحدد ابن مفلح موقفه بصراحة إزاء الصوفية ولكن من الشواهد ما تميل إلى القول بأن له نظرات نقدية للتصوف وهي وإن لم تأت صريحة إلا أنها جاءت تلميحاً وراء النصوص الكثيرة المتشابكة لشيوخ وقفوا للصوفية بالمرصاد أمثال ابن عقيل (٢) وتلميذه ابن الجوزي وعلى هذا فإن حرصه على الاقتباس منهما يحمل على الظن بأنه يوافق عليها ويحرص على تنبيه الأذهان عليها كما أنه مال إلى اتخاذ موقف استاذه ابن تيمية التي نقد فيها الاتجاهات المخالفة للشريعة عند أهل التصوف لذا أسوق بعض العبارات التي نقلها بنصوصها عن قائلها وأحاول العثور على تعليقاته عليها لأبين موقفه يقول ابن مفلح في موضوع النهي عن النظر إلى ما يخشى منه الوقوع في الضلال :(ويحرم النظر فيما يخشى منه الضلال والوقوع في الشك والشبهة ونص الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ على المنع من النظر في كتب أهل الكلام والبدع المضلة وقراءتها وروايتها) (٣) وبعد الاستطراد في الحث على التمسك بالسنة والنهي عن البدع يأتي برأي لابن عقيل يذهب فيه إلى القول بأنه ما على الشريعة أضل من المتكلمين والمتصوفين فهؤلاء يفسدون العقل بالشبهات وهؤلاء يفسدون

---

(١) هو محمد بن مفلح بن محمد بن مفرح تفقه في المذهب الحنبلي وناب في الحكم عن قاضي القضاة وهو من تلاميذ ابن تيمية الذين نقلوا عنه كثيراً وكان يداعبه بقوله (ما انت ابن مفلح بل أنت مفلح ويذكر العليمي أنه كان خبيراً بمسائل شيخه وصفه ابن القيم بأنه (ما تحت قبة الفلك أعلم بمذهب الإمام أحمد من ابن مفلح)

(٢) ابن عقيل اتخذه ابن مفلح في إطار الشيوخ الذين حازوا على رضائه ولكن ابن تيمية استبعد ابن عقيل من مذهب الإمام أحمد بسبب غلوه في التأويل ولكنه عاد عن التأويل إلى منهج السلف واتخذ ابن مفلح كتابه (الفنون) مرجعاً هاماً لمؤلفة (الآداب الشرعية الكبرى)

(٣) الآداب الشرعية جـ١ ص٢٢٣

الأعمال ثم يقول : (وقد خبرت طريق الفريقين غاية هؤلاء الشك وغاية هؤلاء الشطح والمتكلمون عندي خير من الصوفية لأن المتكلمين قد يردون الشك والصوفية يوهمون التشبيه والإشكال والثقة بأشخاص ضلال) (١) وواضح من كلام ابن عقيل هجومه العنيف على الصوفية فإذا ما قام ابن مفلح بنقل العبارة التي تُتهم فيها الصوفية بإفساد الأعمال وهدم قوانين الأديان ليدل على اتجاه ابن مفلح من حيث الاقتناع والإيمان بصحتها فابن مفلح اتخذ موقف المعارضة من هؤلاء الصوفية الذين تركوا الأسباب تحت ستار التوكل وخالفوا شريعة الديان وتجردوا من أموالهم حتى لا تقدح في توكلهم على ربهم .

وابن مفلح يرى أن هجران الدنيا ليس من الزهد في شيء ويضع قاعدة للتفرقة بين الدنيا المذمومة وغيرها فيقول مدعماً هذا الرأي الذي نقله عن ابن عقيل من كتاب ـ الفنون : (ما قطع عن الله وحمل النفس على محارم الله فهو الدنيا المذمومة وإن كان إملاقاً وفقراً وما أوصل إلى طاعة الله فذاك ليس بالدنيا المذمومة وإن كان إكثاراً) ويورد ابن مفلح رأياً لشيخه ابن تيمية ومضمونة أنه (إذا سلم القلب من الهلع واليد من العدوان كان صاحبه محموداً وإن كان معه مال عظيم) (٢) وكل هذه العبارات تتفق في المعنى فالزهد عندهم لا يرتبط بمدى الإكثار أوالإقلال من الأموال

---

(١) الآداب الشرعية جـ١ ص٢٣٥

(٢) الآداب الشرعية الكبرى تحقيق وطبع بمطبعة المنار سنة ١٣٤٩ جـ٢ ص٢٥٥

وغيرها من المتاع وإنما يتصل بموقف الإنسان منها فإن حلت من نفسه مكاناً بارزاً وأخذت بتلابيبه ويطلب المزيد منها فهو ليس بزاهد حتى ولو كان مالكاً للقليل أما إذا قبل المال بسخاوة نفس ولم يلق بالاً إذا نقص ولم يجعل همه الحصول على المزيد فهذا هو الزاهد وهذا هو المعنى الذي وقع عليه اختيار ابن مفلح ويظهر فيه تأثره بأستاذه ابن تيمية كما يرى ابن مفلح أن الدعاء لا يضر بالتوكل كما يدعى أهل التصوف فيرى أن القلوب (تضعف وتمرض وربما ماتت بالغفلة والذنوب وترك إعمالها فيما خلقت له) (١) ولكن ما علاجها ؟ يورد الأدعية التي يدعو بها رسول الله صلى الله عليه وسلم منها دعاء الكروب : (اللهم رحمتك أرجو فلا تكلني إلى نفسي طرفه عين وأصلح لي شأني كله لا إله إلا أنت) (٢) وتعليمه صلى الله عليه وسلم لأبي أمامه دعاء يذهب عنه همومه (اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن) (٣) وغيرها فإذا كانت القلوب قابلة لهذه الأعراض التي يعدها ابن مفلح من قبيل الأمراض فإن القلوب أيضاً على العكس من ذلك تحيا وتقوى وتصح بالتوحيد الصادق وينبغي على العبد أن يستمر في دعائه لله تعالى دون كلل أو ملل بشرط الإخلاص والطاعة واجتناب المعاصي وإحسان الصلة بينه وبين ربه ويوجزابن مفلح كل هذا

---

(١) الآداب الشرعية الكبرى جـ٢ ص٢٥٣

(٢) الآداب الشرعية جـ١ ص١٦٣ انظر التصوف والاتجاه السلفي في العصر الحديث ص١٥٧ والحديث رواه أبو داود في سننه (انظر كتاب الأذكار من كلام سيد الأخيار للإمام محي الدين أبي زكريا النووي دار المعرفة بيروت الطبعة الثالثة ص ١٣٣

(٣) رواه الشيخان وأحمد في مسنده عن أنس رضي الله عنه (فيض القدير حديث رقم ١٥٥٣)

في عبارته قائلاً: (فالعارف يجتهد في تحصيل أسباب الإجابة من الزمان والمكان وغير ذلك ولا يمل ولا يسأم ويجتهد في معاملته بينه وبين ربه عز وجل في غير وقت الشدة فإنه أنجح) (١) فإذا تمسكنا بالأحاديث في الأدعية المحققة للاعتماد والتوكل أمكن تفريج الكروب وإدخال السرور على القلوب ومن ثم تحقيق السعادة (٢).

---

(١) الآداب الشرعية الكبرى جـ١ ص١٦١

(٢) الآداب الشرعية الكبرى جـ١ ص١٦٨ انظر التصوف والاتجاه السلفي في العصر الحديث ص١٦٠

المبحث السادس : موقف ابن رجـــب :(١)

عارض ابن رجب الصوفية الذين اتخذوا من التوكل ذريعة لإبطال الأسباب واسقاطها الأمر الذي تنبه إليه ابن رجب في تفصيله لحقيقة التوكل وربطه بالأسباب فقال ـ رحمه الله ـ : (واعلم أن تحقيق التوكل لا ينافي السعي في الأسباب التي قدر الله سبحانه وتعالى للمقدورات وبها وجدت سنته في خلقه) (٢) ويزيد الأمر إيضاحاً فيرى أن السعي بالأسباب في الطاعة لله هو من عمل الجوارح والتوكل عليه سبحانه من عمل القلب ولهذا يقسم الأعمال إلى ثلاثة أقسام : ـ

القسم الأول :

الطاعات التي أمر الله بها وهي أفعال لازمة الأداء مع الاستعانة بالله والتوكل عليه وإذا ما قصّر العبد في أدائها استحق العقوبة في الدنيا والآخرة شرعاً وقدراً (٣)

القسم الثاني :

وهو ما أجرى الله العادة به في الدنيا وأمر عباده بتعاطيه كالأكل عند الجوع والشرب عند العطش ونحو ذلك (٤) وكلها من الأسباب التي ينبغي الأخذ بها حتى لا يقع على المرء ضرر من تركها أما من ترك الطعام لعدة أيام باسم التوكل حتى ضعف ولم يستطع أداء الطاعات فإن ابن رجب ينكر عليه فيقول :(فمن كان له قوة على مثل هذه الأمور فعمل قوته ولم

---

(١) هو عبد الرحمن بن احمد بن رجب عبد الرحمن بن الحسن الشهير بابن رجب قدم من بغداد مع والده إلى دمشق وهو صغير سنه أربع وأربعين وسبعمائة اتصل بالإمام النووي وكان تلميذاً لابن تيمية

(٢) جامع العلوم والحكم ص٣١٧

(٣) جامع العلوم والحكم ص٣١٧

(٤) جامع العلوم والحكم ص٣١٧

يضعفه من طاعة الله فلا حرج عليه ومن كلف نفسه ذلك حتى أضعفها عن بعض الواجبات فإني أنكر عليه ذلك) (١)

القسم الثالث :

وهو ما أجرى الله العادة به في الدنيا في الأعم الأغلب وقد يخرق العادة في ذلك لمن شاء من عباده (٢) ويذكر على سبيل المثال دخول المفازة بغير زاد حتى أصبح مثلاً على ذلك فقال : إن كان الرجل قوياً وقادراً ولم يخش على نفسه فله أن يدخل المفازة بغير زاد وإلا لم يكن له أن يدخل ومتى كان الرجل ضعيفاً وخشي على نفسه أن لا يصبر أو يتعرض للسؤال أو أن يقع في الشك والسخط لم يجز له (٣) .

فهي إذن أفعال على سبيل الاستثناء وليست قاعدة مضطردة ومع هذا فابن رجب يفضل الأخذ بالأسباب كما فعل الامام أحمد بن حنبل الذي سئل عمن يقعد في بيته متوكلاً فأجاب : (ينبغي للناس كلهم أن يتوكلوا على الله ولكن يعودوا على أنفسهم بالكسب) (٤)

---

(١) الزهد جامع أبواب الخير والإيمان تهذيب عبد الهادي البشري دار المؤتمن للنشر ص٢٩ وانظر جامع العلوم والحكم ص٣١٧

(٢) جامع العلوم والحكم ص٣١٧

(٣) جامع العلوم والحكم ص٣١٩ : بتصرف .

(٤) جامع العلوم ص٣١٩

والثمرة التي يجنيها العبد من التوكل هي الرضا بالقضاء ثم يجعل ابن رجب من التوكل ذاته سبباً من الأسباب التى تطلب بها الحوائج بل إنه من أعظم هذه الأسباب (فإن الله يكفى من توكل عليه) (١) مصداقاً لقوله : ﴿ ومن يتوكل على الله فهو حسبه ﴾ (٢) ثم يقول ابن رجب :إن شهادة التوحيد تشمل معرفة الله وخشيته كما تتضمن التوكل عليه ورجاء مهابتة وأما الحديث الآمر بالاستقامة على التوحيد فهو قول الرسول: (قل آمنت بالله ثم استقم) (٣) فليست عبارة الشهادة تقتصر على التلفظ بها فحسب وإنما الاستقامة على التوحيد الكامل التي يقتضي تحقيقها طاعة الله في كل ما أمر به والانتهاء عما نهى عنه حتى يمتلىء القلب بمعرفة الله وخشيته وينعكس أثر ذلك على الأعضاء (فإن القلب هو ملك الأعضاء وهي جنوده فإذا استقام الملك استقامت جنوده ورعاياه) (٤) هذه هي مواقف العلماء من الصوفية ودعوتها المنحرفة فقد اجمعوا على ذم ما تقوم به الصوفية وما تقوله من تحريم الكسب وعدم دفع المضار بالسبل المشروعة وبيَّن هؤلاء العلماء الموقف الصحيح المتقيد بالكتاب الكريم والسنة النبوية الشريفة وهو أن التوكل لا ينافي اتخاذ الأسباب ولا تضاد بين الاثنين أبداً ، وأن كل ما ادعاه منحرفوا الصوفية في هذه القضية لا يمت إلى الإسلام بصلة نسأل الله الهداية للجميع إنه ولي ذلك وهو القادر عليه وتعالى الله عما يقوله المبتدعون والضالون علواً كبيراً والحمد لله رب العالمين .

---

(١) جامع العلوم ص٣٢١ (٢) سورة الطلاق آية : ٣

(٣) رواه أحمد ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجة عن سفيان الثقفي (كشف الخفاء حديث رقم ١٨٩٣)

(٤) جامع العلوم ص١٤٨

الخاتمة

النتائـــــج

البـــاب الأول :

الفصل الأول :

١ـ نُسب الصوفية إلى أكثر من معنى ولكن تبين لديّ أن صحة نسبتهم إلى الصوف •

٢ـ اُختلف في تحديد زمن ظهور الصوفية وترجح لديّ أن ظهورهم كان في بداية القرن الثاني الهجري •

الفصل الثاني :

١ـ لم تكن أكثر أفعال بعض الصوفية موافقة لما جاء بـه الرسـول الكريـم ـ صلى الله عليه وسلم ـ وسيرة الخلفاء ،وأصحاب الصفـة رضـي اللـه عنهـم جميعاً ، على الرغم من دعوى الصوفية أنهم متبعين لهم •

٢ـ تأثر بعض الصوفية بالشيعة تأثراً واضحاً في العقيدة والسلوك •

٣ـ اقتباس بعض الصوفية جملة من الأفكار الدخيلة على الإسلام من ديانات ومذاهب وثقافات مختلفة كالفكر اليوناني والنصرانية والبوذية •

البـــاب الثاني :

الفصل الأول :

١ـ التوكل عمل وأمل مع هدوء قلب وطمأنية نفس بعكس التواكل إذ بينهما فروق كثيرة •

الفصل الثاني :

١ـ المصدر الأول للتوكل عند المسلمين ؛ أهل السنة والجماعة كتاب الله وسنة رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ •

الفصل الثالث :

١ـ هناك علاقة وثيقة للغاية بين التوكل والقضاء والقدر•
٢ـ التوكل لاينافي اتخاذ الأسباب المشروعة •
٣ـ ضلال وانحراف بعض الفرق في فهم عقيدة القضاء والقدر وبيان أسباب ذلك •

البـــاب الثالث :

الفصل الأول:

١ـ أول انحراف ـ من بعض الأشخاص ـ في فهم عقيدة التوكل كان في عهد النبوة الزاهر ٠

٢ـ اعتقاد بعض الصوفية أن اصطحاب الوسائل المعينة في السفر يناقض التوكل ٠

٣ـ يقسم بعض الصوفية التوكل إلى عدة أقسام لم ترد في الشرع المطهر ٠

٤ـ ترك بعض الصوفية التداوي وتوقي المهالك لظنهم أن ذلك ينافي التوكل ويخالفه ٠

٥ـ ترك بعض الصوفية العمل والادخار لظنهم أن ذلك قادح في التوكل مما جعلهم يعيشون عالة على المجتمع ويظطرون للتسول ويسببون ضرراً كبيراً للاقتصاد الإسلامي ٠

الفصل الثاني :

١ـ ضل بعض الصوفية في العبادات وانقسموا إلى قسمين في ذلك : قسم تواكل في العبادات ولم يفعل المشروع منها ، وقسم تشدد فيها فخرج بها عن مراد الشارع ٠

٢ـ وقف بعض الصوفية موقفاً سلبياً للغاية من بعض الأخطار التي تعرضت لها الأمة لزعمهم أن العمل ليس من التوكل٠

٣- أهمل بعض الصوفية العلم الشرعي وحذروا من تعلمه ، فابتدعوا طرقاً جديدة للعلم مخالفة للشرع ومن هنا كان مصدر الخطورة •

٤- دعا بعض الصوفية إلى عدم الزواج لزعمهم الباطل أن ذلك سبب في الركون إلى الدنيا •

الفصل الثالث:

١- وقف علماء الأمة ضد المنحرفين من الصوفية وبينوا ضلالهم وفندوا حججهم ووضحوا لهم الحق بالبرهان والدليل من الكتاب والسنة •

التوصيات والمقترحات

١- نظراً لأهمية العقيدة في الدين الإسلامي إذ تعتبر الفيصل في كون المرء مسلماً ، أو كافراً ، فإني أقترح انشاء مركزاً لدراسة انحرافات بعض الفرق والطوائف في العقيدة وتسليط الضوء على الأخطاء والانحرافات لديها ، ثم تصويب الأخطاء في ضوء الكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح ، وجامعة الملك سعود ممثلة بكلية التربية أهل لذلك لما تتمتع به من امكانيات كبيرة ٠

٢- أقترح استحداث برنامج لمرحلة الدكتوراة في شعبة العقيدة بقسم الثقافة الإسلامية بكلية التربية لكي نحصل على دراسات متميزة وعميقة في كافة مجالات العقيدة وما يتصل بها من العلوم الأخرى٠

٣- أوصي بضرورة دراسة نتاج الفرق المنحرفة دراسة علمية دقيقة ، ثم عرض أفكارها على ميزان الشرع ، ونشر هذه الدراسات حتى تعم الفائدة منها وخصوصاً الذين لايعرفون عن هذه الطوائف إلا ظاهرالأمور وغالباً مايكون - هذا الظاهر - مخالف للحقيقة ولايدركه إلا قلة من الناس٠

٤- أوصي طلاب العلم الشرعي بضرورة تكثيف جهودهم في مجال التأليف الشرعي المبسط الواضح حتى يسهل فهمه من قبل أكبر عدد من المسلمين وخصوصاً ممن يغرر بهم واقناعهم باتباع طرقاً معينة وطوائف محددة مخالفة للمنهج السلفي لظنهم أن هذه الطوائف والفرق الضالة على الحق وما سواها على ضلال ، وتوفير هذا النتاج لأكبر عدد من أبناء الأمة المسلمة ؛لأن الضلال والانحراف لايحدث غالباً إلا في المجتمعات الأمية الجاهلة ٠

الفهارس العامة للرسالة

فهرس الآيات القرآنية الكريمة

﴿سورة الفاتحة﴾

الآيـــــة	رقمها	رقم الصفحة
﴿إياك نعبد ...﴾	٦	٣٦٤

﴿سورة البقرة﴾

الآيـــــة	رقمها	رقم الصفحة
﴿ذلك الكتاب لاريب ...﴾	٢	٢١٣
﴿وأقيموا الصلاة ...﴾	٤٣	٢٩٢،٢١٩
﴿وقالوا لن يدخل الجنة ...﴾	١١١	١٢٨
﴿ولله المشرق والمغرب﴾	١١٥	١٢٦،١٢٣
﴿وإذا قضى أمرا ...﴾	١١٧	١٨١
﴿وإذ جعلنا البيت ...﴾	١٢٥	٣١٨
﴿سيقول السفهاء من الناس﴾	١٤٢	١٣٠
﴿ومن الناس من يتخذ ...﴾	١٦٥	١٤
﴿...وتقطعت بهم الأسباب﴾	١٦٦	٢١٢،٢١٠
﴿يا أيها الذين أمنوا كلوا...﴾	١٧٢	٣٤٦،٢٧٩
﴿فمن شهد منكم الشهر ...﴾	١٨٤	٢١١
﴿يريد الله بكم اليسر ...﴾	١٨٥	٣٠٣،٢٠٦
﴿ولا تأكلوا أموالكم بينكم ..﴾	١٨٨	٣٠٣
﴿وأنفقوا في سبيل الله ...﴾	١٩٥	٢٦٣،٢٩٠،٣٢١،٣٤٨

﴿ وتزودوا فإن خير الزاد﴾	١٩٧	٢٤٧،٣٢١ ,٢٣١، ٢٢١،١٧٤
﴿ ربنا آتنا في الدنيا حسنة ...﴾	٢٠١	٣٤٨
﴿ إن الله يحب التوابين ...﴾	٢٢٢	٢٨٥ ،٢٨٤
﴿ ... أولم تؤمن ...﴾	٢٦٠	٢٥٦
﴿ مثل الذين ينفقون أموالهم ...﴾	٢٦١	٣٣٩
﴿ يا أيها الذين أمنوا أنفقوا ...﴾	٢٦٧	٣٥٧،٢٧٣
﴿ إن تبدوا الصدقات ...﴾	٢٧١	٣٣٩
﴿واتقوا الله ويعلمكم الله ﴾	٢٨٢	٢١٣
﴿ ربنا لاتؤاخذنا ...﴾	٢٨٦	٧

﴿سورة آل عمران﴾

﴿قل إن كنتم تحبون الله... ﴾	٣٠	٣٠٣ ،٩
﴿قل أطيعوا الله ... ﴾	٣٢	٩
﴿كلما دخل عليها ...﴾	٣٧	٣٥٧
﴿إن ينصركم الله ...﴾	٦٠	٢٢٣
﴿ومن يبتغ غير الإسلام ديناً...﴾	٨٥	١
﴿...ولله على الناس حج ...﴾	٩٧	٣١٧ ،١٣١
﴿واعتصموا بحبل الله ...﴾	١٠٣	١

﴿كنتم خير أمة ...﴾	١١٠	٣٤٢
﴿إذ همت طائفتان منكم ...﴾	١٢٢	١٦٥
﴿وأطيعوا الله ...﴾	١٣٢	١٠
﴿وإذا عزمت فتوكل على الله ..﴾	١٥٩	١٦٠،١٦١،١٦٦،٢٣٥
﴿لقد من الله على المؤمنين ...﴾	١٦٤	٣٣٧
﴿ الذين قال لهم الناس ...﴾	١٧٣	١٦١، ١٦٧، ١٧٧
﴿ياأيها الذين أمنوا أصبروا ...﴾	٢٠٠	٣٢٧

﴿سورة النساء﴾

﴿ولاتؤتوا السفهاء أموالكم ...﴾	٥	٣٤٩
﴿واسئلوا الله من فضله ...﴾	٣٢	٣٥٦
﴿ياأيها الذين أمنوا ...﴾	٥٩	١٠،١٧٠
﴿ثم لايجدوا في أنفسهم حرجاً...﴾	٦٥	١٨٢
﴿ خذوا حذركم ...﴾	٧١	٢٦٥
﴿ وتوكل على الله ...﴾	٨١	١٦١
﴿ وإذا جاءهم أمر ...﴾	٨٣	٩٦
﴿ لايستوي القاعدون ...﴾	٩٥	٣٢٩
﴿وليأخذوا أسلحتهم ...﴾	١٠٢	٢٦٥
﴿ ومن يكسب إثماً...﴾	١١١	٢٧٤
﴿ ومن يكسب خطيئة ...﴾	١١٢	٢٧٤
﴿ ولله مافي السموات ...﴾	١٣٢	١٦٧

﴿سورة المائدة﴾

﴿ اليوم أكملت لكم دينكم ... ﴾	٣	١
﴿ مايريد الله ليجعل عليكم ... ﴾	٦	٢٨٤، ٢٨٩
﴿ لقد كفر الذين قالوا ... ﴾	١٧	١١٩
﴿ وعلى الله فتوكلوا ... ﴾	٢٣	١٦٠، ١٦١، ١٦٦، ٢٧٥
﴿ واتل عليهم نبأ ... ﴾	٢٧	٣٥
﴿ لقد كفر الذين قالوا ... ﴾	٧٣	١١٩
﴿ كانوا لايتناهون عن منكر ... ﴾	٧٩	٣٤٢
﴿ وإذا سمعوا ماأنزل إلى ... ﴾	٨٣	٣٣٤
﴿ وإذ قال الحواريون ... ﴾	١١٢	٤٢

﴿سورة الأنعام﴾

﴿ هو الذي خلقكم من ... ﴾	٢	١٨٣
﴿والسارق والسارقة ... ﴾	٣٨	١٦٩
﴿ وإذا رأيت الذين يخوضون ... ﴾	٦٨	٧٩
﴿ فإن يكفر بها هؤلاء... ﴾	٨٩	١٦٤
﴿ أولئك الذين هدى الله ... ﴾	٩٠	٢٧٣
﴿ بديع السموات الأرض ... ﴾	١٠١	١٢٨
﴿ فمن يرد الله أن يهديه ... ﴾	١٢٥	٢٠٦
﴿ وأن هذا صراطي ... ﴾	١٥٣	٢٠٤
﴿ هذا كتاب أنزلناه ... ﴾	١٥٥	١٤

﴿ سورة الأعراف ﴾

﴿كتاب أنزلناه إليك ...﴾	٣	١٤
﴿ وجعلنا لكم فيها معايش...﴾	١٠	٢٧٤
﴿ يا بني أدم خذوا زينتكم ...﴾	٣١	٣٤٨
﴿ قل من حرم زينة الله ...﴾	٣٢	٦٧
﴿ ولكل أمة أجل ...﴾	٣٤	١٨٥
﴿ وسع ربنا كل شئ ...﴾	٨٩	١٦٥
﴿ أفأمنوا مكر الله ...﴾	٩٩	٣٧
﴿ ورحمتي وسعت كل شئ...﴾	١٥٦	١١
﴿ الذين يتبعون الرسول ...﴾	١٥٧	٦٧
﴿ ولله الأسماء الحسنى ...﴾	١٨٠	٢١٧
﴿ قل لاأملك لنفسي ...﴾	١٨١	٣٥
﴿ وهو يتولى الصالحين ﴾	١٩٦	٨٩

﴿سورة الأنفال ﴾

﴿ وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون ﴾	٢	١٦١، ١٦٦، ٣٣٤
﴿ يا أيها الذين أمنوا ...﴾	٢٠	١٠، ١٧٠
﴿ واعلموا أنما أموالكم ...﴾	٢٨	٦٦
﴿ ولكن ليقضي الله أمراً ...﴾	٤٢	١٨٢
﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم ...﴾	٦٠	٢١٣ ، ٢٢٢ ، ٢٦٥

﴿سورة التوبة﴾

﴿ وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴾	٥١	١٦١
﴿ خذ من أموالهم صدقة ٠٠٠﴾	١٠٣	٣٢٢
﴿ فيه رجال يحبون أن ٠٠٠﴾	١٠٨	٢٨٤
﴿ ٠٠٠ السائحون ٠٠٠﴾	١١٢	٣٠٧
﴿ يا أيها الذين أمنوا قاتلوا ٠٠٠﴾	١٢٣	٣٢٩
﴿ فإن تولوا فقل حسبي الله ٠٠﴾	١٢٩	١٦٤

﴿ سورة يونس ﴾

﴿ ألا إن أولياء الله ٠٠٠﴾	٦٢	٧٤
﴿ ثم اقضوا إلىّ٠٠٠﴾	٧١	١٨١
﴿ وقال موسى يا قوم ٠٠٠﴾	٨٤	٢٧٤

﴿ سورة هود﴾

﴿ وما من دابة في الأرض ٠٠٠﴾	٦	٢٣٧
﴿ ألا لعنة الله على الظالمين ٠٠٠﴾	١٨	١٤
﴿ فلما رأى أيديهم ٠٠٠﴾	٧٠	٢٦٣
﴿ ٠٠٠فعال لما يريد ﴾	١٠٧	١٩٧، ٢٠٤
﴿ فاعبده وتوكل عليه ﴾	١٢٣	٣٦٤

﴿ سورة يوسف ﴾

﴿ إنا أنزلناه . . . ﴾	٢	٣٣
﴿ إن الحكم إلا لله ﴾	٦٧	١٦٨
﴿ قل هذه سبيلي . . . ﴾	١٠٨	٢٠٤

﴿سورة الرعد﴾

﴿ وكل شئ عنده بمقدار ﴾	٨	١٨٥
﴿ قل من رب السموات . . . ﴾	١٦	١٩٢، ٢٠١

﴿ سورة ابراهيم ﴾

﴿ وعلى فليتوكل المتوكلون ﴾	١٢	١٦٠، ١٦١، ١٦٥
﴿ ذلك لمن خاف مقامي . . . ﴾	١٤	٢٤٠
﴿ يثبت الله الذين أمنوا . . . ﴾	٢٧	١٥٧

﴿سورة الحجر ﴾

﴿ إنا نحن نزلنا الذكر . . . ﴾	٩	١٥٨
﴿ وقضينا إليه ذلك الأمر . . . ﴾	٦٦	١٨٠، ١٨٢
﴿ واعبد ربك . . . ﴾	٩٩	٩٣، ١٠٠، ٢٩٩

﴿ سورة النحل ﴾

﴿ يخرج من بطونها شراب ٠٠٠﴾	١٩	٣٥٢
﴿ وأنزلنا إليك الذكر ٠٠٠﴾	٤٤	٣٠٧
﴿ ادع إلى سبيل ربك ٠٠٠﴾	١٢٥	٧٩

﴿ سورة الإسراء﴾

﴿ وآتينا موسى الكتاب ٠٠٠﴾	٢	١٣٩
﴿ وقضينا إلى بني إسرائيل ٠٠٠﴾	٤	١٨٠
﴿ إن هذا القرآن يهدي ٠٠٠﴾	٩	١٥٨
﴿ وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه٠٠٠﴾	٢٣	١٨٠، ١٨١
﴿ إن المبذرين كانوا ٠٠٠﴾	٢٧	٣٢٤
﴿ وأقم الصلاة ٠٠٠﴾	٧٨	٢٢١، ٣٠٦

﴿ سورة الكهف ﴾

﴿ المال والبنون زينة ٠٠٠﴾	٤٦	٣٦٢
﴿ إنا مكنا له في الأرض ٠٠٠﴾	٨٤	٢١٣
﴿ فاتبع سبباً ﴾	٨٥	٢١٣
﴿ ثم أتبع سبباً ﴾	٨٩	٢١٣
﴿ ثم أتبع سبباً ﴾	٩٢	٢١٣

﴿ سورة مريم ﴾

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ ولنجعلة أية للناس ٠٠٠ ﴾	٢١	١٨٣
﴿ وهزي إليك بجذع النخلة ٠٠٠ ﴾	٢٥	٢١٦، ٢٨٠, ٣٥٦
﴿ وإذ تتلى عليهم آيات الرحمن ٠٠ ﴾	٥٨	٣٣٤

﴿ سورة طـــــه ﴾

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ فأوجس قي نفسه خيفة ٠٠٠ ﴾	٦٧	٢٦٣
﴿ وكذلك أنزلناه قرآناً ٠٠٠ ﴾	١١٣	٣٣
﴿ فلا يخرجنكما من الجنة ٠٠٠ ﴾	١١٧	٢٧٣
﴿ فمن اتبع هداي فلا يضل ٠٠٠ ﴾	١٢٣	١٤
﴿ وأمر أهلك بالصلاة ٠٠٠ ﴾	١٣٢	٢٧٦

﴿ سورة الأنبياء ﴾

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ ولو كان فيهما آلة إلا الله ٠٠ ﴾	٢٢	١٢٨
﴿ لايسئل عما يفعل ٠٠٠ ﴾	٢٣	١٢٨

﴿ سورة الحج ﴾

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ إن الله يدخل الذين آمنوا ٠٠ ﴾	١٤	٢٩٢
﴿ ومن كان يظن أن لن ينصره الله ﴾	١٥	٢١٢
﴿ ألم تعلم أن الله يعلم ٠٠٠ ﴾	٧٠	١٧٢

﴿ وجاهدوا في الله حق جهاده ﴾ ٧٨ ٣٢٨، ٣٦٨

﴿سورة المؤمنون﴾

﴿ قد أفلح المؤمنون ... ﴾ ١ ٢٩٢
﴿ يا أيها الرسل كلوا من .. ﴾ ٥١ ٣٤٦

﴿سورة النور﴾

﴿ وأنكحوا الأيامى منكم ... ﴾ ٣٢ ٣٤٤
﴿ وآتوهم من مال الله ... ﴾ ٣٣ ٣٦٢
﴿ ومن يطع الله ورسوله... ﴾ ٥٢ ١٠
﴿ قل أطيعوا الله ... ﴾ ٥٤ ١٠
﴿ فليحذر الذين يخالفون عن .. ﴾ ٦٣ ١٣

﴿ سورة الفرقان ﴾

﴿ الذي له ملك السموات ... ﴾ ٢ ١٨٥
﴿ وأنزلنا من السماء ماء... ﴾ ٤٨ ٢٨٣، ٢٩٠
﴿ وتوكل على الحي ... ﴾ ٥٨ ١٦٠، ١٦١

﴿سورة الشعراء﴾

﴿ بلسان عربي مبين ﴾	١٩٥	٣٣

﴿ سورة النمل ﴾

﴿فتوكل على الله ...﴾	٧٩	١٦١

﴿ سورة القصص﴾

﴿ وما كنت بجانب ...﴾	٤٤	١٨٣
﴿ ومن أضل ممن اتبع هواه﴾	٥٠	٣٦٥،١
﴿ ومن رحمته جعل لكم الليل ..﴾	٧٣	٣٠٤
﴿ وابتغ فيما آتاك الله الدار ...﴾	٧٧	٣٤٨

﴿ سورة العنكبوت ﴾

﴿ نعم أجر العاملين ...﴾	٥٨	٢٦٤

﴿ سورة الروم ﴾

﴿ ومن آياته أن خلق ...﴾	٢١	٣٤٤

﴿ سورة لقمان ﴾

﴿ إن الله عنده علم الساعة ...﴾	٣٤	٢٦٩

﴿ سورة السجدة ﴾

﴿ وما كان لمؤمن ....﴾	٣٦	١٣
﴿ يأيها النبي...﴾	٤٥	١٧٤
﴿ ومن يطع الله ...﴾	٧١	١٠

﴿ سورة الأحزاب﴾

﴿ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة ..﴾	٣٦	١٣
﴿ ومن يطع الله ورسوله ...﴾	٥٢	١٠

﴿سورة فاطر ﴾

﴿ ... يضل من يشاء ...﴾	٨	١٩٧، ٢٠٧

﴿ سورة الصافات ﴾

﴿ وما منا إلا له مقام ...﴾	٦٦	٢٤١
﴿ والله خلقكم ...﴾	٩٦	١٩٢

﴿ سورة ص ﴾

﴿ أم لهم ملك ... ﴾	١٠	٢١٢
﴿ إذ دخلوا على ... ﴾	٢٢	٢٦٣
﴿ اتبعوا ماأنزل إليكم ... ﴾	٢٩	١٤

﴿ سورة الزمر ﴾

﴿ إنما يوفى الصابرون أجرهم ﴾	١٠	٣٠٨
﴿ الذين يستمعون القول ... ﴾	١٨	١٤
﴿ قرآناً عربياً ... ﴾	٢٨	٣٣
﴿ وإذا ذكر الله وحده ... ﴾	٤٥	١٤
﴿ وما قدروا الله حق قدره ... ﴾	٦٦	١٨٤

﴿ سورة غافر ﴾

﴿ وقال فرعون ... ﴾	٣٦	٢١٢
﴿ أسباب السموات ... ﴾	٣٧	٢١٢
﴿ وقال ربكم ... ﴾	٦٠	٢٩٢،٢١٧

﴿ سورة فصلت ﴾

﴿ فقضاهن سبع سموات ... ﴾	١٢	١٨١
﴿ ... اعملوا ماشئتم ... ﴾	٤٠	٢٠٤،١٩٨

﴿ لايأتيه الباطل ...﴾ ٤٢ ١٨١

﴿ سورة الشورى﴾

﴿ ليس كمثله شيء...﴾ ١١ ١٢٨

﴿ من كان يريد حرث ...﴾ ٢٠ ٢٥٤

﴿ وماأصابكم من مصيبة ...﴾ ٣٠ ٢٧٣

﴿سورة الدخان ﴾

﴿ فيها يفرق كل أمر حكيم ﴾ ٤ ١٩٤

﴿ فأسر بعبادي ليلاً...﴾ ٢٣ ٢٦٥

﴿ سورة الأحقاف ﴾

﴿ فاصبر كما صبر ...﴾ ٣٥ ٢٦٤

﴿ سورة الفتح﴾

﴿ ليغفر لك الله ...﴾ ٢ ٣٦

﴿ ومن يطع الله ...﴾ ١٧ ١٠

﴿ هو الذي أرسل رسوله ...﴾ ٢٨ ٩

﴿ سورة الحجرات ﴾

﴿ يأيها الذين أمنوا ٠٠٠﴾ ١ ١٣

﴿سورة الذاريات﴾

﴿ وفي أموالهم حق ٠٠٠﴾ ١٩ ٣٤٩
﴿ وفي السماء رزقكم ٠٠٠﴾ ٢٢ ٢٧٥
﴿ فورب السماء والأرض ٠٠٠﴾ ٢٣ ٢٥٣
﴿ وما خلقت الجن والإنس ٠٠٠﴾ ٥٦ ٢٧٦،٢٨٢

﴿ سورة الطور﴾

﴿ أم خلقوا من غير شئ٠٠٠﴾ ٣٥ ١٢٨

﴿ سورة النجم ﴾

﴿ وأن ليس للإنسان ٠٠٠﴾ ٣٩ ٢٥٤

﴿ سورة القمر ﴾

﴿ إنا كل شئ خلقناه بقدر ﴾ ٤٩ ١٨٥، ٢٠١

﴿ سورة الرحمن ﴾

﴿ يسأله من في السموات ٠٠٠﴾ ٢٩ ١٩٤

﴿ سورة الواقعة ﴾

﴿ في كتاب مكنون ٠٠٠﴾	٧٨	١٥٨

﴿ سورة الحديد ﴾

﴿ فضرب بينهم بسور ٠٠٠﴾	١٣	٩٧
﴿ ماأصاب من مصيبة ٠٠٠﴾	٢٢	١٩٠،١٨٦
﴿ ورهبانية ابتدعوها ٠٠٠﴾	٢٧	٣٢١

﴿ سورة المجادلة ﴾

﴿ إنما النجوى من ا لشيطان ٠٠﴾	١٠	١٤٦

﴿ سورة الحشر ﴾

﴿ وماآتاكم الرسول فخذوه ٠٠٠﴾	٧	١٤، ٢٣٢
﴿ للفقراء المهاجرين ٠٠٠٠﴾	٨	٨٧
﴿ ويؤثرون على أنفسهم ٠٠٠﴾	٩	٣٣٩

﴿ سورة الممتحنة ﴾

﴿ ربنا عليك توكلنا ٠٠٠﴾ ٤ ١٦١

﴿ سورة الصف﴾

﴿ يريدون ليطفئو نور الله ٠٠٠﴾ ٨ ٢٤

﴿ هو الذي أرسل رسوله ٠٠٠﴾ ٩ ٩

﴿سورة الجمعة ﴾

﴿ هو الذي بعث ٠٠٠﴾ ٢ ٩

﴿ فإذا قضيت الصلاة ٠٠٠﴾ ١٠ ١٤٦، ١٨٧، ٢٣٨، ٢٤٧، ٢٧١

﴿ سورة التغابن ﴾

﴿ فاتقوا الله ٠٠٠﴾ ١٦ ٢٨٥، ٢٨٧

﴿ سورة الطلاق ﴾

﴿ ومن يتق الله ٠٠٠﴾ ٢ ٢٣٧

﴿ ومن يتوكل على الله ٠٠٠﴾ ٣ ١٦٠، ١٦١، ٢٣٧، ٣٧٦

﴿ ومن قدر عليه رزقه ٠٠٠﴾ ٦ ١٨٤

﴿ سورة التحريم ﴾

﴿ إنما تجزون ما كنتم تعملون ﴾	٧	١٩٨، ٢٠٤

﴿ سورة الملك ﴾

﴿ فا مشوا في مناكبها . . . ﴾	١٥	١٨٧، ٢٣٨

﴿ سورة الجن ﴾

﴿ عالم الغيب فلا يظهر . . . ﴾	٢٦	٣٥

﴿ سورة المزمل ﴾

﴿ فا تخذه وكيلاً . . . ﴾	٩	٢٦٤
﴿ وأقيموا الصلاة . . . ﴾	٢٠	٢٩١، ٣٠٣

﴿ سورة النبأ ﴾

﴿ وجعلنا النهار معاشاً ﴾	١١	٢٧٤

﴿ سورة التكوير ﴾

﴿ وما هو على الغيب ...﴾ ٢٤ ٣٣٧
﴿ وما تشاءون إلا أن ...﴾ ٢٩ ١٩٢

﴿ سورة الليل ﴾

﴿ فأما من أعطى ...﴾ ٥ ١٨٦، ٢١١

﴿ سورة الإخلاص ﴾

﴿قل هو الله أحد الله الصمد . ﴾ ١، ٢، ٣، ٤ ١٢٧

فهرس الحديث النبوي الشريف

(أ)

طرف الحديث	رقم الصفحة
(اثنان خير من واحد ٠٠٠)	١١
(إنما مثلي ومثل ما بعثني الله٠٠٠)	١٥
(إنما مثلي ومثل الناس ٠٠٠)	١٦
(إن مثلي ومثل الأنبياء٠٠٠)	١٧
(أن رجلاً جاء ٠٠٠)	١٨
(إن مثل مابعثني الله به ٠٠٠)	١٨
(أول سورة انزلت فيها سجدة ٠٠٠)	١٩
(أوصيكم بتقوى الله ٠٠٠)	٢٠
(إنكم سترون ٠٠٠)	٢٠
(اسق يا زبير ٠٠٠)	٢١
(إن لكل عمل ٠٠٠)	٢٢
(أبغض الناس إلى الله ٠٠٠)	٢٢
(إن الرجل ليعمل عمل الجنة ٠٠٠)	٣٦
(إذا أنفق المسلم ٠٠٠)	٦٠
(أنهى النبي صلى الله عليه وسلم أن توكل لحوم٠٠)	٦١
(أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يأكل البطيخ ٠٠)	٦٣
(استقبلهم النبي صلى الله عليه وسلم على فرس ٠٠)	٦٤

(أردف النبي صلى الله عليه وسلم أسامة ٠٠٠) ٦٤

(اللهم إني أعوذ بك ٠٠٠) ٦٦،٢٨١، ٣٧٢

(إن الله بعثني إليكم ٠٠٠٠) ٦٩

(إن الله جعل الحق ٠٠٠٠) ٧٥

(إن خيركم قرني ٠٠٠٠) ١٥٧

(أريت الأمم في الموسم ٠٠٠) ١٧١

(اللهم بك أسلمت ٠٠٠) ١٧٢

(أخبرني عن صفة ٠٠٠٠) ١٧٣

(إذا خرج الرجل من بيته فقال بسم الله ٠٠٠) ١٧٥

(إذا ولج الرجل ٠٠٠) ١٧٦

(إن الله وكل بالرحم ٠٠٠) ١٧٧

(أن تؤمن بالله ٠٠٠٠) ١٨٩

(إن أحدكم يجمع خلقه ٠٠٠) ١٩٣

(إن بين الرجل وبين الشرك ٠٠٠) ٢١٨

(إن أعرابياً أتى ٠٠٠) ٢١٩

(إن في الجنة باباً٠٠٠) ٢٢٠

(إن النبي صلى الله عليه وسلم كوى ٠٠٠) ٢٢٥

(أرأيت أدوية نتداوى ٠٠٠) ٢٢٥،٢٢٧

(اعقلها وتوكل) ٢٢٨، ٢٣١، ٢٤٥، ٢٦٥، ٣٥٦

(ادخر لعياله ٠٠٠) ٢٦٢

(إن الله حرم ٠٠٠) ٢٧٣

(إذا بلغ الماء ٠٠٠) ٢٩٠

(إذا ولغ الكلب في إناء ٠٠٠) ٢٩١

(إنه سيكون في هذه الأمة ٠٠٠) ٢٩٠
(إن الله تعالى طيب ٠٠٠) ٢٩١
(إن الملائكة لا تدخل ٠٠٠) ٢٩١
(أول ما يحاسب به العبد ٠٠٠) ٢٩٣
(الإمام ضامن ٠٠٠) ٢٩٧
(إن الله وملائكته٠٠٠) ٢٩٧
(إنه كان أخف الناس صلاة ٠٠٠) ٢٩٨
(إذا نعس أحدكم ٠٠٠) ٣٠٤
(إن أحب الصوم ٠٠٠) ٣١٠
(أُخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم إني أقول٠٠) ٣١٣
(أفضل الصيام صيام ٠٠٠) ٣١٣
(إن لزوجك عليك حق ٠٠٠) ٣١٤
(إذا أصبح أحدكم يوماً٠٠٠) ٣١٦
(إنما العلم ٠٠٠) ٣٣٨
(أيها الناس إن الله طيب ٠٠٠) ٣٤٦
(إن الله عز وجل حرم عليكم ٠٠٠) ٣٥١
(اسقه عسلاً) ٣٥٢
(إن من الذنوب ٠٠٠٠) ٣٥٨
(أفضل الأعمال ٠٠٠) ٣٥٨
(إذا أنفق المسلم ٠٠٠) ٣٥٨
(اللهم رحمتك أرجو ٠٠٠) ٣٧٢

(ب)

(بينا أنا نائم رأيت الناس ٠٠٠)	٧٥
(بني الإسلام على خمس ٠٠٠)	٣٠٥
(بهذا أمرتم ٠٠٠)	١٨٨

(ت)

(تداووا فإن الذي ٠٠٠)	٢٧٠،٢٦٨
(ترد علىّ أمتي الحوض ٠٠٠)	١٩
(تزوجوا الودود الولود٠٠٠)	٣٤٤

(ث)

(ثوبك هذا غسيل٠٠٠)	٧٦

(ج)

(جعل رزقي تحت ٠٠٠)	٢٣٧

(ح)

(حبب إليّ من دنياكم ٠٠٠) ٣٨٠
(حسبنا الله ٠٠٠) ١٧٧

(خ)

(خير الصدقة ٠٠٠) ٦١
(الخيل معقود في نواصيها الخير ٠٠٠) ٦٤

(د)

(دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد ٠٠) ٣٠٤
(دعوني ما تركتكم ٠٠٠) ١٧
(دينار أنفقته في سبيل الله ٠٠٠) ٦١

(ر)

(رباط يوم في سبيل الله ٠٠٠) ٢٢٢
(رب صائم ٠٠٠) ٣٠٧، ٣١٥

(رجعنا من الجهاد الأصغر ...) ٣٢٨
(رخص إذا اشتكى المحرم ...) ٢٧٥

(س)

(ستة لعنهم الله ...) ٢٢
(سقط عن أصحاب ...) ٣٠٣
(سل الله العفو ...) ٢٧٠،٣٥٢
(السؤال آخر كسب ...) ٣٥٨

(ص)

(الصيام جنة) ٣٠٩
(الصلاة وماملكت ...) ٢٩٥
(صل فإنك لم ...) ٣٠٥
(الصوم لي ...) ٣٠٧

(ط)

(طلب الحلال ...) ٣٥٨
(الطهور شطر ...) ٢٩١

(ع)

(عرض عليّ ربي٠٠٠) ٥٨

(العهد الذي بيننا وبينهم ٠٠٠) ٣٠٥

(ف)

(٠٠٠ فالثلث والثلث كثير ٠٠٠) ٣٤٩

(فأني إذن صائم) ٦٢

(ق)

(قاربوا وسددوا ٠٠٠) ٣٧

(قدر الله تعالى ٠٠٠) ١٩١

(قد كان في ما مضى ٠٠٠) ٧٢

(قل آمنت ٠٠٠) ٣٧٦

(القلوب بعضها من بعض ٠٠٠) ٢١٧

(٠٠٠ قم ونم ٠٠٠) ٣٠٣

(ك)

(كان أهل اليمن ٠٠٠) ١٧٤

(كان أحب الثياب ٠٠٠) ٦٣

(كان يبيع نخل ٠٠٠) ٥٨، ٦١

(كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خطب ٠٠) ٢١

(كان يأتي علينا ٠٠٠) ٥٨

(كان النبي صلى الله عليه وسلم يعودني ٠٠٠) ٦٠

(كان لايدخر شيئاً٠٠٠) ٦١

(كان يغتسل بالصاع ٠٠٠) ٢٨٩

(كسب الرجل بيده ٠٠٠) ٢٧٩

(كل عمل ابن آدم له٠٠٠) ٢٢٠

(كل أمتي يدخلون الجنة ٠٠٠) ١١، ١٥

(كل بيمينك ٠٠٠) ١٩

(كنت نهيتكم عن زيارة ٠٠٠) ١٠١

(ل)

(لاتواصلوا ٠٠٠) ٣١٥

(لاتشد الرحال إلا٠٠٠) ٣٢٠

(لاحسد إلا على اثنين ٠٠٠) ٣٣٤

(لاتحل الصدقة لغني ٠٠٠) ٣٤٠
(لاومقلب القلوب) ٣٧
(لأن يحتطب أحدكم ٠٠٠) ٢٦١
(لأن يغدو أحدكم ٠٠٠) ٢٨٠
(لايزال أحدكم في صلاة ٠٠٠) ٢٩٥
(لروحة في سبيل الله ٠٠٠) ٣٢٦
(لقد تركتكم على مثل البيضاء٠٠٠) ١
(لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ٠٠٠) ٦٢
(لعن الله اليهود ٠٠٠) ١٠١
(لكل داء دواء٠٠٠) ٢٢٠
(لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة ٠٠٠) ١٧٣
(لو أنكم تتوكلون على الله ٠٠٠) ١٤٧، ١٧١، ١٧١، ٢٣٧، ٢٧٥
(لو أن الناس كلهم ٠٠٠) ٢٤٠

(م)

(ما أنا عليه وأصحابي) ١٢
(من أراد ٠٠٠) ١١
(مابال أقوام ٠٠٠) ١٧
(من دعا إلى ٠٠٠) ٢١
(من أحدث ٠٠٠) ٢٣

(من عمل ٠٠٠) ٢٣

(ما من امرئ إلا قلبه ٠٠٠) ٣٦

(مابعث الله نبياً إلا ٠٠٠) ٤٥، ٢٥٢، ٣٦١

(ماشبع آل محمد ٠٠٠) ٥٩

(من لم يكن له إزار ٠٠٠) ٦٤

(من سره أن يكون ٠٠٠) ١٤٧

(من قال بسم الله ٠٠٠) ١٤٧

(من توكل لي ٠٠٠) ١٧٣

(ما منكم من أحد ٠٠٠٠) ١٧٥، ١٨٦

(مهلاً يا قوم ٠٠٠) ١٨٨

(ما من عبد يصوم ٠٠٠) ٢٢٠

(من حج ولم يرفث ٠٠٠) ٢٢٢

(ما أنزل الله داء ٠٠٠) ٢٢٥، ٢٦٨، ٣٥٢

(المؤمن القوي خير ٠٠٠) ٢٢٦

(مأكل أحد طعاماً ٠٠٠) ٢٥٢،٢٨٠

(مفاتيح الغيب خمس ٠٠٠) ٢٦٩

(ما من دعوة يدعوبها العبد ٠٠٠) ٢٧٠،٣٥٢

(من ترك الصلاة ٠٠٠) ٣٠٥

(من مات ولم يحج٠٠٠) ٣١٧

(مااغبرتا قدم عبد في سبيل الله ٠٠٠) ٣٢٦

(ما نقصت صدقة ٠٠٠) ٣٣٩

(ما أتاك الله من هذا المال ٠٠٠) ٣٤٠

(من رأى منكم منكراً ٠٠٠) ٣٤٢

(من قتل دون ماله ٠٠٠) ٣٥١
(مكسبة فيها نقص المرتبة ٠٠٠) ٣٥٨
(ما يزال الرجل يسأل الناس ٠٠٠) ٣٦٠
(من أنتم ؟٠٠٠) ٣٦٨
(ما بال أقوام يقولون ٠٠٠٠) ٣٦٩

(ن)

(نعم المال الصالح ٠٠٠) ٣٦٢
(نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ٠٠٠) ١٠١

(هـ)

(هكذا الوضوء ٠٠٠) ٢٨٨
(هل عندكم شئ ؟ ٠٠٠) ٦٢
(هي من قدر الله) ٢٢٨

(و)

(والذي نفسي بيده ٠٠٠) ١٥

(ي)

(يأتي السائل يوم القيامة ٠٠٠) ٣٦٠
(يا غلام إني أعلمك كلمات ٠٠٠) ١٨٦
(يامثبت القلوب ٠٠٠) ٣٦
(يا معاذ بن جبل ٠٠٠) ١٧٦
(يحب الحلواء ٠٠٠) ٦٣
(يدخل الجنة من أمتي ٠٠٠٠) ٢٤٧، ٢٢٥
(يقول الله تعالى أنا عند ظن عبدي بي ٠٠٠) ٢١٧

فهرس المراجع العامة للرسالة

- القـــــــــرآن الكريم

(أ)

- الإبانة عن أصول الديانة للإمام أبي الحسين علي بـن اسـماعيل الأشـعري المطبعة المنيرية القاهرة ٠
- الابريز تأليف عبد العزيزالدباغ طبعة مصر ٠
- الاتجاهات الفكرية المعاصرة للدكتور جمعه الخولي بدون تاريخ طبعة٠
- اتحاف السادة للزبيدي بدون تاريخ طبعة ٠
- إتمام الوفاء في سيرة الخلفاء تأليف محمد الخضيري بدون تاريخ طبعة٠
- اجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم تحقيق عواد عبد الله الطبعـة الأولـى ١٤٠٨هـ٠
- الأحاديث القدسية طبعة دار الهجرة الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ ٠
- الاحتجاج تأليف أحمد بن علي الطبرسي طبعة مؤسسة النعمان بيروت٠
- أحسن التقاسيم للمقدسي بدون تاريخ طبعة ٠
- الأحكام السلطانية تـأليف أبـي الحسن علـي بـن محمـد المـاوردي الطبعـة الأولى سنة ١٣٢٧هـ ٠
- الإحكام في أصول الأحكام الآمدي بدون تاريخ طبعة ٠
- إحيـاء علـوم الديـن تـأليف أبـو حـامد محمـد الغزالــي دار الكتــب العلميــة بيروت٠

- الاختصاص للشيخ المفيد تحقيق محمد باقر مكتبة بصيرتي .
- الأخلاق عند الغزالي الدكتور زكي مبارك دار المعارف مصر .
- الآداب الشرعية الكبرى لابن مفلح تحقيق وطبع مطبعة المنار سنة ١٣٤٩هـ .
- أديان الهند الكبرى الدكتور أحمد شلبي طبعة القاهرة ١٩٦٤م وطبعة مكتبة النهضة الطبعة التاسعة ١٩٩٠م .
- الأذكار من كلام سيد الأخيار للإمام محي الدين أبي زكريا النووي دار المعرفة بيروت الطبعة الثالثة .
- الارشاد إلى صحيح الاعتقاد الدكتور صالح الفوزان الرياض ١٤١٢هـ .
- ارشاد الفحول إلى علم الأصول تأليف محمد بن علي الشوكاني مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده .
- أساس التأويل للنعمان القاضي طبعة دار الثقافة بيروت الطبعة الأولى .
- أسباب النزول للإمام أبي علي أحمد النيسابوري تحقيق السيد أحمد دار القبلة .
- أسد الغابة في معرفة الصحابة لعز الدين ابن الأثير تحقيق وتعليق محمد ابراهيم البنا ومحمد عاشور طبعة الشعب .
- الأشباه والنظائر للإمام جلال الدين السيوطي تحقيق محمد المعتصم بالله البغدادي دار الكتاب العربي الطبعة الأولى .
- الإصابة في تمييز الصحابة أحمد بن حجر العسقلاني تحقيق علي البجاوي مطبعة نهضة مصر القاهرة .
- أصل الشيعة وأصولها محمد حسين آل كاشف الغطاء طبعة بيروت .
- أصول الدين للإمام أبي منصور عبد القاهر البغدادي بدون تاريخ طبعة .

- الأصول من الكافي محمد يعقوب الكليني تحقيق علي الغفاري الطبعة الرابعة ١٣٩٢هـ
- الاعتصام تأليف ابراهيم بن موسى بن اسحاق الشاطبي طبعة دار التحرير التجارية •
- أضواء على مقارنة الأديان الدكتور محمد طلعت أبو صير الطبعة الأولى دار الطباعة المحمدية ١٤٠٨هـ •
- الأعلام خير الدين الزركلي دار العلم للملايين بيروت لبنان •
- أعلام النبوة لأبي حاتم الرازي تحقيق صلاح الصادي طبعة انجمن ١٣٩٧هـ•
- الافتخار لأبي يعقوب السجستاني طبعة لبنان •
- أقرب الموارد سعيد الخوري طبعة مرسلي بيروت ١٩٨٩م•
- الاكتساب في الرزق المستطاب تأليف محمد بن الحسن الشيباني تحقيق سهيل زكار وطبعة دار الكتب العلمية بيروت لبنان بتحقيق محمود عرنوس

- الإمام ابن تيمية وموقفة من التأويل تأليف محمد السيد الجلنيد بدون تاريخ طبعة •
- الانتصار لأبي الحسين عبد الرحيم بن عثمان الخياط مطبعة دار الكتب المصرية سنة ١٣٤٤هـ •
- الإنسان في ظل الأديان الدكتور محمد عمارة نجيب مكتبة المعارف الرياض طبعة ١٤٠٠هـ •
- الأنوار القدسية في مناقب النقشبندية محمد أمين كردي بدون تاريخ طبعة

- ايقاظ الهمم في شرح الحكم لابن عجيبة الحسني مطبعة البابي الحلبي الطبعة الثالثة سنة ١٤٠٢هـ وطبعة المكتبة الثقافية بيروت •

- الإيمان للإمام أبو عبيد القاسم بن سلام تحقيق محمد ناصر الدين الألباني المكتب الإسلامي •

- الإيمان والحياة الدكتور يوسف القرضاوي مكتبة وهبة •

- الإيمان للحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة تحقيق محمد ناصر الدين الألباني طبعة المكتب الإسلامي•

(ب)

- بحار الأنوار محمد باقر المجلسي دار الكتب الإسلامية •

- البداية والنهاية أبو الفداء الحافظ بن كثير الدمشقي مكتبة المعارف طبعة ١٩٦٦م•

- البدعة الدكتور عزت علي عطية دار الكتاب العربي الطبعة الثانية •

- البرهان في علوم القرآن للإمام بدر الدين محمد الزركشي تحقيق محمد أبو الفضل دار المعرفة بيروت

(ت)

- تاج العروس من جواهر القاموس محب الدين أبي الفيض الواسطي طبعة مكتبة الحياة لبنان •

- تاريخ التراث العربي فؤاد سيزكن الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٨م•

- تاريخ التصوف الإسلامي من البداية حتى نهاية القرن الثاني الدكتور عبد الرحمن بدوي وكالة المطبوعات الكويت الطبعة الأولى ١٩٧٥م٠

- تاريخ الإمامية عبد الله فياض مؤسسة الأعلمي بيروت الطبعة الثانية سنة ١٣٩٥هـ ٠

- تاريخ الفلسفة اليونانية يوسف كرم دار القلم بيروت لبنان ٠

- تاريخ التصوف (أردو) يوسف جشتي طبعة علماء أكيدي وزارة الأوقاف باكستان ٠

- تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام الدكتور محمد علي أبو ريان دار النهضة العربية بيروت ٠

- تدوين السنة ابراهيم فوزي ، رياض الريس للكتب والنشر طبعة ١٩٩٤م٠

- تذكرة الحفاظ للإمام الذهبي أبو عبد الله شمس الدين طبعة دار احياء التراث العربي بيروت ٠

- تذكرة الأولياء فريد الدين العطار (أردو) طبعة باكستان ٠

- التعرف لمذهب أهل التصوف لأبي بكر محمد بن اسحاق الكلاباذي دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى ١٤١٣هـ ٠

- التصوف المنسأ والمصادر إحسان إلهي ظهير إدارة ترجمان السنة باكستان الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ ٠

- التصوف في الإسلام وأهم الاعتراضات الواردة عليه الدكتور عبد اللطيف محمد العبد ٠

- التصوف والمتصوفة عبد الكريم الخطيب دار الفكر العربي الطبعةالأولى ١٩٨٠م٠

- التصوف ماسينيون ومصطفى عبد الرازق دار الكتاب اللبناني طبعة ١٩٨٤م.
- التصوف منشؤه ومصطلحاته تأليف الدكتور أسعد السحمراني دار النفائس بيروت لبنان الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ .
- التصوف طريقاً وتجربة ومذهباً الدكتور محمد كمال جعفر دار المعرفة الجامعية الإسكندرية طبعة ١٩٨٠م .
- التصوف في الإسلام الدكتور عمر فروخ بيروت دار الكتاب العربي سنة ١٤٠١هـ.
- كتاب التعريفات للعلامة علي بن محمد الشريف الجرجاني مكتبة لبنان طبعة ١٩٩٠م .
- تفسير القرآن العظيم للإمام الجليل الحافظ عماد الدين بن كثير مكتبة دار التراث العربي القاهرة .
- تفسير الجلالين جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي دار القلم .
- التفسير الكبير للإمام فخرالرازي بدون تاريخ طبعة .
- تلبيس ابليس جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن المعروف بابن الجوزي دار الجيل بيروت .
- تنويرالقلوب تأليف محمد أمين كردي .
- التوكل على الله للحافظ أبي بكر بن أبي الدنيا تحقيق مجدي ابراهيم مكتبة القرآن .
- تيارات الفكر الإسلامي الدكتور محمد عمارة دار الشروق
- تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد للشيخ محمد السلمان .

- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي طبع الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد.

- تقريب التهذيب تأليف الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، حققه وعلق عليه ووضحه وأضاف إليه أبو الأشبال صغير أحمد شاغف الباكستاني، تقديم بكر عبد الله أبو زيد، دار العاصمة للنشر والتوزيع.

(ج)

- جامع الأصول في لأولياء تأليف أحمد الكشمخاوي طبعة المطبعة الوهبية طرابلس ١٢٩٨هـ •
- جامع العلوم الملقب بدستور العلماء في اصطلاحات العلوم والفنون للقاضي عبد النبي عبد الرسول أحمد شكري •
- جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم تأليف زين الدين أبي الفرج بن رجب مكتبة المعارف الرياض •
- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي
- جامع كرامات الأولياء يوسف النبهاني طبعة المكتبة الثقافية و طبعة دار صادر بيروت •
- جمهرة الأولياء وأعلام أهل التصوف لأبي الفيض المنوفي الحسيني طبعة مؤسسة الحلبي القاهرة •

(ح)

- حاشية الروض المربع بشرح زاد المستقنع جمع عبد الرحمن بن محمد بن قاسم الطبعة الأولي •
- الحب بين العبد والرب ـاليف أحمد بن نصيب المحاميد الطبعة الثانية ١٤٠٠هـ دار الفكر دمشق •
- الحث على التجارة والصناعة والعمل الحلال للخلال بدون تاريخ طبعة•

- الحضارة الإسلامية آدم متز ترجمة عربية الدكتور محمد عبد الهادي أبو ريدة طبعة القاهرة ١٩٤٨م.

- حقائق عن التصوف عبد القادر عيسى مكتبة الوفاء حلب الطبعة الخامسة ١٤١٤٠هـ .

- حقيقة التصوف وموقف الصوفية من أصول العبادات الشيخ فوزان الفوزان دار العاصمة .

- حقيقة الصوفية تأليف أبي سعيد التونسي طبعة مكتبة الفارابي .

- الحكومة الإسلامية آية الله الخميني طبعة دار الطليعة بيروت الطبعة الثانية سنة ١٩٧٩م.

- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء تأليف أبو نعيم الأصفهاني دار الكتاب العربي بيروت الطبعة الثالثة .

- حوار هادئ مع الغزالي سلمان العودة بدون تاريخ طبعة .

- حياة الإمام الحسين بن علي تأليف باقر شريف القرشي مطبعة الآداب الطبعة الثاني سنة ١٣٩٠هـ .

- حياة القلوب في كيفية الوصول إلى المحبوب عماد الدين الأموي بهامش قوت القلوب طبعة صادر بيروت وطبعة دار الفكر.

(خ)

- الخصال لأبن بابوية القمي طبعة مكتبة الصدوق.

- الخطط تأليف تقي الدين أحمد بن علي المقريزي مصر طبعة بولاق ١٢٧٠هـ.

(د)

- دار السلام فيما يتعلق بالرؤيا والمنام ميرزا حسين النوري الطبرسي •
- دراسات في الفلسفة الإسلامية عبد اللطيف محمد العبد مكتبة النهضة المصرية •
- دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية الدكتور عرفان عبد الحميد مؤسسة الرسالة الطبعة الأولى •
- درر الغواص على فتاوي سيدي علي الخواص تأليف عبد الوهاب الشعراني بهامش الإبريز للدباغ طبعة مصر •
- الدر اللقيط من البحر المحيط تاج الدين الحنفي النحوي بهامش البحر المحيط لأبي حيان دار الفكر الطبعة الثالثة ١٣٨٩هـ •
- الدعاة إلى الله في القرآن الكريم ومناهجهم الدكتور محمد طلعت أبو صير المطبعة العربية الحديثة القاهرة ١٤٠٦هـ•
- ديوان الحلاج تقديم وتعليق وتصحيح عبد الحفيظ محمد مدني الطبعة الثانية•
- دائرة المعارف الإسلامية أحمد الشناوي وابراهيم زكي •
- دائرة المعارف بطرس البستاني •

(ذ)

- الذخيرة في الحقيقة علي بن الوليد طبعة دار الثقافة بيروت لبنان .

(ر)

- الرسالة للإمام محمد بن ادريس الشافعي المكتبة العلمية بيروت لبنان .
- الرسالة التدمرية مجمل اعتقاد السلف لشيخ الإسلام ابن تيمية طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .
- الرسالة القشيرية في علم التصوف تأليف عبد الكريم القشيري تحقيق معروف زريق وعلي عبد الحميد بلطه جي دار الجيل بيروت الطبعة الثانية سنة ١٤١٠هـ .
- رياض الصالحين للإمام أبي زكريا يحي بن شرف النووي دار الرشد الرياض الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ .
- الرعاية لحقوق الله تأليف أبو عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي تحقيق عبد القادر أحمد عطاء دار الكتب العلمية بيروت لبنان .
- الرد على الأخنائي تأليف شيخ الإسلام ابن تيمية تحقيق الشيخ عبد الرحمن المعلمي طبع الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة الإرشاد الرياض سنة ١٤٠٤هـ .

- رسائل ابن عربي - رسالته إلى الإمام فخر الرازي ـ دار إحياء التراث العربي بيروت طبعة ١٣٦١هـ ٠

- الرحيق المختوم تأليف صفي الرحمن المباركفوري دار القلم بيروت الطبعة الأولى سنة ١٤٠٦هـ ٠

- الروض المربع بشرح زاد المستقنع للعلامة االشيخ منصور البهوتي تحقيق محمد عوض دار الكتاب العربي٠

(ز)

- زاد المعاد في هدي خير العباد ابن قيم الجوزية مؤسسة سالم الطبعة ١٤ سنة ١٤١٠هـ ٠

- الزهد جامع أبواب الخير والإيمان تهذيب عبد الهادي البشري دار المؤتمن للنشر٠

(س)

- السنة النبوية لابن أبي عاصم الشيباني تحقيق محمد ناصر الدين الألباني طبعة المكتب الإسلامي الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ ٠

- سير أعلام النبلاء للإمام الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي٠

- سنن ابن ماجة للحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي طبعة دار إحياء الكتب العربية وطبعة المكتبة العلمية بيروت لبنان٠

- سنن الدارمي أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي تحقيق عبد الله هاشم طبعة باكستان ١٤٠٤هـ .
- سنن الترمذي لأبي عيسى محمد بن سورة الترمذي المكتبة الإسلامية استانبول تركيا .
- السنة قبل التدوين للخطيب طبعة دار الفكر الطبعةالخامسة .
- السيرة النبوية لابن هشام تحقيق الدكتور محمد فهمي السرجاني دار الفكر .
- سنن النسائي بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي وحاشية الإمام السندي الطبعة الثالثة مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب طبعة ١٤١٤هـ .

(ش)

- شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار أحمد الهمذاني مكتبة وهبة الطبعة الأولى ١٣٨٤هـ .
- شرح السنة لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي .
- شرح العقيدة الطحاوية للعلامة ابن أبي العز الحنفي تحقيق جماعة من العلماء طبعة المكتب الإسلامي الطبعة التاسعة ١٤٠٨هـ .
- شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية الدكتور صالح فوزان الفوزان الطبعة الخامسة الرياض المملكة العربية السعودية .
- شرح الكلمات الصوفية للنفري بدون تاريخ طبعة
- شرح المنار لابن مالك .

- شفاء العليل في مشائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل لابن قيم الجوزية دار التراث القاهرة •

(ص)

- صحيح البخاري (الجامع الصحيح) للإمام أبي عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري المطبعة السلفية الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ ٠
- صحيح مسلم للإمام أبي الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري طبعة المكتبة الإسلامية تركيا الطبعة الأولى ١٣٧٤هـ ٠
- صفوة الصفوة لأبي الفرج بن الجوزي دار الكتب العلمية بيروت ١٩٨٩م٠
- الصلة بين التصوف والتشيع الدكتور كامل مصطفى الشيبي طبعة دار الأندلس بيروت الطبعة الثالثة ٠
- صفوة التفاسير محمد علي الصابوني طبع على نفقة حسين عباس شربتلي دار القرآن الكريم بيروت ٠
- الصوفية في الإسلام عباس العقاد ٠
- صيد الخاطر لابن الجوزي تحقيق عبد الرحمن البر دار اليقين للتوزيع الطبعة الأولى ١٤١٣هـ٠

(ط)

- الطبقات الكبرى لابن سعد دار الكتب العلمية بيروت ١٩٩٠م ٠
- الطبقات الكبرى للشعراني دار الفكر طبعة ١٣٧٤هـ ٠
- طبقات الصوفية للسلمي تحقيق نور الدين شريبة دار الكتاب النفيس الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ ٠

- الطبقات في خصوص الصالحين والأولياء محمد ضيف الله الجعلي المكتبة الثقافية بيروت •

- طبقات الحفاظ للحافظ جلال الدين السيوطي تحقيق على محمد عمر مكتبة وهبة الطبعة الأولى رجب ١٣٩٣هـ•

- الطب النبوي تأليف ابن قيم الجوزية دار الفكر •

- الطواسين للحلاج•

- الطيبات من الرزق جمع وترتيب أبي ذر القلموني البشر للنشر والتوزيع القاهرة •

(ع)

- العقائد الباطنية وحكم الإسلام فيها الدكتور صابر طعيمة المكتبة الثقافية بيروت الطبعة الثانية ١٤١١هـ •

- عوارف المعارف تأليف عبد القاهر عبد الله السهروردي دار الكتاب العربي بيروت الطبعة الثانية •

- عقيدة التوكل عند أهل السنة (رسالة ماجستير) نور محمد مصيري كلية التربية للبنات بجدة عام ١٤٠٨هـ•

- علوم الحديث تأليف صبحي الصالح•

- عمدة القارئ شرح صحيح البخاري للشيخ الإمام بدر الدين أبي محمد محمود ابن أحمد العيني طبعة المطبعة المنيرية بيروت

- عون المعبود شرح سنن أبي داود للعلامة أبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان المكتبة السلفية الطبعة الثانية
- العمدة في الأحكام في معالم الحلال والحرام للمقدسي تحقيق مصطفى عطا دار الكتب العلمية بيروت لبنان ٠
- عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان تأليف بدر الدين العيني مخطوط في مكتبة سليم آغا بتركيا برقم ٨٣٤ ٠
- العقلية الصوفية ونفسانية أهل التصوف تأليف علي زيعور بيروت دار الطليعة طبعة ١٩٧١م

(غ)

- غيث المواهب العلية في شرح الحكم العطائية النفري الرندي طبعة دار الكتب الحديثة القاهرة ١٩٧٠م٠

(ف)

- فيض القدير في شرح الجامع الصغير للمناوي دار الحديث القاهرة ٠
- في تاريخ التراث العربي فؤاد سيزكين ٠
- فتح الباري في شرح صحيح البخاري للإمام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني طبعة دار البيان للتراث القاهرة وطبعة دار المعرفة بيروت لبنان
- في التصوف الإسلامي وتاريخه رينولد ألين نيكلس ترجمة أبي العلاء عفيفي٠
- في الفلسفة الإسلامية د: ابراهيم مدكور مصر دار المعارف سنة ١٩٨٣م

- الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة عبد الرحمن عبد الخالق طبعة الكويت .
- الفتوحات اللالهية ابن عجيبة الحسني طبعة عالم الفكر القاهرة .
- فاكهة البستاني تأليف عبد الله البستاني .
- في تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة تأليف أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني طبع مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند سنة ١٣٧٧هـ .
- الفهرست لابن النديم دار المعرفة بيروت لبنان .
- الفتوحات الإلهية في شرح المباحث الأصلية في حاشية ايقاظ الهمم لأحمد بن عجيبة الحسني دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت لبنان .
- فتح القدير تأليف محمد بن علي محمد الشوكاني دار احياء التراث العربي بيروت .
- الفرق بين الفرق عبد القاهر البغدادي دار المعرفة بيروت لبنان .
في العقيدة الإسلامية بين السلفية والمعتزلة محمود أحمد خفاجي .
- فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والافتاء جمع وترتيب الشيخ أحمد عبد الرزاق الدويش طبعة دار أولى النهى الطبعة الأولى .
- فقة السنة السيد سابق دار الفكر .
- فضائح الصوفية عبد الرحمن عبد الخالق مكتبة ابن تيمية الكويت .
- فصوص الحكم لابن عربي بشرح بالي .
- الفرقا بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان لشيخ الإسلام ابن تيمية .
- الفرقان بين الحق والباطل لشيخ الإسلام تحقيق الشيخ حسين غزال دار احياء العلوم بيروت .

- فضائح الباطنية أبو حامد محمد الغزالي تحقيق عبد الرحمن بدوي الدار القومية للطباعة القاهرة •

- في علم الكلام تأليف الدكتور محمود صبحي دار النهضة العربية الطبعة الخامسة •

(ق)

- القاموس المحيط للفيروز آبادي مؤسسة الرسالة الطبعة الثانية •

- قوت القلوب في معاملة المحبوب أبوطالب المكي طبعة دار الفكر •

- قواعد التصوف أحمد زريق متكبة الكليات الأزهرية القاهرة ١٩٧٦م•

- قاعدة جليلة في التوسل و الوسيلة لشيخ الإسلام ابن تيمية المكتب الإسلامي•

- قاموس المنجد في اللغة والأعلام دار المشرق بيروت الطبعة ٣٣ •

- قصة الحضارة تأليف ول ديورات ترجمة عربية محمد بدران طبعة الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية القاهرة١٩٦٤م •

- القضاء والقدر في الإسلام الدكتور فاروق الدسوقي •

- القرطبي والتصوف تأليف مشهور حسن محمد سليمان دار الكتب الأثرية الطبعة الأولى •

- قطر الولي على حديث الولي للإمام الشوكاني تحقيق الدكتور ابراهيم هلال توزيع دار الباز للنشر والتوزيع •

(ك)

- الكتاب المقدس العهد الجديد دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط •
- كشف الخفاء ومزيل الالباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس للشيخ اسماعيل بن محمد العجلوني تصحيح و تعليق أحمد القلاش مؤسسةالرسالة الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـ •
- كشف المحجوب للهجويري دراسة وتعليق الدكتورة اسعاد عبد الهادي قنديل راجع الترجمة الدكتور أمين عبد المجيد بدوي دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت سنة ١٩٨٠م
- الكواكب الدرية عبد الرؤوف المأوى
- الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ محمد القاسم المكتبة الإسلامية •
- كشاف اصطلاحات الفنون للشيخ محمد التهانوي الهيئة العامة للكتاب مصر الطبعة الأولى •
- الكشف والتبيين في غرور الخلق أجمعين محمد محمد جابر طبعة مكتبة الجندي بالقاهرة •
- كنوز الحقائق للمناوي •

(ل)

- لسان العرب لأبي الفضل جمال الدين محمد بن منظور دار صادر

- لطائف المنن لابن عطاء الاسكندري تحقيق الدكتور عبد الحليم محمود مطبعة حسان القاهرة .
- اللمع في التصوف تأليف أبي نصر عبد الله بن علي السراج الطوسي تحقيق عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سرور دار الكتب الحديثة مصر
- اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان تأليف محمد فؤاد عبد الباقي دار الريان للتراث .
- لوامع الأنوار البهية للسفاريني طبعة قطر .

(م)

- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية جمع وترتيب عبد الرحمن محمد بن القاسم دار عالم الكتب .
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد نور الدين بن علي بن أبي بكر الهيثمي نشر المقدسي سنة ١٣٥٣هـ .
- معجم المصطلحات الصوفية الدكتور أنور أبي خزام مكتبة لبنان .
- معجم المؤلفين عمر رضا كحالة مكتبة المتنبي بيروت لبنان وطبعة دار احياء التراث العربي .
- المعجم الصافي في اللغة العربية صالح العلي وأمينة الأحمد مكتبة الناصر الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ .
- معجم مقاييس اللغة لأبي الحسن أحمد بن فارس تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون دار الجيل بيروت الطبعة الأولى ١٤١١هـ.

- المفردات في غريب القرآن الراغب الأصفهاني تحقيق وضبط محمد سيد الكيلاني دار الباز للنشر والتوزيع وطبعة دار المعرفة بيروت لبنان .

- المعجم الوسيط ابراهيم مصطفى وآخرون مجمع اللغة العربية الطبعة الثانية ١٣٩٢هـ.

- معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب مكتبة لبنان طبعة ١٩٧٨م.

- مقدمة ابن خلدون للعلامة عبد الرحمن بن خلدون دار الكتب العلمية بيروت لبنان الطبعة الأولى ١٤١٣هـ .

- موقف الإمام ابن تيمية من التصوف والصوفية الدكتور أحمد البناني جامعة أم القرى الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ .

- مختصر صحيح مسلم دار مكتبة الهلال الطبعة الأولى ١٩٨٧م.

- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة الندوة العالمية للشباب الإسلامي الرياض الطبعة الأولى .

- الملل والنحل تأليف أبو الفتح محمد عبد الكريم الشهرستاني تحقيق عبد العزيز محمد الوكيل دار الفكر .

- مختار الصحاح محمد بن أبي بكر الرازي مكتبة لبنان .

- المغني لأبي محمد عبد الله بن قدامة مكتبةالرياض الحديثة .

- من لايحضره الفقيه أبو جعفر محمد بن بابوية القمي دار الكتب الإسلامية الطبعة الخامسة ١٣٩٠هـ .

- المزار محمد علي الفضل بدون تاريخ طبعة .

- المزار محمد علي المشهدي بدون تاريخ طبعة .

- المزار محمد همام بدون تاريخ طبعة .

- المزار محمد أحمد داود بدون تاريخ طبعة.

- محيط المحيط بطرس البستاني بدون تاريخ طبعة .

- من قضايا التصوف في ضوء الكتاب والسنة الدكتور محمد السيد الجلنيد دار اللواء بيروت الطبعة الثالثة ١٤١٠هـ.
- مجموع الرسائل الكبرى لشيخ الإسلام ابن تيمية .
- المعجم الفلسفي مجمع اللغة العربية طبعة ١٣٩٩هـ .
- مدخل إلى التصوف الإسلامي د: أبو الوفا التفتازاني طبعة مصر .
- مختصر تفسير ابن كثير اختصار وتحقيق علي الصابوني دار القرآن الكريم.
- مقارنة الأديان أحمد شلبي مكتبة النهضة المصرية القاهرة الطبعة العاشرة
- متى - انجيل - الطبعة الثانية .
- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين للإمام أبي عبد الله بن محمد بن قيم الجوزية دار الحديث القاهرة .
- منهاج المسلم تأليف أبو بكر الجزائري الطبعة الثامنة دار الفكر .
- مختصر منهاج القصادين للإمام ابن قدامة المقدسي مؤسسة الكتب الثقافية.
- من أعلام السلف تأليف محمد بن عبد الله النملة بدون تاريخ طبعة.
- المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد الشيخ محمد أبو زهرة دار الفكر العربي.
- مناهل العرفان في علوم القرآن محمد عبد العظيم الزرقاني دار احياء التراث العربي .
- الموافقات في أصول الشريعة أبو اسحاق ابراهيم بن موسى الشاطبي تحقيق الشيخ عبد الله دراز المطبعة الرحمانية مصر .
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم محمد فؤاد عبد الباقي دار الحديث القاهرة الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ .

- المدخل لدراسة الفقة الإسلامي الدكتور عبد الرحمن الصابوني .
- مذكرة أصول الفقة الشيخ محمد الشنقيطي دار القلم بيروت .
- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير تأليف أحمد بن محمد المقري الفيومي .
- مشيئة الله ومشيئة العباد عبد الكريم الخطيب .
- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين لأبي الحسن الأشعري مكتبة النهضة المصرية الطبعة الأولى ١٣٦٩هـ .
- المغني في أبواب العدل والتوحيد القاضي عبد الجبار أحمد الهمذاني دار الثقافة والإرشاد مطبعة الكتب الطبعة الأولى ١٣٨٠هـ .
- مجموع الفتاوى الكبرى لشيخ الإسلام ابن تيمية تحقيق محمد عبد القادر ومصطفى عبد القادر دار الريان للتراث القاهرة الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.
- مجلة الحرس الوطني - السعودي - السنة الرابعة عشر العدد ١٣٣ ربيع الأول ١٤١٤هـ .
- مجلة الأصالة السنة الثامنة عام ١٣٩٩هـ عدد صفر وربيع الأول .
- الموفي بمعرفة التصوف والصوفي تأليف كمال الدين أبي الفضل تحقيق الدكتور محمد عيسى صالحية الكويت .
- المنح القدوسية لأبي القاسم سيدي أحمد بن مصطفى دار ابن زيدون .
- مكاشفة القلوب أبو حامد الغزالي القاهرة طبعة الشعب .
- المواقف تأليف محمد بن عبد الجبار طبعة دار الكتب المصرية القاهرة

- مسند الإمام أحمد بن حنبل .
- مسند أبي يعلى .

- موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية الدكتور عبد المنعم الحفني دار الرشاد .

- موسوعة الفرق الإسلامية الدكتور محمد جواد مشكور مجمع البحوث الإسلامية بيروت لبنان .

- المكاسب للحارث بن أسد المحاسبي تحقيق عبد القادر عطا مؤسسة الكتب الثقافية الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ -

(ن)

- نحو القلوب الصغير للقشيري تحقيق أحمد علم الدين الجنيدي ليبيا الدار العربية للكتاب •
- النبوات لشيخ الإسلام ابن تيمية دار القلم بيروت لبنان •
- نظرات في السيرة للبناء•
- نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها الدكتور عبد الحميد عرفان المكتب الإسلامي بيروت •
- النفحة العلية في أوراد الشاذلية عبد القادر زكي مكتبة المتنبي القاهرة•
- النقشبندية عرض وتحليل تأليف عبد الرحمن دمشقية دار طيبة الطبعة الثالثة •
- نيل الأوطار من كلام سيد الأخيار للإمام محمد بن علي الشوكاني دار الفكر بيروت •
- نزهة المجالس عبد الرحمن للصفوري طبعة مكتبة الشرق الجديد بغداد العراق•

(هـ)

- هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين اسماعيل بن محمد البغدادي •
- هجرة الرسول - صلى الله عليه وسلم - وصاحبه في القرآن والسنة أحمد عبد الغني الجمل الوفاء للطباعة والنشر الطبعة الأولى •

(و)

- الوافي تأليف الفيض الكاشاني المكتبة الإسلامية طهران ٠
- وسائل الشيعة إلى تحقيق الشريعة محمد بن الحسن الحر العاملي دار إحياء التراث العربي الطبعة الثانية ٠
- الوصية الكبرى في عقيدة أهل السنة والفرقة الناجية لشيخ الإسلام ابن تيمية المطبعة السلفية الطبعة الثالثة ٠
- وفيات الأعيان لابن خلكان تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد القاهرة مكتبة النهضة المصرية ١٩٤٨م

(ي)

- اليواقيت والجواهرفي بيان عقائد الأكابر عبد الوهاب الشعراني دار المعرفة بيروت (١)٠

---

(١) بلغ عدد مصادر البحث ومراجعة ٢٦٩ مصدراً ومرجعاً

فهرس الموضوعات العامة

الموضـــــــــــــوع	الصفحة
المقدمة	١
التمهيد	٩
التعريف بالصوفية	٢٧
نشأة الصوفية	٤٦
العوامل التي أسهمت في تكوين الفكر الصوفي	٥٥
العامل الإسلامي	٥٧
العامل الأجنبي	١٠٧
بيان معنى التوكل والتواكل	١٣٩
الفرق بين التوكل والتواكل	١٤٦
شروط التوكل ودرجاته	١٤٨
مصادر التوكل عند أهل السنة والجماعة	١٥٤
التوكل في الكتاب الكريم	١٥٨
التوكل في السنة الشريفة	١٦٩
علاقة التوكل بالقضاء والقدر	١٨٠
حكم الإيمان بالقضاء والقدر	١٨٩
مراتب القضاء والقدر	١٩٠
أنواع القضاء والقدر	١٩٣
من ثمرات الإيمان بالقضاء والقدر	١٩٥
مذاهب بعض الفرق في القضاء والقدر	١٩٦
من أسباب ضلال بعض الفرق في مسألة القضاء والقدر	٢٠٣

علاقة التوكل بالقضاء والقدر ٢٠٨
علاقة التوكل بالأخذ بالأسباب ٢١٠
الأخذ بالأسباب في القرآن ٢١٢
الأخذ بالأسباب في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ٢١٤
الأخذ بالأسباب في العبادات ٢١٨
البداية التاريخية لقضية التوكل حسب المفهوم الصوفي ٢٣١
التوكل وأنواعه عند الصوفية ٢٣٥
أحوال المتوكلين وأعمالهم عند الصوفية ٢٥٦
مظاهر التوكل عند الصوفية في العبادات ٢٨١
مظاهر التوكل عند الصوفية في السنن وفروض الكفاية ٣٢٦
مظاهر التوكل عند الصوفية في الحياة الاجتماعية ٣٤٤
مواقف العلماء من التوكل عند الصوفية ٣٥٤
النتائــــــــــــج ٣٧٩
التوصيات والمقترحات ٣٨٣
الفهارس العامة للرسالة ٣٨٤